الدكتور احمد داوود



العرب
والساميون والعبرانيون
وبنو اسرائيل واليهود



صورة الغلاف : فسيفساء جدارية من قبة الصخرة بالقدس.
الغلاف والإشراف الفني : دعد يونس وقاف.
طباعة دار المستقبل، دمشق.
عدد النسخ 3000

الدكتور احمد داوود

العرب
والساميون والعبرانيون
وبنو اسرائيل واليهود



AHMAD DAOUD

Arabs
Semites. Hebrews. Sons of Israel. Jews.

الطبعة الأولى
كانون الثاني 1991

الإهداء

« إننا نلمس سجلاً يحمل أفدح أنواع التزوير والتخريب ، وليس هناك أصعب من تصحيح مسلّمات في مسيرتنا العقلية قد جُمّدت حصينة منيعة ضد الحقائق » .

بيير روسّي

الأستاذ والباحث الفرنسي الكبير بيير روسّي
إن كتابك « مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب » هو مشعل حقيقة نهض فوق كل أسوار التعصب والظلم والتزوير التي أُحكمت حول التاريخ الحضاري لأمتنا ، لقد أعلنتَ بجسارة العقل والعلم والموضوعية « **أن التاريخ المصنوع للعبرانيين خارج النصوص التوراتية هو الصمت الكلّي المطبق** » ، وأنّ « **هذه القوميات المسماة خدعةً بالساميات هي في الحقيقة عربية** » ، وأن الأمة العربية هي المعلمة الأولى لجميع البشر ، وأن حضارتها هي أم كل الحضارات في الشرق والغرب بما فيها حضارة الإغريق التي « **لم تكن سوى شرفة أو ملحق لبناء العرب في الشرق ، وهذا ما يعترف به اليونانيون أنفسهم** » ، وأعلنت أيضاً أن أوروبا هي بنت العروبة ، قائلاً : « **نحن (الأوروبيين) أبناء آسيا ، أبناء العروبة ... نحن هؤلاء في الحقيقة . إنها مجموع الوصية التي نتمسك بها** » ..
ولكن ، وكما أكدت ، « **فإن أحكاماً مسبقة باقية ، وتعليماً مذهبياً يزيف آراءنا وأحكامنا ويزوّرها ، والصور التي تلازمنا وتطاردنا قد أخذت مكان البداهة فينا** » ، فهتفت ملء الأسماع : « **لنتحدَّ « الكليشات » الجاهزة التي جعلوا منها منشاراً ضد الحقيقة في كل مكان !** » .
إليك ، وإلى كل الباحثين الموضوعيين الأوفياء للحقيقة في هذا العالم ، أهدي كتابي هذا ، مع عظيم تقديري ومحبتي* .

أحمد داوود

---

* كل ما هو ضمن أقواس هو للأستاذ بيير روسّي من كتابه « مدينة إيزيس - التاريخ الحقيقي للعرب » في نسخته الفرنسية . راجع هذه النصوص مع أرقام صفحاتها في الصفحة التالية ، وراجع الترجمة العربية للكتاب المذكور التي صدرت عن وزارة التعليم العالي في دمشق عام 1980 ترجمة فريد جحا ، الصفحات 66 ,19 ,37 ,36 ,28 ,8 ,28 .

DEDICACE

"Nous touchons un registre qui a subi les alterations les plus graves et d'autant plus difficils à corriger que les postulats de notre démarche mentale se sont figés en contre vérités inexpugnables".

Pierre ROSSI

Monsieur le grand Professeur Pierre ROSSI
Votre ouvrage, **"la cité d'Isis - histoire vraie des arabes"**, est la lumière de la verité qui a surmontée toutes les murailles du fanatisme, de l'injustice et de la déformation, visées toujours contre l'histoire civilisée de notre nation. Vous y avez proclamé, avec la courage de la raison, de la science et de l'objectivité **"Qu'en dehors des textes bibliques, l'histoire fait sur les Hébreux un silence total"**, que **"ces nations appelées fallacieusement sémites sont en réalité arabes"**,que la nation arabe est la première enseignante de tout le monde entier et que sa civilisation est la mère de toutes les civilisations universelles en Orient et en Occident y compris **la Grèce qui "n'était qu'un balcon et une annexe de l'édifice arabe de l'Orient, ce que les Grècs reconnaissaient eux-mêmes parfaitement"**. Et, en représentant les européens, vous avez aussi proclamé: **"fils de l'Asie, fils de l'arabisme.. voilà ce que nous sommes en verité. C'est là totalité du legs que nons revendiquons".**
Mais, comme vous avez assuré: **"les préjugé demeurent; mais un enseignement doctrinaire fausse nos jugements; mais les images dont nous sommes hantés ont pris la place de l'évidence"**. C'est pourquoi nous crions avec vous: **"défions-nous donc des clichés passe-partout".**

A vous,
à tous les chercheurs objectifs fidèles à la verité,
je présente mon livre ceci,
avec mes grands sentiments du respect*.

Ahmad DAOUD

---

* Pour tous les textes de Monsieur Pierre ROSSI cf. son ouvrage: la cité d'Isis-l'histoire vraie des arabes, Paris, 1976, p. 62, 18, 35, 33, 26, 10, 26.



مقدمة

إن التاريخ هو أخطر العلوم الإنسانية شأناً ، إذ هو العلم الموسوعي الشمولي الوحيد الذي يحتضن نشاط الشعب أو الأمة ، المادي والروحي ، ويحمل سماتها وملامحها ، وبه ، ومن خلاله ، تتحدّد القسمات القومية ، السياسية والحضارية ، لأفراد الأمة جيلاً بعد جيل ، وبالتالي فإن أي تزوير عفوي أو مقصود لتاريخ أي شعب ، إنما هو ، في النتيجة ، تشويه لشكل وجوده القومي ، ولشخصية كل فرد من أبنائه على حدة . ومن هنا فإن جميع دول العالم المتقدم اليوم تنظر إلى تاريخها القومي نظرتها إلى أمنها القومي ، تستبين خطوطه وملامحه ضمن حقيقة تواصله ، وتكتبه بأيدي أبنائها وحدهم ، وتسيّج عليه ، وتتصدى لكل من يحاول أن يعبث به أو يغير فيه من الخارج ، وتحمّله أدواراً تعليمية وتربوية وطنية وقومية تجعل ، من خلاله ، من أفراد الأمة الواحدة جسماً واحداً له ماضٍ وحاضر وتطلعات مستقبلية واحدة ، وإن الأمم المتخلفة أو النامية اليوم هي أكثر الأمم إهمالاً لتاريخها ، وإن العرب يكادون يكونون الوحيدين في هذا العالم الذين يرسلون أبناءهم إلى خصومهم والطامعين فيهم ليتعلموا على أيديهم تاريخهم .

ولقد صار من الواضح والثابت اليوم أنه لم يلق تاريخ أمة من الأمم أو شعب من الشعوب من ضروب المسخ والتشويه والتزوير مثل ما لقيه تاريخ الشعب العربي . وأكثر من هذا نقول : إن تاريخنا العربي ، الذي هو دونما أية مبالغة ، تاريخ التمدن البشري على هذا الكوكب ، يكاد يكون الوحيد الذي تضافرت عليه جهود الدول الكبرى بكل مؤسساتها وإمكاناتها من أجل مسخه وتقزيمه .

وإن مثل ذلك التزوير الهائل لم يكن ليتمّ بالصورة التي هو عليها اليوم لولا أن واقعاً كارثياً تعيشه مؤسساتنا الثقافية والتعليمية في الوطن العربي منذ بداية عصر الاستعمار وحتى اليوم:

● لقد عمدت الدول الاستعمارية إلى إحداث مؤسسات استشراقية كان هدفها منذ البداية خلق الظروف والذرائع من أجل تمرير المخططات الاستعمارية وتبرير الوجود الاستعماري في المنطقة. فبترت العربي عن ماضيه الحضاري المجيد، وقزمت شخصيته وشكل وجوده على الأرض التي عمّرها وأبدع فيها، ووضع، بإنجازاته الحضارية المذهلة، الأساس الحقيقي الراسخ الذي قامت عليه حضارات كل الأمم الأخرى فيما بعد، وحوّلته إلى وجود هامشي بدائي، متخلف، متطفل منذ القدم على حضارات الآخرين.

● وصار على العربي اليوم، لكي يعرف لغته وتاريخه، أن يذهب إلى معاهد وجامعات تلك الدول التي عمّمت ورسخت ذلك التزوير، فيجري تلقينه تلك الصورة الشوهاء المقزمة لتاريخ شعبه، ثم يتحول في وطنه إلى مجرد وسيط ينحصر دوره في نقل تلك الصورة وترسيخها في أذهان الأجيال العربية المتعاقبة.

● وضمن هذا المخطط وحده، ودون أي تدخل من أجهزة الدولة في البلدان العربية مجتمعة وكلاً على حدة، أخذت تتمّ عملية إعداد ودفع «الكوادر» التي من شأنها أن تمسك بمقاليد أمور الثقافة والآثار، بحيث لاتخرج عن الخطّ، ولا تتعدى نطاق الإطار المرسوم. إن بلداً عربياً واحداً لم يأخذ على عاتقه، حتى هذا اليوم، إنشاء معاهد مركزية قومية حقيقية لتدريس اللغة العربية القديمة بكافة لهجاتها وكتاباتها وبتسميتها الصحيحة، فيتولى خريجوها، من بعد، الاضطلاع بهذه المهمة القومية العظمى - وهي قراءة هذا التراث الزاخر الهائل الذي تزخر به الأرض العربية. لقد بقيت هذه المهمة حتى اليوم منوطة بالأجانب وحدهم، بمن فيهم اليهود الصهاينة. إن دور مديريات الآثار لا يتعدى، في معظمه، تسلّم بعض ما يجود به الدارسون الأجانب، لتوزعها، دونما أي بحث أو مناقشة أو دراية، على معاهد التعليم ومؤسسات الاعلام والثقافة والسياحة، وكثيراً ما يستبق القائمون على الآثار نتائج الاستكشاف،

ليقرروا نتائج وأحكاماً ومقولات هي في صميمها صهيونية أو مغرضة*
إن المكتشفات الآثارية ما تنفك تؤكد يوماً بعد يوم أن تاريخ الوطن العربي هو تاريخ التمدن البشري على هذا الكوكب. فقد أثبتت، بما لايبقي مجالاً للشك أن إنساننا كان أول من عرف الزراعة وفن البستنة، وأول من بنى المدن، وشيد الحصون والقلاع، وأول من عرف المعدن واستخدمه وأتقن فن التعدين وصناعة الأدوات، وأول من صنع الفخار والدولاب، وأول من عرف وأسس علوم الطب والفلك والحساب والهندسة والجبر والمساحة، ووضع المقاييس والمكاييل والموازين، وأول من اكتشف، ومن عهد بابل، أن الأرض كروية، وأنها هي التي تدور حول الشمس، فدرس بناء على ذلك ظاهرة الخسوف والكسوف، ووضع المواقيت والتقاويم لأول مرة، ووضع النظام الستيني منذ عهد بابل الذي ما زال مستخدماً حتى اليوم، فقسم بموجبه النهار إلى 12 ساعة، والساعة إلى 60 دقيقة، والدقيقة إلى 60 ثانية*. وأول من صنع السفن وأبحر في البحار والمحيطات، وأوجد خطوط التجارة الدولية في البر والبحر، ودار حول رأس الرجاء الصالح وبلغ الشواطىء الأمريكية منذ الألف الثاني والأول قبل الميلاد (أي قبل كريستوف كولومبوس بما ينوف عن ألفين

* *

* كما حدث في عملية إطلاق تسمية «الحثية» على الآثار المكتشفة في شمال سوريا دون أي مستند تاريخي أو آثاري، وكما أطلقت تسمية «سيميرا» التوراتية على تل الكزل جنوب طرطوس قبل استكشافه وجرى تعميم ذلك على الكتب الجامعية بتدبير محكم، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى...

* إن من الواضح انه لولا معرفة قدامى العرب السوريين لحقيقة أن الأرض كروية، وأنها هي التي تدور حول الشمس، لما نجحوا في اكتشاف الظواهر الفلكية الأخرى، ولما توصلوا إلى النتائج الحسابية الفلكية المذهلة المترتبة عليها من التعرف على ظاهرة الخسوف والكسوف والتنبؤ بها، إلى وضع التقاويم، وتنظيم دوائر الأبراج، ووضع النظام الستيني الذي هو فلكي في أساسه، فالشهر ثلاثون يوماً، والأبراج اثنا عشر، والنهار 12 ساعة، والساعة ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية، هذا النظام الذي لم يَحِدْ العالم عنه قيد شعرة حتى هذا اليوم، وذلك قبل أن يتوصل غاليليو وكوبرنيكوس إلى القول بدوران الأرض حول الشمس وتعتبر بدعة في أوروبا القرون الوسطى بما ينوف عن 2500 سنة.

وخمسمائة عام)، وأول من أبدع عقيدة الخصب الزراعية بكل تقاليدها وتعاليمها وآدابها وأساطيرها وفنونها ، وأول من أبدع عقيدة التوحيد ، وأول من عرف الكتابة واخترع الأبجدية ، وصنف الكتب والمكتبات ، وبنى المدارس ، ووضع القواميس منذ الألف الثالث قبل الميلاد (كما أثبتت مكتشفات ماري)، وأول من صنع النول والمكوك وعرف الحياكة والنسيج ، وأول من بنى دولة مركزية كبرى بالمفهوم الحقوقي والإداري والسياسي والاقتصادي والعسكري ، فوضع الأنظمة ، وشرّع القوانين ، وضرب النقود ، وبنى الجيوش ، وأول من وضع تشريعات الزواج وبناء الأسرة ، وأول من شرب الخمور ، وصنع العطور ، وأحدث مجالس الشراب ، والشورى والندوة ، وأول من وضع مجلسين استشاريين للشيوخ وللشباب ، وأول من تزين بالحلي والكحل ولبس الجوارب ، وعرف الشطرنج والنرد والداما ... نعود لنقول : بالرغم من هذا كله ، فقد تحول تاريخنا العربي القديم اليوم ، على أيدي المزورين في الخارج و« النقلة » في الداخل ، إلى تاريخ مجموعات من القبائل البدوية الرعوية ، نتيجة للروح التعصبية التزويرية التي سادت كتابة التاريخ على يد الغرب الاستعماري ، فانقلبت كل الحقائق رأساً على عقب ، وصارت أثينا وروما ، اللتان كانتا جزءاً من الانجاز الحضاري العربي السوري ، كما صار يتأكد اليوم ، مرضعتين للحضارة على الأرض .

وفوق هذا كله فقد مزقت وحدة الشعب العربي اللغوية والحضارية ، فجرى عن عمد وتصميم تغييب الهوية العربية* عن كل مكتشف آثاري ، وصار كل

* *

* إن جولة واحدة على المتاحف التي صار يعجّ بها القطر العربي السوري اليوم ترينا هذه الصورة بأفدح أشكالها . وإن نظرة متمعنة واحدة إلى مجريات الندوات التاريخية الدولية التي أخذت تقام مؤخراً بصورة دورية من محافظة إلى أخرى في سوريا تكشف لنا الأهداف المنوطة بها : وهي تغييب الهوية العربية بل والسورية ، وتثبيت وترسيخ التسميات المزورة لحضارتنا القديمة قبل أن يتم تصحيحها ، والابتعاد عن ذكر الشعب العربي السوري صاحب تلك الحضارة ومبدعها ، والهروب من أجل تحقيق ذلك الغرض إلى أسماء ويافطات كهذه : العصر الحجري ، العصر النحاسي ، عصر البرونز ، عصر الحديد ، وكأنما لم يكن ثمة شعب هو صاحب إبداعات تلك

تلّ يكتشف مشروعاً لشعب جديد، ولتسمية جديدة، وحضارة جديدة، ولغة جديدة، يُلصق بها أحياناً تسمية المكان، وأحياناً كثيرة تفرض عليها تسميات قسرية من مدونات التوراة، ليبقى الطابع البدوي العشائري الضيق الذي عكسته التوراة هو الطابع الوحيد لهذا الشعب، من جهة، ولخلق الذرائع التاريخية المصطنعة والكاذبة للأطماع الاستعمارية والصهيونية في المنطقة، من جهة أخرى.

هذا الكتاب

لقد كشفنا الكثير من مواضع التزوير في كتابنا الأول «تاريخ سوريا القديم، تصحيح وتحرير». وفي الوقت الذي كنت مكبّاً فيه على وضع اللمسات الأخيرة للكتاب الثاني الذي سبق أن وعدت به القارىء (وهو: تاريخ سوريا الحضاري حتى المسيح ـ الفكر، اللغة، الأدب، الأسطورة) فقد كان ما يزال يتملكني شعور عميق بالحاجة الملحة إلى دراسة مفصلة ومنفصلة لأحداث التوراة وجغرافيتها، لأنه على أرضية التزوير الصهيوني في تفسير تلك الأحداث وجغرافيتها نجد معظم مساقط عمليات التزوير الأخرى التي ما تزال مستمرة حتى اليوم.

ولقد زاد من احتدام هذه المشاعر ذلك التمادي الدولي في ممارسة القهر المستمرة ضد العرب، والتي تجلت مؤخراً بأبشع صورة لها في دفع تلك الموجة

* *

العصور وإنجازات استخدام المعدن. ثم ما أن يأتي الزمن الذي يفترضون فيه وجوداً هندو أوروبياً مزعوماً في تلك الحضارة حتى تصير التسميات فجأة مقرونة بأسماء الشعوب والأقوام، فنتعرف على ما يدعى بـ «العهد الحثي»، و«الآثار اليونانية» أو «الهلنستية»، و«الآثار الرومانية»، و«الآثار البيزنطية»، والآثار الإسلامية ... الخ في سوريا. المهم هو ألا يكون في متاحفنا أو في كل ما يقال عن آثارنا أي ذكر لشعبنا العربي السوري صاحب ومبدع تلك الحضارة وحده على أرضه، ثم نقلها هو نفسه إلى أراضي الآخرين.

الكبيرة من اليهود السوفييت باتجاه فلسطين المحتلة.

وفي شهر آذار المنصرم تلقيت اتصالاً من صحيفة «الثورة» السورية من أجل تقديم دراسة تاريخية وافية حول حقيقة مفاهيم «العبرانيين» و«بني إسرائيل واليهود» في التاريخ القديم. وقد نشرت هذه البحوث، التي تؤلف معظم صفحات هذا الكتاب، في إحدى وعشرين حلقة أسبوعية ما بين آذار وآب 1990 على صفحات جريدة «الثورة».

وأحب أن أنوّه هنا إلى أنني اعتمدت المصادر التالية:

1 - المكتشفات الآثارية.

2 - المصادر التاريخية الكلاسيكية القديمة.

3 - الوثائق المدونة.

4 - اللغة العربية القديمة.

أما من حيث المكتشفات الآثارية، فقد أجمعت كل الجهات الآثارية الغربية والأجنبية أن أحداث التوراة لاوجود لها آثارياً سواء في «فلسطين» أو في خارجها.

وبالعودة إلى جميع المصادر التاريخية القديمة من المؤرخ السوري سانخونياتن الذي عاش حوالي 1400 ق. م (أي في زمن موسى)، وكتب «تاريخ فينيقيا» في تسعة أجزاء، إلى زمن هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) إلى المؤلفين السوريين قبيل الميلاد وبعيده، فإننا لم نعثر على أي ذكر لشيء من الأحداث التوراتية بأشخاصها وبمواقعها.

ولم يبق -بعد هذا! أمامنا غير المصدر الوحيد الذي هو مدونات التوراة نفسها.

وبالنسبة للتوراة، فقد قمت بدراسة نصوصها دراسة تاريخية وجغرافية ولغوية وسكانية ومنطقية مستعيناً بجميع فروع العلوم المساعدة الأخرى.

وكمثال على ذلك يوضح للقارىء عملية ما أنجزناه نورد المثال التالي: «مصر» التوراتية.

-فمن الناحية السكانية تحدد لنا التوراة نصياً أن «مصر» المقصودة هي عشيرة المصريين وليست بلاد وادي النيل.

-ومن الناحية التاريخية إن اسم «مصر» لم يطلق على بلاد وادي النيل إلا في فترة تاريخية متأخرة جداً وبعد ميلاد المسيح بزمن طويل.
-ومن الناحية الجغرافية إن موقع «مصريم» (المصريين) التوراتية هو قرب قرى الكنعانيين لايفصل بينهما سوى ما يفصل القرية عن الأخرى.
-ومن الناحية المنطقية يقول يهوذا لأبيه يعقوب بعد مجادلته حول الذهاب إلى مصر «لولا ء جادلتك إيانا لكنا الآن ذهبنا ورجعنا مرتين» ، إلى جانب شواهد أخرى تؤكد، منطقياً، أن مصريم و«حبرون» الكنعانية قريتان متجاورتان.

وفوق هذا كله، فقد عمدت إلى إجراء مقارنة وتقاطعات مع ما جاء في القرآن الكريم حول «بني إسرائيل» وغيرهم من العشائر التي تحدثت عنها التوراة كالمديانيين (أبناء مدين بن إبراهيم) وقرية «مصر» التي أكد القرآن الكريم أنها قرية ﴿اسأل القرية التي كنا فيها والعير﴾ وفرعون مصر وآل فرعون وامرأته وغيرها.. ممّا جعل ما توصلنا إليه أمراً ثابتاً ومؤكداً. كما أننا أكملنا ذلك بالعودة إلى المراجع العربية التاريخية الكلاسيكية كتاريخ الطبري والكامل لابن الأثير وغيرهما، التي أكدت جميعاً أن «مصر» هي قرية في شبه جزيرة العرب وأن فرعونها زمن يوسف ثم موسى هو زعيم العشيرة ولا يمت إلى ملوك وادي النيل بأية صلة.

أما الناحية اللغوية العربية القديمة فقد اعتمدنا فيها القاموس الكلداني للمطران يعقوب أوجيه منّا، لأن الكلدانية (التي هي السريانية) هي العربية القديمة التي تكلم بها إبراهيم الخليل وبنوه والسيد المسيح في المنطقة التي وجدوا وعاشوا فيها قرب بابلون الكلدان على وادي الفرات شرق جبال غامد من شبه جزيرة العرب، وأثبتنا للقارىء من خلال هذا القاموس أن اللغة التي تحدث بها هؤلاء هي العربية القديمة بلهجتها السريانية الشرقية، وأن أسماء مثل «وادي طوى» و«طور سيناء» و«موسى» و«يهوه» و«جبل حريب» و«رفيديم» و«أورشليم» وغيرها لايمكن فهم مدلولاتها من خلال تتبع افتراضات الأجانب من مستشرقين وغيرهم، بل بالعودة إلى اللغة العربية القديمة التي كشفت لنا حقيقة الأشياء ومسمياتها كما هي بعيداً عن أي تخمين

أو تزوير فرض على لغتنا وتاريخنا من الخارج .
لقد تكشفت لنا ، بعد هذا كله ، حقيقة الأحداث التوراتية بأشخاصها ومواقعها ، فهي تتحدث لنا عن عشائر بدوية عربية آرامية ، تتحرك بين مراعيها بأغنامها في بقعة جد ضيقة من برية شبه جزيرة العرب ، وليس ليهود العالم اليوم أي ما من شأنه أن يمت إلى أولئك الآباء العرب بأية صلة .
وظهرت من خلال تلك البحوث ، وبالدلائل القاطعة ، حقيقة كلمة « ملك » التوراتية بين تلك العشائر التي كانت تطلق على كل من تزعم بيتاً ، أو أسرة ، أو مغارة ، أو عشيرة ، أو جزءاً من العشيرة ، أو مجموعة من « البطّالين » . وإن تلك الأحداث لاتعكس بأي حال شيئاً من واقع الدولة العربية السورية التي كان مركزها بابل في ذلك الزمن والتي ما تنفك مثار الدهشة والذهول أمام إنجازاتها الحضارية الرائعة التي تتمخض عنها المكتشفات الآثارية ، وتضم أعظم مدن الحضارة في الزمن القديم : من بابل ، إلى آشور ، ونينوى ، وماري ، وحلب ، وإيبلا ، وأوغاريت ، ودمشق ، وصور ، وغيرها ... ولولا أن قيّض لأخبار تلك العشائر من يدوّنها لِما لَهَا من اقتران بقضية التوحيد ، ونضال أتباعه ضد عقيدة الخصب منذ عهد آدم ، ومروراً بهابيل ، وشيث ، وإدريس ، ونوح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط ، وصالح ، وهود ، وموسى ، وزكريا ، وعيسى ... إلى أن انتصرت نهائياً في زمن محمد ، لما كان لأخبار أولئك الآباء العرب من الرعاة أي شأن يذكر في التاريخ العربي القديم .
لقد تكشفت حقيقة التزوير الصهيوني في تفسير أحداث التوراة وجغرافيتها ، وسقطت المقولات الاستعمارية الصهيونية الحديثة حول ما يدعى بـ « الشعب العبري » أو « اللغة العبرية » أو « الدولة العبرية » في تاريخنا العربي القديم ، وصار لزاماً علينا أن نبدأ بتصحيح تاريخنا مستخدمين كل إمكاناتنا الفكرية والمؤسساتية .
إنه ، بفضل وسائل الاتصال البالغة التطور اليوم ، فقد أخذ العالم الواسع يتقلص ويصغر . وأصبح كل فرد في هذا العالم محطّ تأثير وتشكيل وسائل الاعلام الأقوى والأكثر حنكة وتطوراً وجاذبية من النواحي النفسية والفكرية

والسياسية . من هذا الواقع لم يعد في مقدورنا اليوم الاتكال على المقولة الشائعة « إن الزمن وحده هو الكفيل ، ولن يصحّ أخيراً إلا الصحيح » . فمن أجل أن يتحقق « الصحيح » لابدّ لنا من أن نعي جيداً طبيعة المرحلة التي تمر بها البشرية بتطورها الخاطف السريع ، فنتحرك بسرعة من أجل استثمار الزمن إلى حدوده القصوى . إن عملية غسل الأدمغة التي مارسها المستعمرون والصهاينة طيلة هذا القرن تفرض علينا تكثيف كل الجهود من أجل إعادة كل الحقائق ، ونصحح في هذا العقد المتبقي من هذا القرن ما دأب الخصوم على تزويره وترسيخه طيلة العقود الماضية .

إن عملية التزوير كانت ، بالدرجة الأولى ، فعلاً سياسياً ، وإن عملية التصحيح هي ، في جوهرها ، من صميم الفعل السياسي .

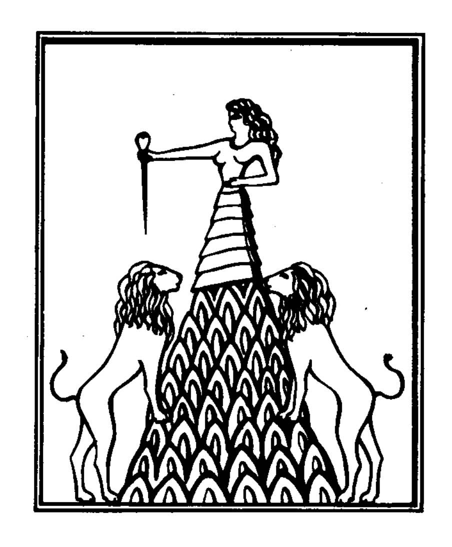
إن العالم يشتد اقترابه وتقاربه . والزمن ، الذي هو حركة التطور ، تزداد وتيرة سرعته . وإن خرائط سياسية جديدة سوف تجد لها تجسيداً على أرض الواقع ، وإن كل خريطة سياسية سوف تبنى على أرضية التاريخ .

أمّا نحن ... وأمّا تاريخنا ، فإنه لم يكتب بعد .

أحمد داوود

دمشق في 4 تشرين الثاني 1990





الحلقة الأولى

المفهوم التاريخي لتسمية العرب وموطنهم



لما كان التاريخ، في أبسط تعريف له، سجلاً لنشاط الانسان المادي والروحي معاً، فإنه بالتالي العلم الموسوعي الشمولي الوحيد الذي تناول الانسان سيرورة وصيرورة، فعلاً وانفعالاً، في الزمان والمكان، وبكلمات أخرى: إنه يتناول الانسان المجتمعي في تطوره ضمن شروط وجوده الطبيعية في تطورها، إنه الفكر والفن واللغة والاقتصاد والسياسة والدين والانتاج وأدواته، وإنه الطبيعة والجغرافيا والمناخ في علاقتها التبادلية الشمولية والجزئية، مع هذا الانسان المجتمعي أو ذاك، في هذه المرحلة التاريخية أو تلك من الزمن.

ولما كان الغرض من بحثنا، وضمن هذا المجال، ليس الخوض في علم التاريخ ككل، وليس التاريخ لهذا الشعب أو ذاك، وإنما ينحصر تحديداً في إيضاح بعض التسميات أو المفاهيم، وإجلاء كل ما لحق بها من ضروب التشويه والتشويش والخلط، وإرجاع كل منها إلى حدود حقيقته التاريخية الموضوعية، فإننا سوف نعمد الآن إلى ثلاثة أسس، أجمع علماء العالم اليوم على أنها هي الركائز الأساس في تحديد الهوية التاريخية القومية والحضارية لهذا التجمع البشري أو ذاك، لهذه الظاهرة التاريخية أو تلك، إنها باختصار السكان، اللغة، الأرض أو الجغرافيا.

ومع قناعتنا الأكيدة بأن هذه الأشياء الثلاثة لا توجد الواحدة منها في معزل عن الأخرى، بل بشكلها المترابط عضوياً، المتفاعل جدلياً، وبالتالي فإن الحديث عن كل منها منفردة لا بد وأن يسيء إلى حقيقة وجودها الموضوعي ككل، ومع علمنا الأكيد بأن الوجود الموضوعي للفكرة، أية فكرة، هو وجود «كُتلَيّ» لا وجود متسلسل هندسي، وإن نقلها من شكل وجودها في الفكر إلى شكل وجودها في اللغة المحكية أو المكتوبة سوف يفككها من كثير من علائقها الموضوعية المتشابكة الكبيرة والصغيرة، وهذا هو أحد جوانب تقصير اللغة عن الفكر، فإننا، مع هذا، سوف نتناولها كلاً على حدة، باذلين أقصى ما في استطاعتنا من أجل أن تبقى أقوى وشائج الارتباط فيما بينها جميعاً جلية وواضحة.

وقبل أن نتحدث عن المفهوم التاريخي لكلمة العرب نرى أن لابد، أولاً، من

أن نرسم لوحة مبسطة للجغرافيا ، في مرحلة تاريخية سابقة ، التي على مسرحها عاش وتطور وأبدع هذا الشعب الذي نعرفه اليوم بـ « العربي » .

السكان والجغرافيا :

إن علم الجغرافيا ، كما هو معروف ، ليس مقتصراً على علم تحديد المواقع على الأرض ، إنه ، إلى جانب هذا ، علم القشرة الأرضية بما تحمله من تضاريس ، علم نشوئها وتطورها ، بالإضافة إلى علم المناخ الذي صار اليوم من أشد العلوم التصاقاً بعلم التاريخ ، ومن هنا فإن من المحتم علينا حينما نتحدث عن تاريخ هذا الشعب أو ذاك في مرحلة تاريخية قديمة أو موغلة في القدم ، كما هو شأننا مع الشعب العربي ، أن نحيط بجغرافيا المنطقة ، بما فيها علم المناخ ، التي كانت مسرحاً لنشاط هذا الشعب في تلك الحقبة التاريخية المعينة من الزمن ، وبغير هذا يصير التاريخ ضرباً من الفرضيات أو التخمينات العاجزة عن تفسير كثير من الظواهر السكانية أو الحضارية ، وهذا ما هو سائد اليوم في كل الكتب أو معظمها التي تؤرخ لشعبنا العربي انطلاقاً من الواقع المتصحر لشبه جزيرة العرب .

أما نقطة البداية التي نختارها هنا للحديث عن جغرافيا المنطقة فهي حوالي الألف الرابع عشر قبل الميلاد .

يجمع علماء التاريخ والجغرافيا والمناخ في العالم اليوم ، على أن نهاية آخر عصر جليدي مرت به الكرة الأرضية كانت في حوالي الألف الرابع عشر قبل الميلاد التي معها كانت بداية عصرنا الدفيء الحالي والذي قد يستمر عشرات الآلاف من السنين[1] .

في تلك الحقبة تحديداً كانت كتل الجليد بسماكة مئات الأمتار تغطي مساحات شاسعة من الشمال وحتى الخط الذي يمر في وسط فرنسا ، وكان الحزام الحي « أي المفعم بالحياة وبشروط تطور الإنسان والحضارة » ، هو الممتد من جزيرة العرب وعبر ضفتي المتوسط الشمالية والجنوبية وصولاً إلى الشواطىء الأمريكية الوسطى والجنوبية ، لقد كانت « طبقات الجليد السميكة تغطي أمريكا

الشمالية وغرب أوروبا مثل الجزر البريطانية والأراضي المنخفضة وفنلندا والدانمارك ومنطقة الألب، وكانت روسيا مركز الإشعاع الجليدي في شرق أوروبا حيث وصلت المجلدات إلى أوكرانيا والدانوب وشمال ووسط الأورال على جبال تايمير ومناطق أخرى من سيبيريا، وزحفت مجلدات عملاقة من جبال جوكوتكا وجماكاتكا وآسيا الوسطى وظهرت المجلدات في جبال استراليا والشيلي ونيوزلند»[2].

أما شبه جزيرة العرب فقد كانت أخصب بقعة على سطح الكوكب وأكثرها ملاءمة لوجود الإنسان والحيوان والنبات ولنشوء الحضارة. ففي الشرق منها كانت جنة العرب الأولى قبل أن تغمرها مياه البحر وتشكل ما يعرف اليوم بالخليج العربي. تجري من تحتها أنهار الدجلة والفرات وبيشه لتصب جميعاً في بحر العرب بعد أن غذت تلك المنطقة عبر عشرات الآلاف من السنين بطبقات لحقية وفرت لها درجة من الخصوبة لم تعرفها أية بقعة أخرى. وكان يغطي منطقة صحراء الربع الخالي بحر من المياه العذبة ما تزال بقاياه قائمة حتى يومنا هذا في أربع بحيرات متصلة جوفياً عمق إحداها 400 قدم[3]، وكان وادي بيشه الذي يتحد مع وادي الرمَة وتثليث ورنيا والثرات والدواسر يخترقها من الغرب إلى الشرق جنوب البصرة ثم يتابع سيره في منطقة الجنة ليصب أخيراً في بحر العرب.

يقول تشايلد: «في الوقت الذي كان فيه شمال أوروبا مغطى بطبقات الثلوج إلى مسافات بعيدة، وكانت جبال الألب والبيرنيه مغطاة بكتل الجليد، كان ضغط القطب الشمالي الشديد يسوق أعاصير الأمطار التي تهب على أوربا الوسطى، ويجعلها تجتازها وتعبر إلى حوض البحر المتوسط، وتستمر في سيرها دون أن تستنزفها الجبال السورية فتصل إلى العراق وجزيرة العرب.. فكانت الصحارى التي يلفحها العطش الآن تتمتع بأمطار منتظمة، ولم تكن الأمطار الذاهبة بعيداً إلى جهة الشرق أكثر مما هي عليه الآن فحسب، بل انها كانت موزعة على جميع فصول السنة بدلاً من أن تكون مقصورة على فصل الشتاء، وكان يعيش في شمال أفريقيا، وربما في جزيرة العرب أيضاً، حيوانات من نوع ما يوجد الآن في زمبابوي وروديسيا»[4].

وتؤكد نتائج أبحاث سفينة الأبحاث الألمانية «ميتيور» في قاع الخليج أنه «نتيجة لانخفاض مستوى مياه البحر خلال العصر الجليدي الأخير إلى حوالي 110 أمتار عما هو عليه اليوم، كان الخليج العربي أرضاً يابسة تتكون من منخفض يبلغ طوله حوالي 1100 كيلومتر، ووسطي عرضه 180 كيلومتراً، ولا يتجاوز عمق غوره 30 — 100 متر، وتشق قاع الخليج قناة حفرتها مياه النهرين تبدأ قرب الفاو لتصب في خليج عمان، ومن الجدير بالملاحظة أن تضاريس قاع منطقة الخليج تشبه إلى حد كبير طبيعة الأرض التي يجتازها نهر الفرات في سوريا إلى درجة دفعت الباحثين إلى الاعتقاد بأن حوض الخليج يكاد يكون استمراراً للأرض السورية، فلا يفصل المنخفضين إلا السهول الرسوبية المنبطحة المعالم، واعتباراً من أواخر العصر الجليدي الرابع «الأخير» أي منذ حوالي 14000 سنة قبل الميلاد تأخذ مياه البحر بالارتفاع بفعل مناخ دافىء يسود الكرة الأرضية خلال عصر الهولوسين «الدفيء». وباستثناء انقطاعين عارضين حدث الأول حوالي 10000 سنة ق. م والثاني حوالي 8000 سنة ق. م بفعل التذبذبات المناخية، تابع ماء البحر ارتفاعه واستمر يغمر منطقة الخليج، حتى استقر مستواه تقريباً اعتباراً من حوالي 4000 سنة ق. م على وضعه الراهن في القرن العشرين. وبذلك انفصلت المرتفعات التي ستعرف فيما بعد باسم البحرين وفيلكا وبوبيان وغيرها من الجزر عن الأرض العربية التي تحولت بدورها إلى شبه جزيرة وبلغ ارتفاع منسوب المياه 120 متراً»[5].

تلكم هي لوحة جزيرة العرب الجغرافية والمناخية التي كانت مهداً للحضارة على هذا الكوكب. والتي كانت تمتد حدودها من ضفة الخليج الشرقية شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، ومن البحر الأسود شمالاً «البحر الأعلى» إلى بحر العرب جنوباً «البحر الأدنى».

ومنذ أن تأسست أول دولة مركزية في سوريا القديمة، وهي دولة سرجون الاكادي في الألف الثالث قبل الميلاد، وحتى نهاية عهد الملكة العربية زنوبيا حافظت الدولة على هذه الحدود دونما أي تفريط أو تجزئة خلال ما يقرب من ثلاثة آلاف عام.

السكان واللغة :

بعد هذا الرسم التوضيحي الموجز للخارطة الجغرافية والمناخية التي بها نشأ وعاش وتحرك وتطور وأبدع أول حضارة في العالم الشعب الذي نعرَفه اليوم بالشعب العربي يصير من اليسير على أي منا أن يحل كل الإشكالات المفروضة ، وأن يفسر بسهولة كل تلك التحركات السكانية العربية سواء على هذا المسرح أو في خارجه . ولم تعد - بعد هذا - مسألة خروج العرب السومريين من منطقة الجنة في أرض الخليج إلى الجنوب العراقي لغزاً يسهم المستشرقون في جعله محيراً رغم كل الدلائل والمكتشفات . إذ أن منطقة ما قبل الخليج كانت جزءاً من ثقافة كبيرة معاصرة - كما أكدت النتائج التي قدمتها بحوث سفينة الميتيور - انتشرت مراكزها في الجنوب الرافدي وجواره قبل أن تجبر مياه البحر الصاعدة أهلها على الرحيل تدريجياً إلى مواطن جديدة .

لقد صار ثابتاً اليوم أن هذه الظاهرة هي التي أجبرت سكان الجنة العربية القديمة في أرض الخليج إلى أن ينتشروا إلى الجوار الشرقي ، فنقلوا إلى شواطىء الهند الغربية ما دعي بحضارة ما قبل الهندية والتي تعود إلى الألفين السادس والخامس قبل الميلاد . وقد دعيت اللغة المكتشفة هناك بـ « الدرويدية » . وهي عربية شقيقة للعربية السائدة حينذاك في شرق شبه جزيرة العرب .

يقول كوندراتوف : « ويجد اللغويون معالم التشابه بين لغة الدرويديين ولغة العبيديين الذين عاشوا في وادي دجلة والفرات قبل السومريين وكثيراً ما كانوا يتحدثون عن الوطن الجد الغريق وعن « مملكتهم التي ابتلعتها مياه البحر »[6] .

كما أن الظاهرة نفسها هي التي أجبرت العرب الآخرين الذين حلّوا في أرض سومر من جنوب العراق ودعوا بالسومريين ناقلين معهم تراثهم وقصصهم وذكرياتهم عن « الوطن الغريق » و« بحر الوطن » و« الجنة المفقودة تحت الماء » وجنة « دلمون » البحرية .

يقول البروفيسور « جاك لابيري » أكبر علماء المناخ في أوروبا اليوم بهذا



البومة براس أسد رمز الحكمة والشجاعة عند العرب السوريين. وقد اقترنت أيضاً بالرب السوري البعل، كما انتقلت إلى بلاد اليونان مع الربة أثينا التي يؤكد هيرودوت أنها جاءت من سوريا.



الوجه الأمامي من آلة وترية وقد صور عليه جوقة تنكرية كما كان يفعل السوريون في أعياد تموز ثم أدونيس ، وقد انتقلت معهم إلى بلاد اليونان وإيطاليا . عثر عليها في المقبرة الملكية في أور . تعود للعهد العربي العبيدي . الألف الرابع قبل الميلاد ، والآن في متحف جامعة فيلادلفيا .

الصدد مايلي : « إن حضارات القدامى بزغت وتلاشت بفعل حركة ارتفاع أو انخفاض منسوب البحر والمياه فوق مستوى الأرض . لنأخذ مثلاً السومريين ، لقد ظهروا فجأة منذ حوالي ستة آلاف سنة عند نهري دجلة والفرات . كانوا يملكون أسلحة متطورة بالنسبة إلى ذلك الزمان ، ويعيشون حضارة ناشطة ، فمن أين جاؤوا ؟ إن علم المناخ والأرصاد يدل على أنه حين كان سطح المحيط منخفضاً ، أي أقل ارتفاعاً عما هو بمئة متر . فالسومريون كانوا موجودين في مكان ما ، من المؤكد أنهم كانوا قرب نهر يؤمن لهم الشرب واستمرارية الحياة ، آنذاك كان البحر يغطي مدخل الخليج العربي الحالي ، وكان نهر دجلة والفرات نهراً واحداً يسير وسط منطقة الخليج « الحالي » ليصب في المحيط الهندي . إذن كان بحر الخليج أرضاً يابسة يجتازها النهر المذكور ، كان سهلاً واسعاً وخصباً ، وفي هذا السهل ومنذ آلاف السنين حيث كان مستوى البحر منخفضاً 100 متر حدثت حتماً عملية انتقال الإنسان من حالة العصر الحجري القديم إلى حالة العصر الحجري الأخير « المزارعين الثابتين » . لقد تم ذلك منذ حوالي 8 أو 9 آلاف سنة ، وقد ظل سطح البحر يرتفع منذ سبعة آلاف سنة دافعاً بالسومريين الأوائل إلى منطقة الشمال الغربي . فبلغ البحر ، ومنذ خمسة آلاف سنة ، المستوى الحالي الذي نعرفه . فاستقر السومريون في مدينة أور وضواحيها ، والمعروف أن المدن الكبرى القديمة في بلاد الكلدان توجد على بعد 140 كيلومتراً تقريباً من هذه الأراضي . وهذا المستوى كان الأقصى الذي بلغته مياه البحر منذ 5500 سنة ، وحين انحسرت مياه البحر في ما بعد بقي السومريون حيث كانوا »[7] .

وهذا أيضاً ما أكده عالم الآثار الأمريكي جوريس زارينس الذي ظل يعمل في الآثار في المنطقة الشرقية من الأراضي السعودية زهاء عشرة أعوام . توصل من خلال المكتشفات إلى النتائج نفسها . وقد أجرت معه إحدى المجلات الأمريكية لقاء مطولاً في عددها الصادر في أيار 1987 تحت عنوان « هل تم العثور أخيراً على موقع جنة عدن » أكد فيه أن الموطن الأصلي للعبيديين هو الطرف الشرقي لشبه جزيرة العرب وأنهم أسلاف السومريين الذين خرجوا من أرض الخليج حيث « جنة عدن » العربية ، وكانوا هم ، لا السومريون ، بناة



قطعة من أثاث موبيليا سورية على شكل تيس يقف على شجرة ورد .
والتيس أو الجدي كان أحد رموز تموز ثم أدونيس . مقبرة أور الملكية ،
الألف الرابع قبل الميلاد . والآن في المتحف البريطاني .

المدن والحضارة في جنوب العراق »[8] .

اللغة وعروبة السكان :

يجمع المؤرخون اليوم على أن علم « الألسنيات » هو أصلح الأشياء لمعرفة الأصول السكانية والأعراق ومركز نشوء الحضارة الذي منه انتقل الإشعاع إلى غيره من الأنحاء ، فاللغة هي وحدها القادرة على تحديد الهوية القومية لهذا الشعب أو ذاك . لكنه لكي تتمكن اللغة من الاضطلاع بهذا الدور لابد لها من أن تعيش عملية ما يدعى بالتواصل التاريخي ، وعملية التواصل التاريخي هذه تتحدد بالنقاط التالية :

1 - إن عملية التواصل التاريخي للغة لاتنفصل عن عملية التواصل التاريخي للشعب الذي يتكلم هذه اللغة .

2 - إن أية ظاهرة احتلال أو استعمار يقع على هذا الشعب أو ذاك ويفرض عليه لغة ما لمرحلة زمنية معينة ، تبقى ظاهرة طارئة مؤقتة ، ويبقى التواصل اللغوي القديم المستمر بعد جلاء المحتل هو الذي يحدد الهوية القومية رغم طول أو قصر الفترة التي فرضت فيها لغة أخرى غريبة .

3 ـ لما كانت اللغة تلازم الإنسان منذ أن بدأ العيش في جماعة وتتطور معه حاملة كل هواجسه وفكره ومعاناته وإبداعاته فهي ، بالتالي وحدها التي تحمل ملامحه النفسية والثقافية والحضارية . وتحدد بالتالي هويته القومية .

بالإضافة إلى هذا كله لابد لنا من أن نذكر بالأمور الأساسية التالية قبل الحديث عن اللغة العربية والسكان :

1 ـ إن اللغة شيء والكتابة شيء آخر ، فاللغة تنشأ مع الإنسان منذ بدء حياته في جماعة ، وتتطور معه ، أما الكتابة فاختراع واع أملته ضرورة التطور الاجتماعي في مرحلة لاحقة قد تكون بعد عشرات الآلاف من السنين من عمر تطور اللغة المحكية بشكل علامات قد تتبدل وتتطور . وتبقى اللغة واحدة ، وقد تبتكر عدة كتابات في آن واحد للغة واحدة كما حصل مع اللغة العربية . ومن أجل مزيد من التفاصيل حول اللغة والكتابة راجع كتابنا « تاريخ سوريا القديم »[9] .

2 ـ إن اللغة تعيش في لهجات قليلة أو كثيرة ، أساسية وفرعية ، وتبقى اللهجات ضمن حدود تسمياتها ، ولا يصح أن يطلق عليها إسم « اللغة » فهي جميعها ، مهما تعددت وتباينت ، تبقى منتمية إلى لغة واحدة هي اللغة الأم .

3 ـ كثيراً ما يفرض تطور الحياة موت كلمات وسقوطها من الاستعمال اليومي وولادة كلمات أخرى جديدة من صلب الخميرة اللغوية ذاتها ، وتبقى الكلمات الميتة ، رغم ما قد يبدو عليها أنها غريبة وغير مفهومة ، منتمية إلى اللغة الأم ، وعلم تاريخ اللغة هو الذي يحفظ لها هويتها سواء في القواميس أو كتب فقه اللغة الأخرى .

4 ـ إن الكتابة الأبجدية وحدها أي الكتابة التي تحلل الكلمة إلى أصوات ، وترسم علامة لكل صوت ، هي وحدها التي تكشف لنا حقيقة هذه اللغة وهويتها .

5 ـ أما ما قبل الكتابة فإن الأسماء المحفوظة منذ القدم للمدن والأرباب والمواقع الجغرافية وللمتميزين من الأفراد هي أفضل ما يمكن أن يميز انتماء أصحابها القومية أو اللغوية .

6 ـ ينبغي ألا يغيب عن البال أن ما دعي بالكتابة التصويرية التي تصور فكرة

ما لاصوتاً ، والكتابة المقطعية التي تضع رموزاً وعلامات لمقاطع كثيرة يجري الاتفاق على معانيها فيما بين واضعيها ، وهما المرحلتان الأوليان من مراحل اختراع الكتابة ما قبل الأبجدية ، لاتبين هوية هذه اللغة أو تلك لأنها لاتصور أصواتها ، بل تبقى نوعاً من « الشيفرة » التي تستخدم ضمن أطر جدّ ضيقة كدائرة الحكام ورجال المعبد في التاريخ القديم .

بعد هذه الملاحظات توجب علينا الآن أن نقترب مباشرة من موضوع المنطقة العربية وهوية سكانها القومية منذ القدم كما تحدده اللغة .

« سر » و « مر » و « رب »
أشهر مشاهير الآباء العرب الأقدمين

منذ أن بدأ إنسان هذه المنطقة أول ثورة زراعية في العالم ، كما يؤكد اليوم جميع الباحثين الذين يختلفون على تحديد زمن بدايتها ما بين الألف الثاني عشر والألف الثامن قبل الميلاد ، بدأت معها أول عقيدة للخصب في العالم التي تعتمد في جوهرها تقديس الخصب بأقانيمه الثلاثة : الرجل - الزوج ، الأب ، المخصب . والمرأة - الزوجة ، الأم ، حاضنة الخصب ومتعهدته إلى عطاء وثمرة ، والابن نتاج الخصب ، الثمرة ، فقدست الخصب ، الإثمار ، الوفرة ، التكاثر ، ولعنت العقم .

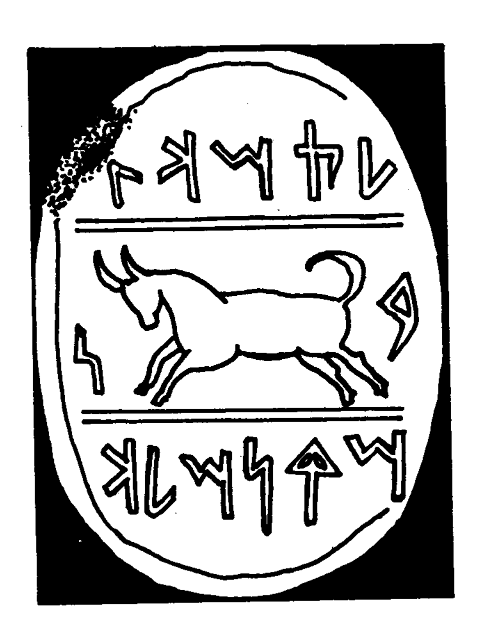
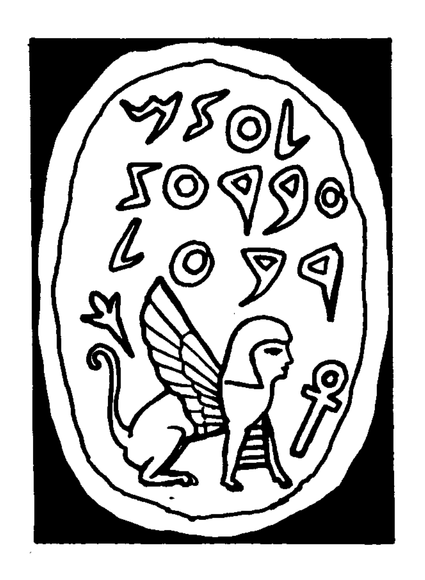
ولما كانت الأرض هي الرحم الذي يحتضن البذور ويتعهدها بالإنماء والاطلاع والاثمار والاكثار فقد تقدست الأرض في عقيدة الخصب وصارت الأم الكبرى ترمز إلى الأرض ، ولما كانت السماء ، أو السحاب ، أو المطر هي التي تخصب الأرض ، والشمس تدفئها وتطلع النبات والزرع ، فقد صار الأب أو الزوج رمزاً للسماء أو الشمس في عقيدة الخصب التي تعتمد دائماً على قطبين : الذكر والأنثى ، الرجل والمرأة ، السيد والسيدة الخ .

ولم يكن ذلك ليحدث دون أن يجد له انعكاساً في اللغة التي تحتضن كل فكر وإبداع هذا الإنسان منذ القدم . فلقد تميز من بين الآباء العرب القدامى الذين تقدسوا في عقيدة الخصب الزراعية مجموعة كبيرة من الأسماء كان من بين أبرزها جميعاً ثلاثة هم : « سر » و« مر » و« رب » وكل منها يعني « السيد » .

أما «سر» الذي تؤكد كل الدلائل على أنه كان متميزاً في منطقته الشرقية، فيعني السيد العلي، ومؤنثه «سرت» و«سري» ويعني السيدة العلية. وما تزال اللغة العربية تحتفظ لنا بالأصل حتى اليوم فكلمة «سري» تعني السيد، العالي، وسراة القوم سادتهم، والسراة الجبال المرتفعة، والسروات القمم، والسرو الشجر المرتفع، و«سارة» هي السيدة والملكة، وإذا ما أضفنا نون الجمع تصبح «سرن» وتعني السوريين أو السريان لأن العربية القديمة لم تكن تكتب الصوتيات «ا، و، ي». وقد اكتشفت المدينة التي سميت باسمه وفي موطن إقامته، وهي «سار» قرب البحرين وتعود إلى آلاف السنين قبل الميلاد، وقد عثر فيها مؤخراً على لؤلؤة هي الأكبر من نوعها في العالم حتى اليوم، وإلى جانبها مدينة «سارة» أو «تارة» وتعود للفترة نفسها، وقد انتشر أبناؤه وأحفاده في المنطقة الشرقية من الأرض التي دعيت فيما بعد بالأرض العربية، وكانوا جميعاً يتكلمون العربية بلهجتها الشرقية التي دعيت «سريانية»، ولما أقيمت الدولة المركزية وجعلت عاصمتها أجادا ثم بابل وآشور ونينوى سادت العربية بلهجتها السريانية الشرقية كلغة رسمية في شتى أرجاء الدولة كلها واستمرت زهاء ثلاثة آلاف عام. وبالرغم من أن المستشرقين أخذوا يسمونها مرة أكادية، وأخرى بابلية وآشورية وكلدانية، فقد ثبت أخيراً أنها لغة واحدة هي العربية القديمة بلهجتها الشرقية السريانية، وصار السكان يعرفون بالسوريين أو السريان، وصارت الأرض سوريا من «سري» أي السيدة و«سورية» من «سرت» أي السيدة.

ويؤكد لنا «كريمر» الحقيقة التي أكدها غيره وهي أن الأكادية هي نفسها البابلية والآشورية، وهي نفسها أيضاً التي دعيت خطأً بـ «الكلدانية». أما «مر» و«مرت» أي السيدة، وما تزال قواميس اللغة تحتفظ لنا بهذا المعنى حتى اليوم إذ نجد في القاموس أن «ماري» تعني السيدة والسيدة البيضاء تحديداً، كما أن «مرْت» ما تزال تستخدم في العربية الدارجة حتى اليوم، وما تزال كلمة «مار» مستخدمة مع ألقاب الآباء المقدسين في المسيحية حتى الآن فيقال: مار الياس ومار يعقوب، أي السيد الياس ويعقوب، الخ.

وقد كانت منطقة سكنى الأب «مار» في الغرب، وكانت تسمية مدينة «ماري»

اختام فينيقية في الأول صورة « أبو الهول » الذي هو من أصل سوري ، كما يرى أمامه رمز الخصب الذي انتقل إلى وادي النيل ، وكتابة فينيقية واضحة . وفي الثاني صورة ثور رمز الخصب ورمز البعل أيضاً وكتابة فينيقية .

في الشمال السوري وعمريت على الساحل تجسيداً لهذا الوجود ودعي أبناؤه وأحفاده فيما بعد بالآموريين أو العموريين ، وقد حكم منهم في عاصمة الدولة المركزية كثير من الملوك نذكر من بين أهمهم آمورابي « حمورابي » الذي جعل بابل عاصمة الدولة المركزية وكثير من الملوك من بنيه وأحفاده الذين حكموا من بعده .

وكما انداح العرب السريان شرقاً إلى أن بات يذكر اليوم أنهم هم مؤسسو حضارة وادي السند ، انداح الآموريون غرباً ، ومن بينهم الفينيقيون ، عبر شطآن المتوسط وصولاً إلى الشواطىء الأمريكية ، فسمي البحر المتوسط باسمهم « بحر آمورو » وأطلقوا أسماءهم على القارات والجزر والمدن والجبال ، فأوروبا سميت باسم الأميرة الفينيقية بنت ملك صور ، وليبيا « كانت تطلق على أفريقيا » هو اسم أمها أو جدتها لأبيها .



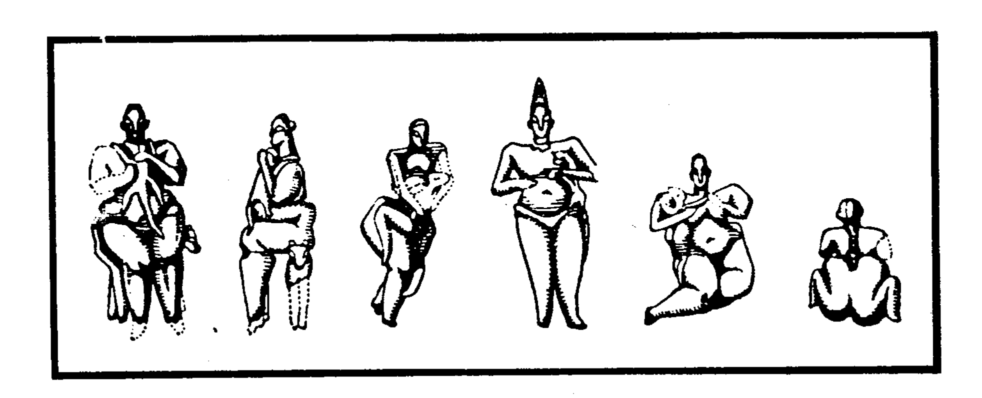
الـرب الـسـوري « الـبـعـل » وتـلاحـظ تـقـاطـيـعـه الـسـوريـة الـتـي صـارت تـدعـى إغريقية ، وتقف البومة رمز الحكمة إلى يمينه ، كما تلاحظ الكتابة الفينيقية يميناً من الأسفل إلى الأعلى « بال » (أي البعل) ، وفي الأسفل من اليمين إلى اليسار « يَبَعْل » (أي يا بعل) .

وأما « رب » فتعني السيد أيضاً ، ومؤنثه « ربت » وتعني السيدة ، أما منطقة سكناه وبنيه وأحفاده ففي جوف شبه جزيرة العرب ، وأطلق على بنيه وأحفاده اسم « آربي » أو « عربي » والمنطقة أربت أو عربت وهي ما يعرف اليوم ببرية شبه جزيرة العرب بعد أن أصابها التصحر ، وهناك في جنوب عسير تحديداً توجد مدينة « الربة » حتى اليوم .

وإذا ما أخذنا بعض أسماء المدن التي تعود إلى عصور ما قبل الكتابة لوجدنا أن التسميات هي عربية أيضاً ، لنأخذ واحدة من الشمال وهي شتال أيك و« تكتب أحياناً شتال أيوكو » فتعني مزرعة الربة ، النظيرة ، المثيلة ، القرينة للرب ، إن كلمة « شتال » واضح اشتقاقها من « شتل » أما « إيكو » فهي من « ايك » في العربية القديمة وتعني مثل نظير ومنها كان اسم ميكا إيل أي المماثل



ربة النصر السورية «نيقا» (القاهرة، الغالبة) . من المنحوتات البارزة
التي تزين قوس «سبتيمو سفيرو» في بلدته «لبدة» في ليبيا .

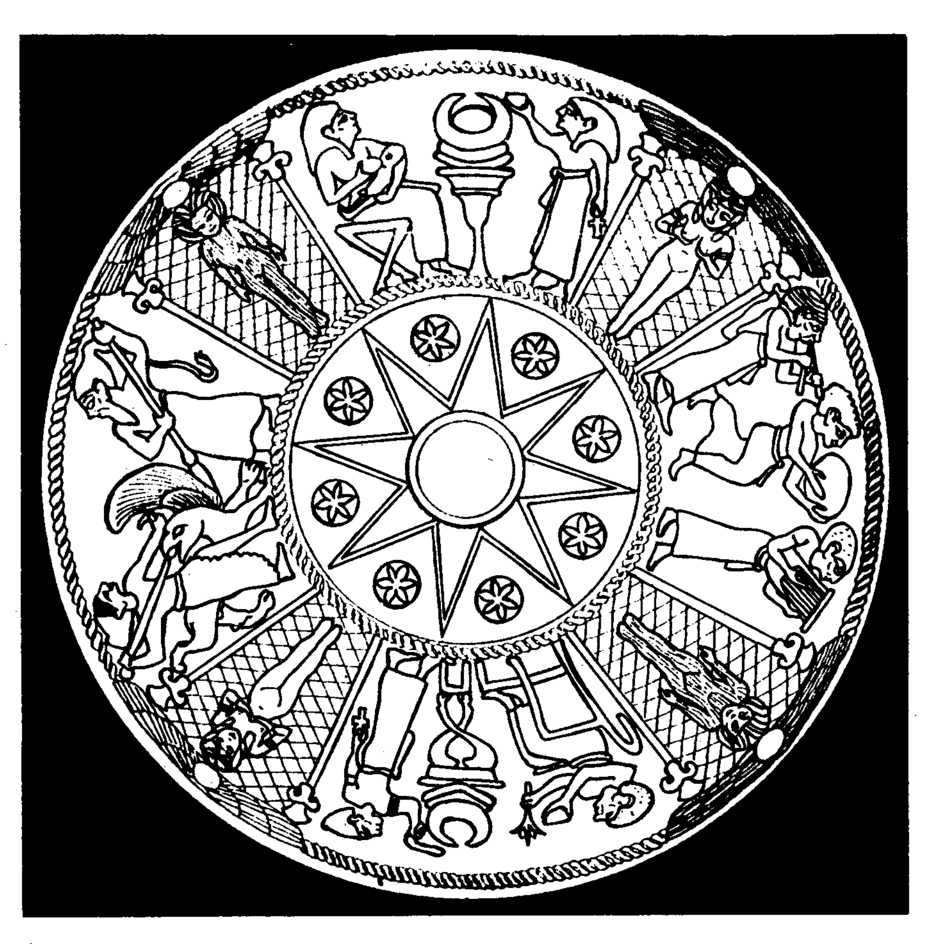


تماثيل للأم السورية الكبرى والطفل الإلهي تموز في شمال سوريا ، الألف السادس قبل الميلاد (حسب ميلارت) .

لايل ، نظير الرب ، وهي مدينة عربية اكتشفت آثارها في قونية « في تركيا حالياً » تعود للألف الثامن قبل الميلاد ، اكتشف فيها تماثيل ربة الخصب السورية الأم الكبرى .

والمثال الآخر من الجنوب وهو مدينة « أريحا » في فلسطين الحالية التي يعود زمن بناء سورها أيضاً إلى الألف السابع قبل الميلاد ، وكلمة أريحا و« أرحتا » تعني حرفياً الاستراحة وليس مدينة القمر من « يرحو » « الهلال أو القمر » كما يزعم البعض اليوم ، وعلى أية حال فالتسمية في كلتا الحالتين عربية صميمة .

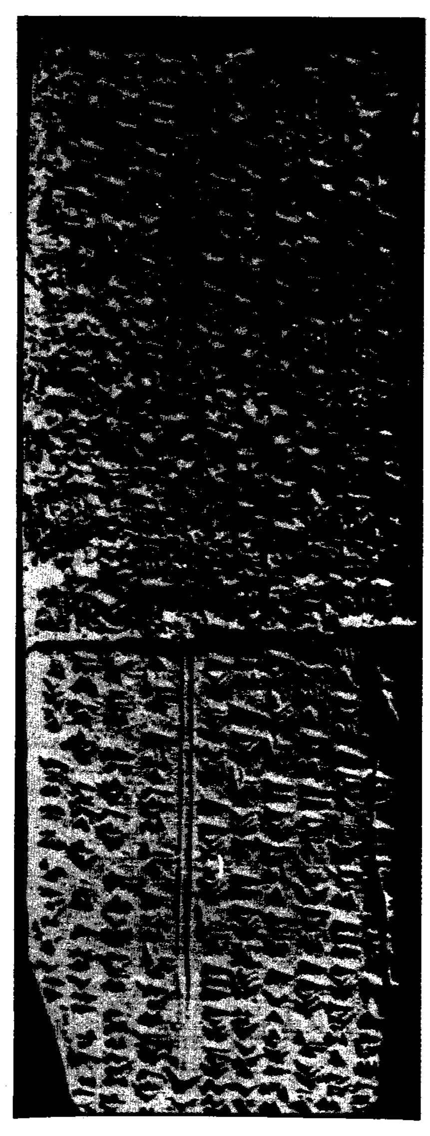
ولو انتقلنا الآن إلى مرحلة اختراع الكتابة بالأبجدية الحرفية التي كان للعرب السوريين فضل اختراعها ، فحققوا بذلك ثاني أهم ثورة في تاريخ التمدن البشري بعد الثورة الزراعية ، لوجدنا أن الصورة أضحت جلية لا لبس فيها ، لأن لغة هؤلاء السكان التي ظلوا يتكلمون بها شفهياً آلاف السنين قبل اختراع الكتابة تتكشف لنا الآن حقيقتها العربية الصميمة من خلال تصويرها بالكتابة الأبجدية الحرفية ، لأن هذه الأخيرة لا تترك أي لبس في الأمر ، إذ هي تصور أصوات الكلمة حرفاً حرفاً ، وبالتالي فإن كلمة « شمس » مثلاً ، التي أجد فيها ثلاث علامات لثلاثة أصوات هي الشين والميم والسين ، لن يبقى ثمة مجال لأن أقراها : نجم ، نور ، ضوء يطلع ، يضيء ، الخ ، كما كان الأمر مع الكتابة



كوب فينيقية من البرونز عليها رسوم عشتار وتتوسطها نجمة عشتـار (الزهرة).

التصويرية، فانجلى بذلك كل غموض كان يكتنف حقيقة اللغة التي تكلم بها سكان الوطن العربي القديم، فالأبجدية العربية، منذ أن وضعها أجدادنا الأقدمون، هي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، اثنان وعشرون حرفاً واثنتان وعشرون علامة، كان أعظم اختراع أبدعه شعب في تاريخ التمدن البشري. ولو عدنا إلى أسماء حروف أبجد مثلاً لوجدناها: ألفا، ويعني الثور، بيتا، ويعني البيت، جاما، ويعني الجمل، دلتا، ويعني باب

الخيمة «شكل المثلث» .
ولابد هنا من أن نلفت الأنظار إلى نقطة لغوية كبيرة الأهمية تؤكد وحدة الشعب العربي اللغوية منذ أقدم العصور ، وهي أن جميع هؤلاء الآباء الأوائل اقترنت عملية تقديسهم بتقديس الخصب . فالأب الأكبر والأم الكبرى تجسيد لعملية الإخصاب الكونية العظمى المقدسة . ولإيضاح ذلك يكفي أن نضيف إلى أسماء أولئك الآباء أول حرف بالأبجدية العربية السورية وهو الألف الذي يعني الثور ، والثور رمز الخصب في عقيدة الخصب ، والذي كثيراً ما يتبادل مع العين الموقع والعمل والوظيفة ، لنلتقي فوراً بالصورة الكونية الأولى المقدسة لدى السوريين القدماء : صورة الخصب الكوني . والطريف في الأمر هو أن لغتنا العربية ما تزال تحفظ لنا في صدرها هذا الكنز العقائدي الأصولي الصميم منذ آلاف السنين وحتى اليوم . إن كلمة «سر - أ» تعني أخصب ، وسرأت السمكة باضت ، والمرأة كثر أولادها . وأسرأت أيضاً أخصبت وحان أن تبيض .
وكلمة «مر - أ» أخصب وألقح وجامع ، والمروءة في أصلها كمال الفحولة الاخصابية وكمال الرجولية ، والمرء هو الذكر والمرأة الأنثى . أما «مر - ع» فتعني أخصب أيضاً . ومرع الوادي أكلأ وأخصب بكثرة الكلأ . وأمرع القوم كانت مواشيهم في خصب . والمريع الخصيب ، والأمروعة الخصبة ، والممراع الخصيب ، ورمعت (بالإبدال بالقلب) المرأة أيضاً ولدت .
وكلمة «رب - أ» زاد وكثر ونما .
وكلمة «رب - ع» بالإبدال بين الألف والعين تعني أيضاً أخصب وأربع فلان أكثر من الجماع ، وربيع رابع أي مخصب ، والربيع أي الخصيب وهو فصل الخصب .
أما إذا أضفنا الألف إلى أول تلك الأسماء ليصبح نداً لكل من الحرفين في الاسم تألفت أقانيم الخصب الثلاثة الزوج والزوجة والابن ، ويصبح معنى الكلمة كما يلي :
«أ - سر» «أي ابن سر» أو أبناؤه . «أ - مر» أو «عمر» بالإبدال الشائع بين الألف والعين» أي أبناء «مر» «ا - رب» أو «عـ - رب» ابن رب أو أبناؤه ..
وبناء على هذا فقد توزعت اللغة العربية القديمة إلى ثلاث لهجات رئيسية هي :



أقدم «نوتة» موسيقية في العالم، من مكتشفات أوغاريت، الألف الثالث قبل الميلاد. وهي تقوم على السلم السباعي الدياتوني الذي نقله فيثاغورث الصوري إلى بلاد اليونان عام 500 ق. م أي بعد أكثر من ألفي عام من وضعه على أيدي قدماء السوريين.

السريانية في الشرق ، والأمورية في الغرب ، والعرباء أو « النقية أو الشديدة العروبة مثل ليلة ليلاء » في جوف شبه جزيرة العرب .

وبينما كانت اللهجة الشرقية تضيف الصوت « و » إلى آخر الأسماء كانت الغربية تضيف الصوت « ا » والعرباء تضيف التنوين . إن كلمة « جملٌ » مثلاً كانت في الشرقية « جمْلو » وفي الغربية « جملا » أو « غملا » إذ كان الآموريون والفينيقيون يلطفون أحياناً حرف الجيم إلى « غ » .

وهذه هي اللهجة التي ما تزال تتحدث بها قرية معلولا حتى اليوم ويدعوها المستشرقون ، بعد أن زورت جغرافيا الأحداث التوراتية ، آرامية ، وهذا غير صحيح كما سوف نرى فيما سيأتي .

وحينما كان يريد سكان أجادا زمن سرجون ، أو سكان بابل زمن حمورابي أن يقولوا بلهجتهم الشرقية « الجمل يرعى العشب » كانوا يقولون « جملو روعي عسبو » بينما كان الفينيقيون يقولون « غملا روعي عسْبا » الخ .

وهكذا يتبين لنا بوضوح بعد كل ما تقدم ، كيف أن اللغة كشفت هوية السكان القومية العربية منذ أن ظهرت النصوص والرقم المكتوبة بالأبجدية الحرفية ، وتبين كيف أن العربية هي اللغة الأم الموزعة إلى لهجات رئيسية تتفرع هي الأخرى بدورها إلى لهجات فرعية كثيرة ، وهذا أمر طبيعي .

ولقد أضافت اللهجة العرباء في وقت متأخر الأحرف الستة « ثخذ ضظغ » إلى الأبجدية الكتابية ودعيت بلغة الضاد تمييزاً لها عن شقيقتيها السريانية الشرقية والآمورية (والفينيقية جزء منها) الغربية ، ودعيتا بالعجميتين أي الصعبتين على الفهم لأن عجم واستعجم ما صعب فهمه ولو كان عربياً ، وليس نسبة إلى أية لغة أجنبية أخرى ، ولقد كانت كل من السريانية الشرقية والعمورية الغربية تستعيض عن الضاد بحرف العين في أغلب الحالات ، إن كلمة « ضان » « غنم » ، كانت بالشرقية « عانو » وبالغربية عانا ، وكلمة « بيضة » كانت « بيعتو » و« بيعتا » .. ولسنا هنا في مجال الاستطراد خلف الأمثلة والشواهد الكثيرة .

أما لماذا لم يسجل هؤلاء الأجداد لنا في مدوناتهم انتماءهم العربي أو لماذا لم يطلقوا على دولتهم نعت العربية ، فإن ذلك لم يكن يشكل مسألة قائمة في



الامبراطور السوري فيليب العربي الذي أصر أن يكون لقبه الأوحد «العربي» وهو امبراطور لروما . (متحف الفاتيكان) .

ذلك الزمن ، فقد كانت دولتهم هي الوحيدة سواء في سوريا ، أم في وادي النيل ، وكانت العروبة شيئاً يعيشونه ويمارسونه من خلال اللغة الواحدة كما يتنفسون الهواء ويشربون الماء دونما أي ما من شأنه أن يشعرهم بأن عليهم



الامبراطورة السورية «جوليا سوميا» بنت اخت جوليا دومنا . (متحف الكابيتول ، روما) .

أن يؤكدوا هويتهم ، إذ أنهم كانوا أينما تنقلوا وحلوا من الخليج شرقاً إلى الأطلسي غرباً ومن شواطىء البحر الأسود شمالاً إلى بحر العرب جنوباً يجدون أن لغتهم هي لغة التفاهم والتواصل الوحيدة .



الامبراطور السوري «جيتا» ومعنى اسمه بالفينيقية «نعيم». وهو ابن جوليا دومنا. (المتحف الوطني، روما).

فكان التمايز أو التنافس ليس مع دولة أجنبية ولم يكن لها بعد من وجود، بل مع منافسين داخليين، وكانت ألقابهم في بلاد اليونان مثلاً «السادة، المعلمون، أبناء الآلهة» وهذه الظاهرة نفسها تنسحب على الدولة الأموية أو



الامبراطورة السورية «جوليا ميزا» (متحف الكابيتول روما)

العباسية ولم تنف عنهما صفة العروبة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أولئك السوريين الفينيقيين الذين حكموا في الخارج، ولا سيما في روما، وشعروا بالتنافس الخارجي سرعان ما كانوا يعمدون إلى الاصرار على إبراز أصلهم العربي، فها هو «سبتيمو سفيرو» امبراطور روما، وهو فينيقي من لبدة «طرابلس الغرب حالياً»، أصر على أن يكون «العربي» من بين ألقابه[10]

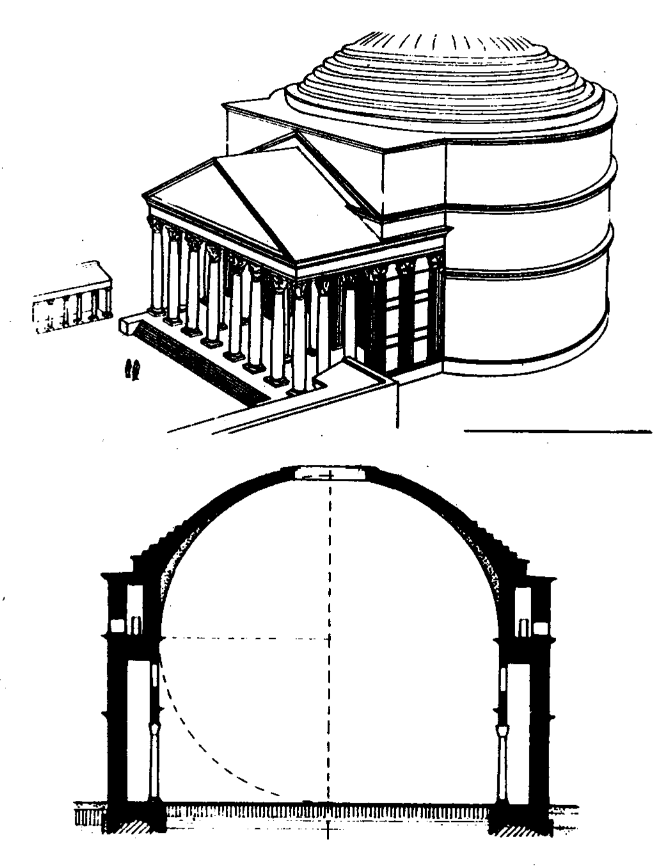


الامبراطورة السورية «جوليا ماميا» (متحف الفاتيكان)

الثلاثة وقد حكم هو وزوجته الحمصية جوليا التي تحولت في روما من امبراطورة إلى ربة، ثم ابنها جيتا، ثم ابنها كراكلا، ثم ابنة أختها جوليا ميزا ثم جوليا سميا ثم جوليا ماميا. كما أن فيليب العربي من شهبا في حوران الامبراطور السوري السابع الذي حكم روما أصر هو الآخر على أن يكون



الامبراطور السوري هيليو جبال ، ومعنى لقبه (سبحان الخالق) وليس (إله الجبل) كما يزعم . وهو الذي وطد الحكم في روما ، وحارب البرابرة في أوروبا في منطقة الدانوب وانتصر عليهم ، واستعان بأقربائه السوريين في الحكم ، وجعل أخاه قائداً على جيوش الشرق . (متحف الكابيتول) .

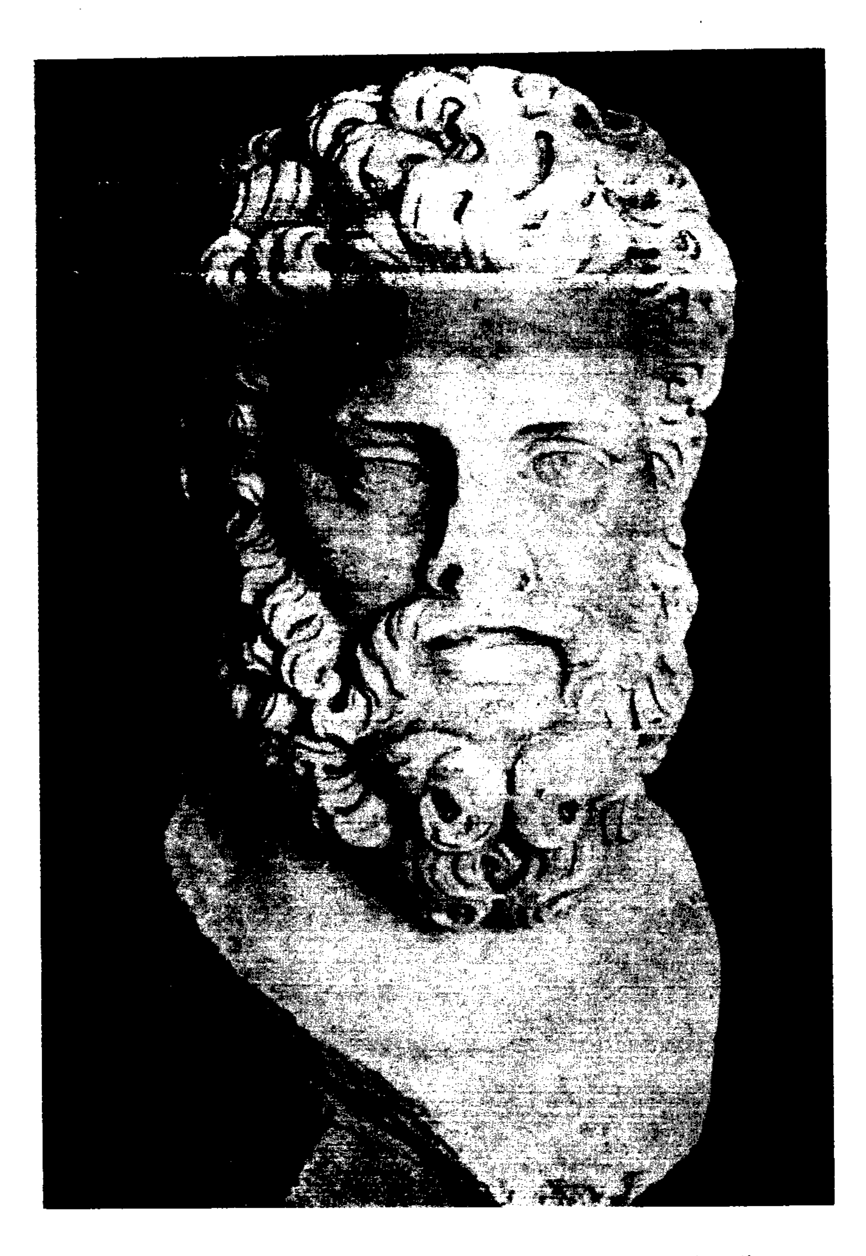


معبد البانثيون في روما ، وهو أروع المباني الدينية ، صمّمه وأشرف على تنفيذه المهندس المعمار السوري الشهير أبولودور الدمشقي . وتعتبر قبته أكبر القباب في العالم القديم .

لقبه الأوحد « العربي » فدعي «فيليبو أربيو » وترجم إلى اللغات الأخرى PHILIP THE ARAB ولم يكن ذلك سوى إحساس أكيد من أولئك الفينيقيين العظام بانتمائهم العروبي الأصيل وهم يبنون حضارة روما . ويؤكد كثير من المؤرخين اليوم كما أكد المؤرخون الأقدمون والمحدثون أنه حكم روما جيلان من الأباطرة : جيل من النبلاء المثقفين السوريين وجيل من الهمج اللاتين .



الامبراطور السوري «كراكالا» ابن جوليا دومنا . ويعني اسمه حصن الرب ، وكان هذا الاسم يطلق على عباءة أو مدرعة عربية قديمة .



الامبراطـور السوري الفينيقـي سبتيمـو سفيـرو امبراطـور رومـا 193—211م . وقد أصر أن يكون لقبه « العربي » .



الامبراطورة السورية جوليا دومنا . و « دومنا » بالفينيقية تعني المثيلة ، النظيرة ، نظيرة الرب . عبدها الرومان وحولوها إلى إلهة . وهي بنت كاهن بعل حمص ، وزوجة الامبراطور سبتيمو سفيرو الذي هو من لبدة في ليبيا .



تمثال السيدة السورية «سيريس» (السيدة ، الشعرى) التي كان لها فضل تعليم السكان زراعة القمح في بلاد اليونان وأوروبا . عثر عليه في المعبد المشيد في أعلى المسرح في لبدة (ليبيا) ، وقد أقيم في عهد حكم الامبراطورة السورية جوليا دومنا .

بقي أن نشير هنا إلى أن شبه جزيرة العرب زمن الخصب لم تكن مسرحاً للبدو ، وكانت تضاريسها تتوزع بين السراة أي الجبال وبين البادية أي الأرض الظاهرة أو المكشوفة ، ولم تصبح كلمة «بادية» مرادفة لـ «صحراء» إلا بعد أن أصابها التصحر وغلب عليها في حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد فصارت برية العرب «عربت سابقاً» مسرحاً للعرب البداة الرعاة المنتقلين وشبه المستقرين ، ثم ما لبثت كلمة «عرب» أو «أعراب» تطلق على سكان تلك البرية من سكان «عربة» تحديداً دون سواهم ، وقد التصقت بهم صفة البداوة ، وسكن الصحراء . لكن هذا يجب ألا يجعلنا نغفل عن عروبة البقعة التي كانت تمتد من البحر الأعلى إلى البحر الأدنى ، ومن الخليج العربي إلى المتوسط فشاطىء الأطلسي والتي غذت بالعنصر العربي أفريقيا الممتدة من الحبشة والصومال شرقاً مروراً بوادي النيل والسودان وصولاً إلى شاطىء الأطلسي غرباً ، تشهد على ذلك اللغة والفكر والثقافة والديانات والأساطير والتقاليد والآثار المكتشفة ، وبتعبير آخر وحدة السكان واللغة والحضارة على مدى سبعة آلاف من السنين .

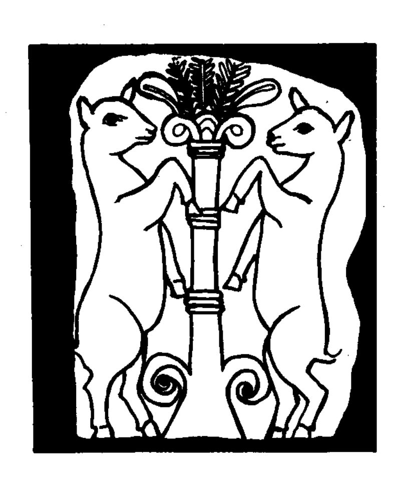
الانسان العربي هو الأصل والأرض العربية هي المهد :

قبل أن ننتقل إلى الحديث عمن دعوا بـ «الساميين» نرى أن لابد لنا من التوقف قليلاً عند الحقائق التالية :

1 ـ لقد ثبت علمياً وتاريخياً ووثائقياً أن الأرض العربية هي مهد الانسان العاقل الأول على هذا الكوكب ، وأن وجوده عليها بقي مستمراً دونما انقطاع خلال عشرات الآلاف من السنين ، هذا ما أكده مؤخراً جميع علماء إنسان ما قبل التاريخ ، وقد أغنى البروفيسور «كون» الأستاذ في جامعة بنسلفانيا هذه الحقيقة بالنتائج التي توصل إليها من خلال حفرياته في «غاري» (ثنية البيضا) و«جرف العجلا» القريبة من تدمر مؤكداً أن سوريا والصحراء العربية ، التي كانت جنة من الخصب على الأرض قبل أن يصيبها التصحر في العصر الدفيء الأخير إنما هي مهد إنسان الهومو سابيانس جد الإنسان الحالي ، والمكان الذي انطلقت منه كل الأقوام التي سكنت كل القارات ، فقد



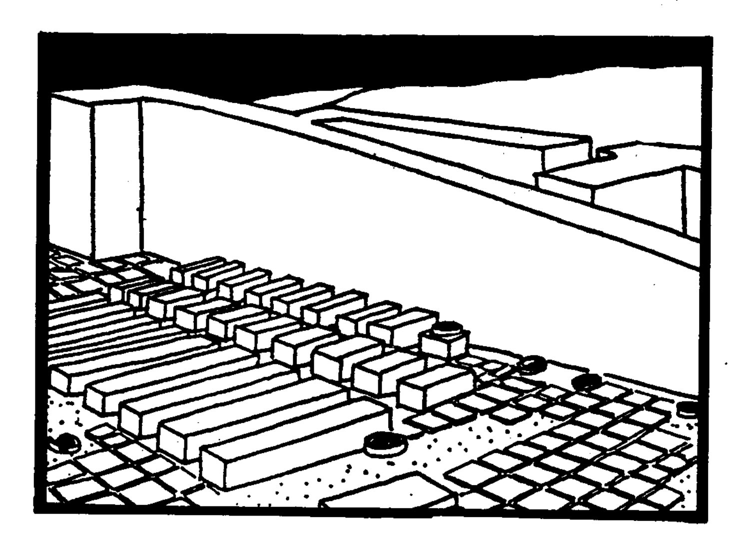
شجرة الحياة أو الخصب رمز عشتار . من الفن العربي الأكادي ، وهي أساس فن الأعمدة في العمارة السورية القديمة التي انتقلت إلى بلاد اليونان وصارت تدعى بـ « الكورنثية » .



عثر في المكانين المتقدم ذكرهما على أدوات صوانية وبقايا عضوية من العهدين الأشولي والموستري الليفالوازي ، ويعود تاريخ الزمن الأول إلى 60 ألف سنة قبل الميلاد ، والزمن الثاني إلى 30 ألف سنة قبل الميلاد ، مما جعل

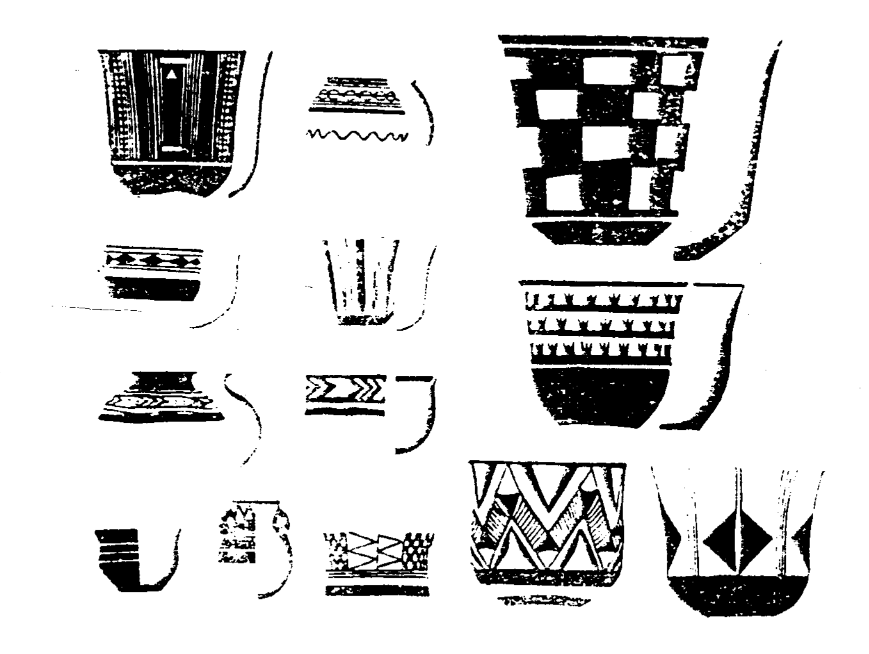


آدم وحواء والخطيئة الأولى . رسم بابلي يعود للألف الثالث قبل الميلاد .



صورة لمدرسة تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد . من مكتشفات «ماري»
في سوريا .

الأستاذ «كون» يقول ان هذا الانسان أقام في تلك البقعة 30 ألف سنة متعاقبة ، وهذه المدة الطويلة لم تتحقق لأية إقامة بشرية في أية بقعة أخرى من العالم ، وقد وجد الانسان العاقل في غابات المنطقة المكتظة والمندثرة حالياً ، ومراعيها الخصيبة الزائلة خير مكان يقطنه ويتطور فيه خلال الأزمنة التي كانت فيها الحياة متعذرة في أماكن أخرى بسبب الجموديات والثلوج .. وكل الدلائل تشير إلى أن عناصر عربية هائلة يطلق عليها المؤرخون اسم الآكاديين أقامت خلال الألف الرابع قبل الميلاد في العراق وصحراء الشام

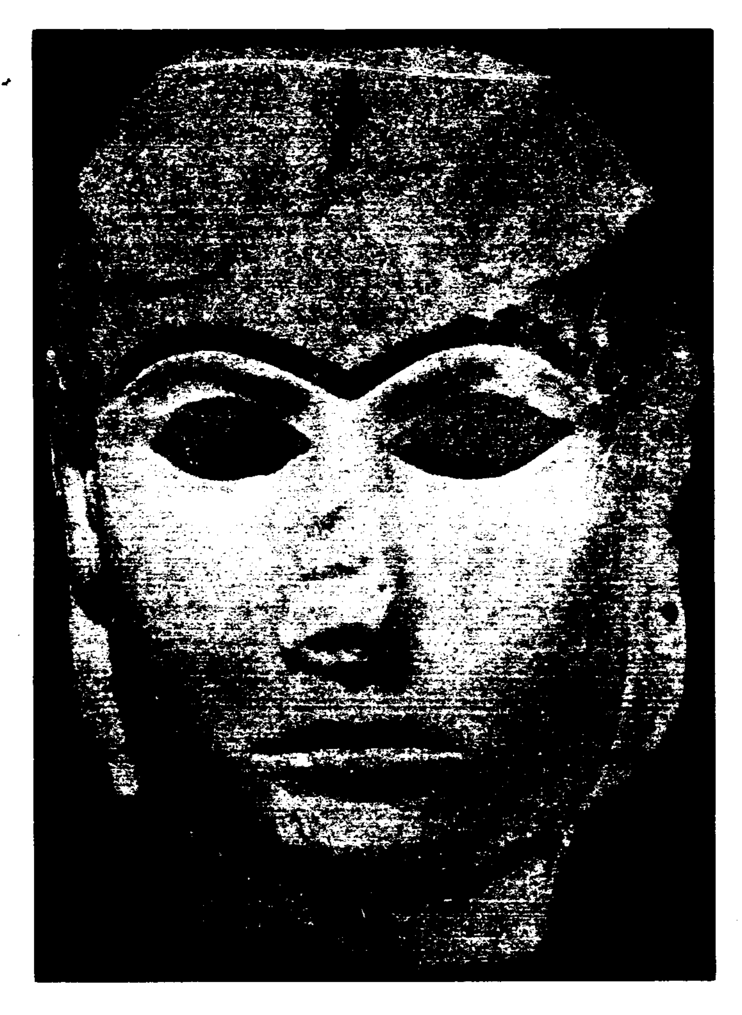


فخاريات مزينة من حضارة العرب العبيديين . نهاية الألف الخامسة قبل الميلاد (حسب توبلير) .

وسورية (الحالية) وأسهمت في إنشاء وتطوير جميع المدنيات التي نعرفها من مكتشفات موقعي تل حلف والعبيد وغيرهما »[11] .

2 - إن التراكمات الحضارية الكمية للتجمعات البشرية لهذا الانسان هي التي أدت بالضرورة إلى تطورها النوعي ، فكانت منشئة أولى قرى الصيادين في العالم وكانت أول من عرف التدجين والزراعة والتجارة والدين والحرفة والفن والعلم والأسطوة وغيرها ، وذلك منذ أن أنجزت أول ثورة زراعية في العالم حوالي الألف الثاني عشر قبل الميلاد .

3 - إن عقيدة الخصب الزراعية التي أبدعها إنسان هذه التجمعات قد تركت لنا تراثاً هائلاً زودنا بمعطيات أساسية قد مكنتنا من الكشف عن حقيقة هويته القومية العربية من خلال أسماء الأرباب والمدن والأبطال الخالدين من أبنائه ، فمن المعروف أنه ما ان انتقل هذا الانسان من حياة الصيد والتنقل إلى حياة



راس امرأة من أوروك ، حجر مرمري . الألف الثالث قبل الميلاد (بغداد ، المتحف العراقي) .

الزراعة والاستقرار حتى انتقل التقديس من القمر راعي الرعاة إلى الشمس راعية الخصوبة والانبات وإنضاج المحاصيل . فصارت أسماؤها والصفات المقترنة برب الشمس هي السائدة في كل أرجاء الوطن من الخليج العربي إلى البحر المتوسط ، ومن أعالي الفرات إلى أعالي وادي النيل . ومن أسماء الرب

العربية الحديثة	اللاتينية	اليونانية القديمة	العربية الفينيقية	رأس الشمرة
ء	A	A	[illegible]	[illegible]
ب	B	B	[illegible]	[illegible]
ج	C G	Γ	[illegible]	[illegible]
د	D	Δ	[illegible]	[illegible]
هـ	E	E	[illegible]	[illegible]
و	F V	Y	Y	[illegible]
ز	...	I	[illegible]	[illegible]
ح	H	B	[illegible]	[illegible]
ط	...	⊗	⊕	[illegible]
ي	I	S	[illegible]	[illegible]
ك	...	K	[illegible]	[illegible]
ل	L	LΛ	[illegible]	[illegible]
م	M	M	[illegible]	[illegible]
ن	N	N	[illegible]	[illegible]
س	X	Ξ	[illegible]	[illegible]
ع	O	o	o o	[illegible]
ف	P	Γ	[illegible]	[illegible]
ص	...	...	[illegible]	[illegible]
ق	Q	Ϙ	[illegible]	[illegible]
ر	R	P	[illegible]	[illegible]
س ش	S	Σ	w	[illegible]
ت	T	T	x	[illegible]

الأبجدية العربية الفينيقية هي الإغريقية القديمة وهي أصل الكتابة في الغرب كله .

الشمس في ديانة الخصب العربية : الراني ، الراعي ، العلي ، الرقيب ، الحامي ، البهي ، السني ، المنير ، المعجز أو صاحب الآيات والأعاجيب ، فكانت كل منطقة تتوجه إلى الرب الشمس بأحد أسمائه هذه ، (انو) في منطقة السراة

والخليج، و« رن » (الراني البصير، الشفوق) في منطقة السراة، و« رع » (الراعي، الرقيب، الحامي المعتني) في وادي النيل و« آل » أو « عل » (العلي، السامي) في كل ما يدعى اليوم بشبه جزيرة العرب، ومن ألقاب « ايل » أيضاً « جرونو » وتعني بالعربية القديمة البهي، المنير، الساطع، و« زيو » وتعني البهي، السني، المتلألىء، الساطع، وهي الصفة أو اللقب الذي انتقل مع العرب السوريين إلى ما دعي فيما بعد ببلاد اليونان وتقدس هناك..

4 - إن استخدام علم اللغات استخداماً علمياً موضوعياً يبين لنا وجود الوحدة اللغوية العربية لجميع أقوام الوطن العربي القديم، وهو ما دل عليه أيضاً علم الكتابات القديمة حيث أكد وحدة الكتابة عندهم، والتي تجسدت بوجود كتابة واحدة، تطورت من التصويرية، إلى المسمارية المقطعية، فالمسمارية الأبجدية، ثم إلى الأبجدية الحرفية التي عمت العالم القديم بأسره منذ ذلك الحين وحتى اليوم.

5 - وبالنسبة لعلم الآثار، فإن المتخصصين فيه وفي جميع العلوم المساعدة له من علم قراءة الخطوط القديمة أو الباليوغرافيات إلى علم اللغات، وعلم الشيفرة، وعلم الوثائق، وعلم النقود، وعلم الأختام، وعلم النقوش، وعلم الأسماء، وعلم الأقوام والعروق وغيرها قد تعاونوا معاً في قراءة آثارنا الغنية كماً ونوعاً، والتي توزعتها متاحف الدول الغربية، فشكلت تسعين بالمئة من محتوياتها المتعلقة بالعصور القديمة، وهذا طبيعي، لأن تاريخ حضارات العصور القديمة، مثله مثل تاريخ حضارات العصور الوسطى، هو في غالبيته الساحقة لايخرج عن إطار الحضارة العربية، نعود فنقول: إن معطيات كل تلك القراءات الآثارية تؤكد جميعها وحدة الحضارة للشعب العربي في الأرض العربية كلها بكل تسمياتها عبيدية، أو سومرية، أو آكادية، أو بابلية، أو آشورية، أو فينيقية، أو مصرية، أو غيرها.

6 - في الوقت الذي تؤكد هذه المعطيات جميعها أن الوطن العربي هو مهد الانسان العاقل ومهد حضاراته المتنوعة عبر العصور، فإنها تؤكد، في الوقت نفسه، عدم وجود أية حضارة أخرى عاقلة متواقتة مع حضاراته أو سابقة

لها ، وبالتالي فقد استحق بجدارة أن يسمى بـ « مهد الحضارة » وتسقط عنه تلك التسمية المغرضة « ملتقى الحضارات » ، كما تسقط معها المقولة المغرضة الأخرى حول « الحضارات الوافدة إلى المنطقة » ومنها حضارة السومريين ، بعد أن أكد جميع العلماء المنصفين والموضوعيين في العالم بطلان مثل هذا الزعم ، ومنهم أدوارد دورم الذي كتب يقول : « إن علاقات هذه الأقوام بالأمم التي كانت قبلها مقيمة هناك ، وهي من نفس المنشأ ، كعلاقات سكان السهوب بسكان السهول ، أو العلاقات التي تعكسها الأسطورة السومرية بين أنكيدو وجلجامش ، فالعربي الجديد قبل عصر التاريخ مباشرة هو أنكيدو ، والعربي القديم المتمدن المقيم هو جلجامش ، والاتفاق بين البطلين كان اتفاقاً بين سكان السهوب الرحل وسكان السهول من الحضر ، وسيصبح نموذجاً للاتفاق الذي يجري بين فترة وفترة ، وسنة وسنة ، ويوم ويوم ، منذ ذلك التاريخ وحتى عصرنا هذا أثناء قدوم العناصر العربية من شبه جزيرة العرب ، وترشحها إلى العراق وسوريا والأردن وغيرها ، كما يقول العالم رنيه دوسو »[12] .

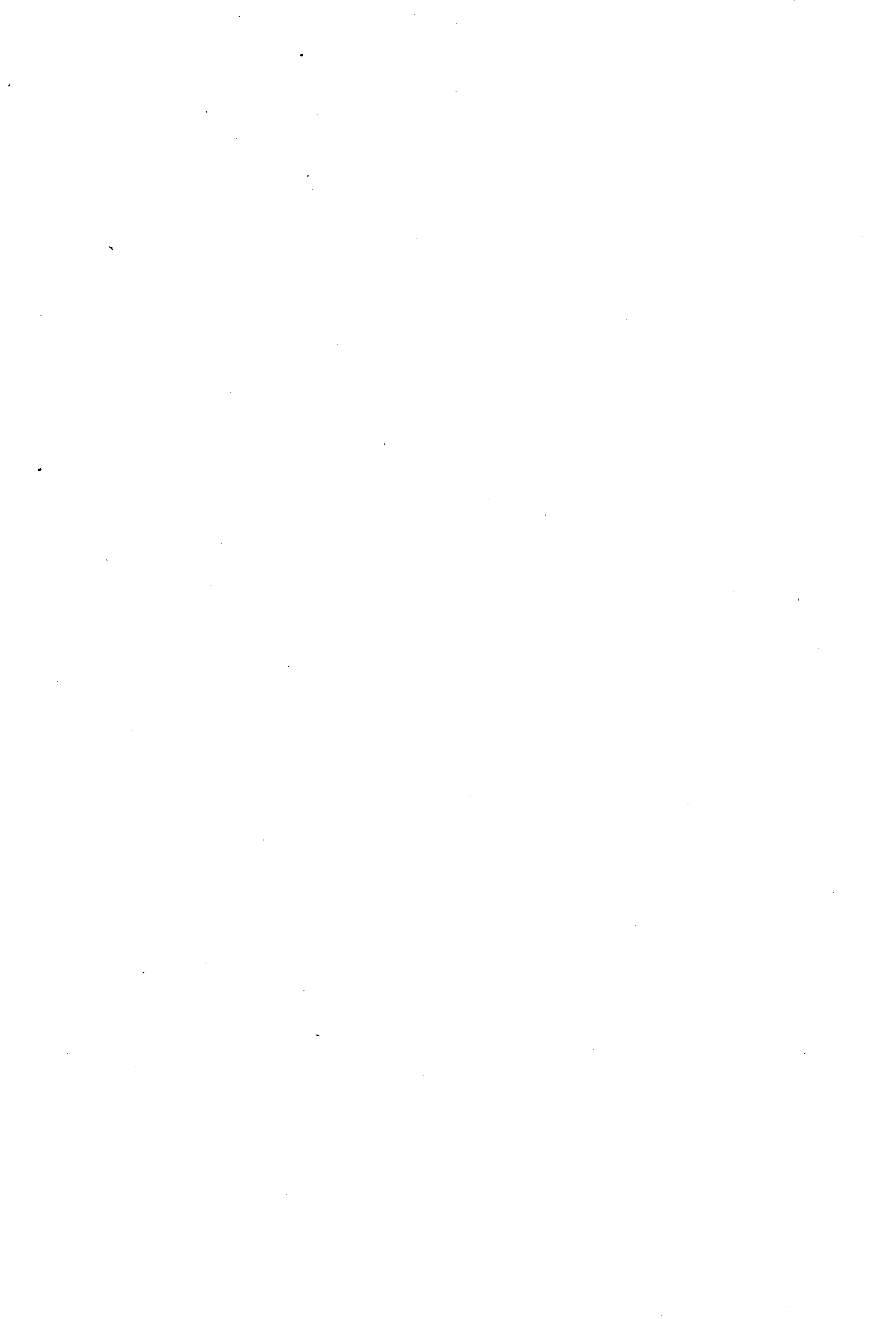
أما أولئك الذين اعتمدوا ما قرره ذات مرة صموئيل نوح كريمر حول أن لغة السومريين غريبة عن المنطقة فإن علم اللغات ما لبث أن دحض ذلك ، لقد تكشفت حقيقة كل تلك الكلمات والأسماء التي توقف عندها كريمر محتاراً ، ونحن هنا نورد نماذج من الكلمات التي توقف عندها كريمر في كتابه « من ألواح سومر » . لقد توقف كريمر عند كلمات مثل أنكيدو ، شجرة الهلبو ، بكّو ، مكّو ... وغيرها .

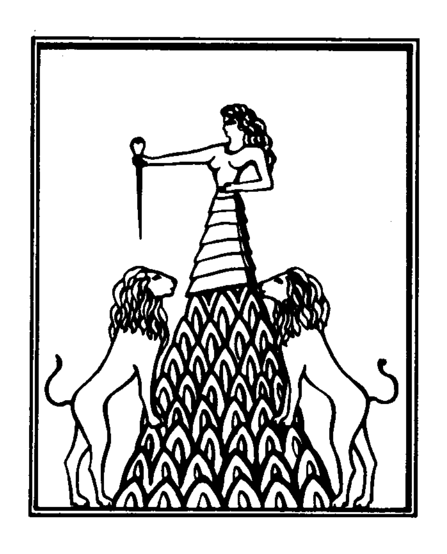
إن أنكيدو في الأصل هـ نقيدو ، فالهاء أداة التعريف العربية القديمة كانت تلفظ كالهمزة في كثير من الأحيان ، أما « نقيدو » فهي في القاموس الأكادي أو الكلداني ، أو السرياني ، أو الفينيقي راعي الغنم ، ورئيس الرعاة وفي قاموس « محيط المحيط » نجد : « والنقد أيضاً جنس من الغنم قبيح الشكل صغير الأرجل يكون بالبحرين ، ومنه المثل أذل من النقد ، وقال الأصعمي أجود الصوف صوف النقد ، وقال الشاعر :

لـو كنتـم مــاء لكنتـم زبـداً   أو كنتـم ضانــاً لكنتـم نقــدا

وهذا دليل لغوي آخر على أن أصل السومريين من منطقة الخليج حيث جنتهم

الغريقة في دلمون عند البحرين.
أما «شجرة الهلبو» فهي «الحلفا» إذ أن العرب القدامى كانوا يلفظون الفاء P. وهي الشجرة التي قطعتها «أنانا» لتصنع منها الـ «بكو» والـ «مكو» اللذين احتار كريمر في معنييهما، ثم افترض أنهما «الطبل» و«مضرب الطبل» فنقلها عنه النقلة العرب كحقيقة لغوية علمية ثابتة في الوقت الذي وضعها هو افتراضاً[13].
ونحن لو فتحنا أياً من القواميس العربية القديمة لوجدنا:
«بكو» تعني النول، نول الحياكة، و«بكت» تعني نسج، حاك، أما «مكو» و«مكوكو» فتعني المكوك. وهكذا نجد أن «أنانا» قطعت شجرة «الحلفا» لتصنع من الجذع «نولا» ومن الفرع «مكوكا» كما هو وارد في القصة، وتظهر حقيقة اللغة التي تكلم وكتب بها العرب السومريون عربية صميمة لاتختلف عن بقية شقيقاتها العربيات إلا باللهجة. فالسومريون كانوا يلفظون القاف قريبة من الجيم المصرية كما يلفظها عرب المناطق الشرقية حتى اليوم.
من كل ما تقدم نخلص إلى النتيجة الحاسمة، وهي أن الوجود العربي في الأرض العربية سابق لوجود أي شعب آخر، وقد أبدع على هذه الأرض أولى حضارات العالم، ومنها انتقلت إلى باقي أصقاع العالم القديم.





الحلقة الثانية

«السامية» بدعة يهودية حديثة و«الساميون» فرع من فروع العروبة

من أجل الحديث مفصلاً في موضوع «الساميين» لابدّ من أن نتثبّت، أولاً، الحقائق التالية:

1 - إن الوجود العربي، كما سبق وبينا، وكما هو أكيد لدى جميع العلماء المنصفين اليوم، وهم كثر، إنما هو وجود موغل في القدم لآلاف السنين قبل اختراع الكتابة، ويمتد لعشرة آلاف عام على الأقل من الحضارة الزراعية المستقرة، ويغطي أرجاء الوطن العربي القديم.

2 - لم يعثر على هذه التسمية «السامية» في أي من المكتشفات الآثارية التي تعج بها المنطقة العربية كلها.

3 - إن المصدر الكتابي القديم الوحيد الذي ذكر خارطة النسب المتضمنة خط سام وأبنائه وأحفاده إنما هو مدونات التوارة.

4 - إن مدوني التوراة لم يخترعوا هذا الخط النسبي، بل نقلوه من تراث المنطقة العربية الذي يتناقله سكان شبه جزيرة العرب تحديداً شفوياً أو كتابة، ثم نقله غيرهم من الكتبة أو الرواة أو الاخباريين العرب.

5 - إن سام - حسب خط النسب المدون - هو ابن نوح، ونوح هو رجل الطوفان، ولقد أجمع المؤرخون في العالم على أن حادثة الطوفان هذه وقعت في حوالي 3000 سنة قبل الميلاد، وبالتالي فإن زمن سام بن نوح يعود إلى ذلك التاريخ.

6 - بناء عليه فإن العرب الذين كانوا يغطون الأرض العربية كلها، وأقاموا مدنهم الزراعية من أعالي الفرات إلى أعالي النيل، ومن الخليج إلى البحر منذ الألف التاسع والثامن والسابع والسادس والخامس والرابع (زمن اختراع الكتابة) قبل الميلاد، إنما هم سابقون لسام بآلاف السنين ولا يصح، بالتالي، أن نعتبرهم ساميين، لأنه لايصح أن ننسب الأجداد إلى الأحفاد، بل العكس هو الصحيح، أي إن «سام» وبنيه وأحفاده جميعهم من العرب.

7 - إن «الساميين» أو بني سام وأحفاده هم فرع من فروع العروبة، مساكنهم في معظمهم في جوف شبه جزيرة العرب بعد أن أصابها التصحر، وأولاده، كما ذكرهم الطبري في تاريخه، هم: عابر، وعليم، وآشور، وأرفخشد، ولاوذ، وأرام، وكان في مقامه بمكة. «فنزل بنو سام المجدل

سرة الأرض وهو ما بين ساتيدما إلى البحر وما بين اليمن إلى الشام وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة والبياض فيهم »[1] .

8 ـ هذه النقطة بالذات « وجعل الله النبوة فيهم » هي بيت القصيد الذي جعل اتباع الديانات العربية السماوية الثلاث يهتمون بنسب الأنبياء ، فيحفظونها أو يدونونها ، فكان الاهتمام بنسب فروع سام ولا سيما فرع آرام .

9 ـ وإذا نظرنا إلى خارطة نسب آرام نجد أن أولاد آرام هم : جديس ، وجاثر (وهو أبو ثمود) ، وعبيل ، وعبد ضخم (أو حويل) ، وعوص (وهو أبو عاد) ، وجميعهم ، كما تؤكد المصادر العربية كلها ، من العرب البائدة ، وماش بن آرام بن سام وهو أبو النبيط وكان مسكنهم في كوثى عند بابل المحطة في شبه جزيرة العرب .

وفي الكامل لابن الأثير نجد : « وكانوا عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضري ، وكانت العرب تقول لهذه الأمم ولجرهم العرب العاربة .. فكانت عاد بهذا الرمل إلى حضر موت ، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى ، ولحقت جديس بطسم وكانوا معهم باليمامة إلى البحرين ، واسم اليمامة إذ ذاك جو ، وسكنت جاثم عمان ، والنبط من ولد نبيط بن ماش بن آرام بن سام » .

ويقول الطبري « فلما هلكت عاد قيل لثمود آرام أو إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني آرام آرمان فهم النبط »[2] .

10 ـ من هذه البقية الباقية من ولد آرام كان إبراهيم ، فقد أكدت مدونات التوراة أن إبراهيم كان آرامياً « آرامياً تائهاً كان أبي »[3] .

11 ـ وإن إبراهيم ولد اسماعيل ابنه البكر من هاجر ، واسحق من سارة ، أما اسماعيل فهو الجد الأكبر لعدنان ، الذي هو الجد الأكبر لهاشم ، الذي هو الجد الأكبر لمحمد ، وفي « لسان العرب » لابن منظور في باب « كوثى » إن علياً ابن أبي طالب سئل : من أنتم نسباً ، فقال : نحن قوم من نبيط في كوثى ، وهذا تأكيد على نسب محمد وعلي إلى إبراهيم ، إلى نبيط بن ماش بن آرام بن سام .

أما اسحق بن إبراهيم فقد ولد يعقوب الذي لقب بـ « إسرائيل » أي أسير إيل ، أي عبد الله ، ويعقوب هذا ولد الأسباط الاثني عشر من شمعون ولاوي إلى يوسف وبنيامين ، فإبراهيم وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب والأسباط جميعهم

من العرب الآراميين، وحتى ذلك التاريخ ليس ثمة على الأرض شيء اسمه دين يهودي أو يهودية.
أما كيف انتقلت مواقع أولئك العرب من الآراميين البائدين إلى سوريا الغربية، وجعلت أرض سوريا الحضارية التي تعج بالمدن الكبرى من ماري شمالاً إلى دمشق وصور وأوغاريت جنوباً والتي لم تتبدل عن كونها جزءاً من الدولة المركزية منذ سرجون الآكادي وحتى أواخر عهد زنوبيا، فتحولت فجأة على أيدي مزوري التاريخ إلى مسرح لمجموعات بدوية متناحرة من أجل بئر ماء أو سقاية بعض الأغنام دعوها زوراً بـ «الممالك الآرامية في سوريا»، فإن ذلك ناجم عن التزوير الاستشراقي والصهيوني في تفسير جغرافيا الأحداث التوراتية، وهذا ما سوف نتوقف عنده مفصلاً في فصول قادمة.
وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن هؤلاء الفروع، وعن التسميات التي التصقت بالسكان لابد من التوقف قليلاً عند مصطلح «الساميين».

«السامية» بدعة يهودية حديثة:

لقد ولدت هذه التسمية لأول مرة على يد اللاهوتي اليهودي النمساوي «شلوتزر» في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في محاولة صريحة لإضفاء نوع من القدسية على ما دعاه آنذاك بـ «لغة الكتاب المقدس»، مفترضاً أن ثمة ما يدعى بـ «اللغة العبرية» نزل بها كتاب التوراة، وذلك بعد أن لمس حماسة كثير من العلماء والباحثين اللغويين إلى دراسة اللغات الشرقية القديمة.
ثم ما لبث أن عبر عن نظريته بالفكرة المعروفة التالية: «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين إلى بلاد العرب جنوباً سادت لغة واحدة، ولهذا كان السوريون والبابليون والعبريون شعباً واحداً، وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضاً يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسميها اللغة السامية..».
ثم ما أن بدأ القرن التاسع عشر، حتى تلقف هذه البدعة لاهوتيون يهود آخرون، وضعوا نصب أعينهم تبني هذه «الفرية»، ونشرها، وأخذوا على عواتقهم كتابة تاريخ الشرق العربي القديم والإسلامي بصورة يبرزون فيها ما دعوه بالعبريين واليهود، ويسفهون العرب وتاريخهم ومحمداً والقرآن

الكريم. وكان من أبرزهم جميعاً: المستشرق الألماني اليهودي أبراهام جيجر، والمستشرق الألماني اليهودي جوزيف ديرنبورغ، والويس سبرنجر، والمستشرق الروسي اليهودي دانيال شولسون وغيرهم.

وبعد الحرب العالمية الأولى أقامت الدول الاستعمارية منظمات ومؤسسات استشراقية كان ديدنها تشويه تاريخ الشعب العربي وتقزيم حضارته، لأن التاريخ هو بمثابة الذاكرة للشعوب، فتلقفت ذلك الاختراع اليهودي، وبالتعاون مع الحركة الصهيونية التي وضعت نفسها في خدمة تلك الدول مقابل حصة استعمارية ما، فقد أحدثت ذلك التزوير الفادح في تفسير أحداث التوراة وفي جغرافيتها، وتحول فجأة التاريخ العربي الذي هو تاريخ الحضارة الانسانية على هذا الكوكب، إلى تاريخ لدولة عبرية مزعومة في جنوب سوريا، وامبراطوريات هندو أوروبية مزعومة في شمالها، وإلى فلسطينيين أنكروا عروبتهم وزعموا أنهم من شعوب البحر الغربيين عن المنطقة، وإلى عشائر عربية آرامية تتصارع من أجل بئر ماء ومجموعة من الماشية تملأ الساحة من شمال سوريا إلى جنوبها.

واخترعت في المنطقة الشرقية تسمية جغرافية توراتية هي بلاد ما بين النهرين أو بلاد الرافدين لم يسمع بها أحد من قبل، ولم يعثر لها على أي وجود في الآثار، ثم جمعت هذه الأجزاء كلها في تسمية واحدة هي «الساميون» وجعلت «الدولة العبرية» المزعومة أهم دولة في المنطقة ما بين الفرات والنيل، ثم جرى تعميم هذا التاريخ الكاذب المصطنع على جميع المعاهد والجامعات في الدول الاستعمارية، ونشطت الحركة الصهيونية من أجل ترسيخه وتثبيته، ومن أجل ذلك فقد كلفت المدعو اليعازر بن يهوه باختراع ذلك الشيء الذي دعته بـ «اللغة العبرية» من العربية القديمة ليكون لغة رسمية لليهود الذين سوف يتم تهجيرهم إلى «الأرض الموعودة» من جهة، ولتكون لغة العلماء الآثاريين وكل المستكشفين في الأرض العربية التي تعج بالآثار القديمة من جهة ثانية. إن هذه اللوحة عينها هي ما تدرسه تلك الأوساط في كل الجامعات الغربية ومعاهدها، وهي، وبكل أسف، ما ينقله أبناء الأمة العربية ليدرسوه للأبناء والأحفاد في الجامعات والمدارس في الوطن العربي حتى اليوم.

يقول الباحث الفرنسي المعروف بيير روسي بهذا الصدد : « فبأية غفلة لا تغتفر تقدمت مدرستنا العلمية في ميدان ليس فيه شيء من الثبوت والصحة .. إنه من المتعارف عليه أن الجامعة جسم يحمي أعضاءه المؤمنين به من جهة ، ويقسو على معارضيه ، من جهة ثانية ، ولذلك سكت النقاد عندما لم يسكتهم أحد قسراً .

إن كثيراً من المعلمين والمفسرين قد فضلوا وهم الخائفون من مضايقة الأساتذة الذين تتلمذوا عليهم ، أن لا يأخذوا دورهم ، دائنين بذلك أنفسهم ، وموزعين نعيم تعليم لم يكونوا مؤمنين به أبداً ، ومخلدين وهما لم يكن من خلقهم .. ومخطئين على الرغم منهم ، وليس أقل من ذلك صحة كون العرب أنفسهم ، وهم المعتقدون بنجاحهم العالمي في الأخذ بيد الغرب ، قد وافقوا على التعريف بأنفسهم من قبل مراقبين أجانب ، لقد صدقوا بسهولة وعن طواعية الأحكام الجسورة المشهورة لمستشرقينا .. إن الضلالات التي يقودنا إليها السكوت أخطر من تلك التي يقودنا إليها الجهل .. إننا باختصار في جهل مطبق . جهل علمي متفق عليه »[4] .

تلكم هي « السامية » من حيث منشأها وأغراضها ، أما فيما يخص دحضها وإثبات بطلانها فالحديث في هذا يطول ويمكننا أن نوجزه بما يلي :

1 - إن سام هو ابن نوح ، لم يبتدع لغة ولم يتكلم لغة غير لغة أبيه وأمه العربية ، ولم يخرج خارج بني قومه العرب الذين يملأون الساحة العربية منذ آلاف السنين قبله . وما ينطبق عليه ينطبق على أبنائه من بعده ، فآرام بن سام لم يبتدع لغة ، ولم يتكلم لغة غير لغته العربية لغة آبائه وأجداده . وإن جميع مصادر التاريخ العربي تؤكد أن أبناء آرام جميعاً كانوا من العرب العاربة أي الشديدي العروبة وأنقيائها ، وقد بادوا جميعاً ما عدا بقية منهم كانت منهم عشيرة إبراهيم وذريته من بعده ، وهم جميعاً في شبه جزيرة العرب .

2 - إن سام هو أخو يافث وحام ، فكيف يصح أن يقتطع « سام » من بيت أبيه ومن بين إخوته عرقياً ولغوياً ؟ إذا كان ذلك كذلك ، ومن أجل احترام التراث التوراتي - على حد تعبير بيير روسي - فإنه ينبغي أن نقول « اليافثيون » وليس « الآريون » لأن « يافث » من أبناء نوح الثلاثة هو الذي نسل اليونانيين

والأناضوليين وأقاربنا الأوروبيين »[5].

وبهذه المناسبة أيضاً نقول : لقد تكشف أخيراً أن ما دعي باللغة الإغريقية القديمة ، لغة الحضارة في بلاد اليونان ، وباللغة الأتروسكية ، لغة حضارة إيطاليا القديمة إنما هي العربية القديمة »[6].

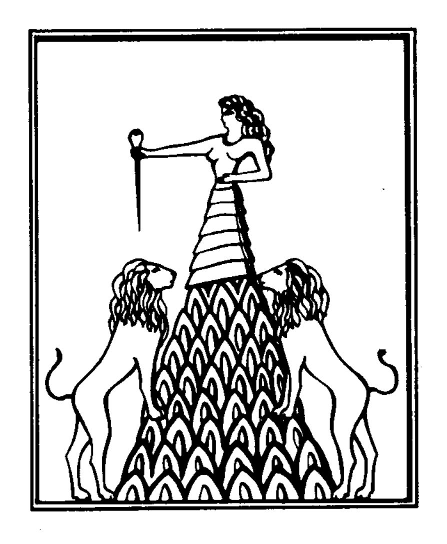
3 ـ إن كل ما يكتشف في الأرض العربية من آثار هي آثار عربية لا ذكر فيها لسام وللساميين ، وتعود في معظمها إلى آلاف السنين قبل أن يولد « سام » ، فكيف يستقيم الأمر مع مزوري التاريخ في الشرق والغرب بإلصاق هذه التسمية البدعة « سامية » بتلك الأقوام وبلغتها العربية القديمة الواحدة ؟

4 ـ أما قول « شلوتزر » بأن الفينيقيين حاميون فهو ناجم عن التزوير في تفسير جغرافيا التوراة ، إذ نقلوا عشائر الكنعانيين الحامية من مواقعها في أرض غامد من شبه جزيرة العرب إلى الساحل السوري ، ودمجوا في التسمية بينهم وبين الفينيقيين .

نتوقف عند هذا ونؤكد أخيراً أن « سام » وكل بنيه وأحفاده إنما هو فرع من العروبة ، وكان مسكنه الغالب جوف شبه جزيرة العرب . إنه جزء من كل ، فكما أن قريش هي فرع من العروبة وليست كلها ، فإن الساميين أحد فروع العروبة الضاربة جذورها عميقاً في الأرض والتاريخ وليسوا كلها .







الحلقة الثالثة

«العبرانيون»

لما كانت هذه التسمية «عابري» أو «عبراني» التصقت أول ما التصقت بإبراهيم الذي يعود زمنه في حساب كل المؤرخين والاخباريين العرب، إلى حوالي 1500 ق. م فإننا نجد من الضرورة بمكان الآن أن نعود إلى رسم الخارطة السياسية والجغرافية المناخية التي أصبحت عليها بلاد العرب في تلك الحقبة من التاريخ.

فمن الناحية السياسية كانت ثمة دولتان مركزيتان لاثالثة لهما على وجه الأرض بمفهوم الدولة الحقوقي والسياسي والعسكري والاقتصادي، وهما الدولة العربية السورية التي تأسست منذ عهد سرجون وكانت عاصمتها «آجادا» ثم بابل، وتمتد بحدودها من البحر الأسود شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، والدولة العربية في وادي النيل، والتي لم يطلق عليها اسم مصر إلا في زمن عربي متأخر من ذلك التاريخ. ولن نتوقف هنا عند العرب الآموريين والفينيقيين الغربيين سواء على طول الشمال الأفريقي أو في مستعمراتهم التي لاتحصى، والتي غطوا بها بلاد اليونان وإيطاليا وإسبانيا وجزر المتوسط وشطآن البحر الأسود، بل نركز على الوضع القائم آنذاك ما بين سوريا ووادي النيل وعلى شبه جزيرة العرب تحديداً لأنها هي مسرح ما سوف نتناوله في بحثنا من موضوعات.

كان يخترق شبه جزيرة العرب من الجنوب إلى الشمال خط القوافل التجاري الدولي الذي كان أهم شريان اقتصادي في العالم القديم. كان هذا الخط يصعد من عدن جنوباً، ثم يمر في منطقة خميس مشيط، ويصعد موازياً لوادي بيشة إلى سفوح منطقة غامد وزهران، وهناك، جنوب غرب العقيق يتفرع منه فرع مع وادي الثرات ليواكب وادي الدواسر إلى منطقة شمال الخليج بينما يتابع الخط الرئيسي صعوده شمالاً إلى منطقة مكة فتيما، فبصرى الشام، فدمشق، حيث يذهب فرع إلى تدمر ومنها إلى أور، وبابل، وآشور، ثم يتابع طريقه مع خط الحرير الذاهب إلى الصين، ومن دمشق يصعد شمالاً إلى إيبلا، حلب، الأناضول، ثم إلى بلاد اليونان وكان القسم الجنوبي منه يحمل أغلى وأنفس سلع العصور القديمة مما تنتجه بلاد العرب وأفريقيا والهند: فمن اللبان والمر والبخور التي كانت تباع بوزنها ذهباً إلى الكحل والعطور من بلاد العرب،

إلى الأحجار الكريمة والياقوت واللؤلؤ والمرجان من البحر الأحمر وبحر الخليج والبحر العذب في الداخل ، إلى العاج والآبنوس وجلود الأسود والفهود والنمور من أفريقيا ، إلى التوابل والحناء من الهند ، إلى الذهب نفسه الذي كان يستخرج بكميات وفيرة من مناجمه الكبيرة والسهلة في مهد الذهب ومواقع أخرى كثيرة في شبه جزيرة العرب . ولما كانت شبه جزيرة العرب قد قطعت شوطاً بعيداً في عملية التصحر فقد تحولت سهوبها الممتدة من شرق السراة إلى جنوب العراق إلى برية قاحلة تتخللها وديان وواحات تجوبها جماعات من البدو الرعاة هم الذين سوف يدعون فيما بعد بالعرب والأعراب ، وكانوا ينتهزون الفرص للسطو على القوافل المحملة بتلك السلع النفيسة فينهبون ويقتلون ويسلبون ثم يغوصون في براريهم الشاسعة ، أو يختبئون في جبال السراة المليئة بالكهوف والمغاور منذ أقدم العصور . وكان ذلك من شأنه أن يهدد أمن الاقتصاد التجاري لكل من الدولتين الكبيرتين في سوريا ووادي النيل ، مما جعل كلا منهما تقيم مراكز أو محطات تجعل على كل منها حاكماً يدعى ملكاً يؤازره مجموعة من المستأجرين والمقاتلين ، فيحافظ على سلامة وأمن الخط أولاً ، ويقوم بمراسلة ملكه من أجل تلبية احتياجاته من البضاعة التي تجوز ذلك الخط ثانياً ، ويتقاضى عن كل بضاعة تعبر خلال محطته لقاء الحماية إتاوة محدودة عن كل نوع من البضاعة وعن مقدارها مقدراً بحمولة البعير أو العربة أو الحصان ثالثاً ، فيأخذ نصيباً منها لنفسه ولجماعته ويرسل الباقي إلى مليكه في مركز الدولة ، وفوق هذا فقد عمدت كل مدينة كبرى إلى استحداث محطة لها على ذلك الخط وتحمل في الغالب اسمها ، فقد كان لبابل محطة تدعى بابل ، ولآشور محطة تدعى آشور ، ولنينوى محطة تدعى نينوى ، ولحلب محطة تدعى حلبا ، ولأوغاريت محطة لها الاسم نفسه ، ولدمشق محطة هي دومسك ، أما دولة وادي النيل فقد كانت لها محطة تدعى « مصري » وملكها يسمى « فرعون » كما كان له وكلاء من العماليق ومن ملوك العشائر الآرامية أيضاً ، وكان السكان يطلقون على سكان البرية الممتدة من شرق جبال السراة اسم بنى المشرق ، وعلى القاطنين غربها بني الغرب أو بني البحر أو اليم . وقد أورد المؤرخ والباحث موسيل Musil في كتابه الشهير « الصحراء » وصفاً

تفصيلياً لكثير من العمليات والمراسلات التي كانت تقوم بين ملوك المحطات وملوك الدولة المركزية في العاصمة ، فأوضح الصورة التفصيلية لما كان يجري من خلال كثير من الوثائق المكتشفة والتي اعتمدها في أبحاثه .

فكثيراً ما كان يتمرد ملوك المحطة على سيدهم فيستأثرون بالجبايات والأتاوات لأنفسهم ، وقد يغير عليهم جماعة البدو أو ملوك محطات أخرى ، فيبتزونهم وينصبون عملاء لهم على تلك المحطات ، مما كان يضطر الملك المركزي إلى إرسال حملة تأديبية بين فترة وأخرى ، فيبدل ملكاً وكيلاً بآخر ، وقد يغيره هو وكل جماعته ، أو يقتلهم ، أو ينقلهم إلى مواقع أخرى بعيدة عن تلك المواقع ، وكان السوريون يسمون وكيلهم « قيفو » أي الجابي ، وكان ملك وادي النيل يسمي وكيله « فرعون » . يقول موسيل في كتابه :

« ويحدثنا الملك شلمنصر الثالث أنه في السنة التاسعة من ملكه قهر ملكة عربية اسمها « شمسي » واضطرها إلى دفع الجزية له .. ويدعي الملك أنها حنثت بيمينها وكفرت بالعهد الذي قطعته للإله العظيم « شمش » بألا تتعرض للآشوريين بسوء ، وبأن تخلص لهم ، فانتصر عليها ، واستولى على مدينتين لها ولم يبق أمامها غير الخضوع والاستسلام ودفع الجزية ... والظاهر أنها انضمت إلى ملك دمشق في معارضته للآشوريين ، وتعرضت لقوافل آشور ... ولضمان تنفيذ مصالح الآشوريين قرر الملك تعيين « قيفو » لديها لإرسال تقاريره إلى الحاكم الآشوري العام في سوريا عن نيات الملكة واتجاهات الأعراب وميول قبيلتها ولتوجيه سياسة الملكة على النحو الذي تريده آشور »[1] .

وليست الرسائل التي اكتشفت في مدينة أخناتون « تل العمارنة » في وادي النيل إلا نموذجاً آخر واضحاً لمثل هذه المراسلات والتقارير التي ترد إلى ملك وادي النيل من وكيله الفرعون على محطة مصري في شبه جزيرة العرب .

« الخبيرو » و« الأخلامو » :

وفي كثير من الأحيان كان الوكلاء على تلك المحطات يكافؤون بتمليكهم بعض القرى أو الأراضي يستأجرون عليها بعض الأعراب ، وهم في معظمهم من

عشائر الآراميين في برية آرام على وادي ثرات ، فيعملون بها محاصصة ، وهذا هو معنى « الخبيرو » في العربية القديمة وتعني الشركاء ، وفي العربية الحديثة خابره مخابرة أي آكره وزارعه على النصف أو نحوه . أما « الأخلامو » فهم أولئك البدو من العرب الآراميين الذين لايملكون شيئاً فيشكلون عصابة للسطو والنهب ، والكلمة في العربية القديمة تعني الرفاق ، الأصدقاء ، الشركاء من « خلمو » وفي محيط المحيط « الخلم الصديق والرفيق ج أخلام » .
وكثيراً ما كان يتسلط الوكيل على مجموعة من أولئك البدو فيذلهم ويستعبدهم ويسخرهم في كل ما يريد لقاء كفاف يومهم ، وهذا هو ما فعله فرعون مصريم وكيل ملك وادي النيل مع مجموعة من أبناء عشائر بني يعقوب .
بعد هذا كله جاز لنا أن ننتقل مباشرة إلى « العبرانيين » .

« العبرانيون » أصل التسمية وجغرافيتها :

قبل أن ندخل في موضوع « العبرانيين » نذكر بالحقيقة العلمية القائلة إن لكل حدث تاريخي حوامل تاريخية هي : الحامل السكاني ، والحامل المكاني أو الجغرافي ، والحامل الزمني ، أي أنه لابدّ لكل حدث تاريخي من أناس معينين يقومون به في زمان معين ومكان معين ، وإن أيّ تغيير في هوية السكان ، أو في زمان حدوث الحدث ، أو في مكانه يؤدي حتماً إلى ما ندعوه بـ « تزوير التاريخ » .
من هذا المنطلق ندعو القارىء الكريم أن يقبض معنا دائماً على الوجود الموضوعي لهذه الحوامل الثلاثة دون أن يتركها تضيع منه عند حديثنا عن كل من الظواهر السكانية أو التاريخية عموماً التي سوف ترد تباعاً في هذه الحلقة وفي حلقات قادمة ، لأن في ذلك توفيراً للجهد ، ومنعاً لحدوث أي لبس أو خلط أو تشويش بين أسماء الجماعات السكانية أو المواقع الجغرافية المكرورة أو المتشابهة ، وعوناً لنا في فرز مواضع الخطأ ، وفي كشف مواضع التزوير الصغيرة والكبيرة التي تعرض لها تاريخنا العربي على أيدي خصومه من مستشرقين استعماريين وصهاينة .
لقد تبين لنا ، من خلال ما تقدم في الحلقتين السابقتين ، أن « سام » وكل بنيه

وأحفاده إنما هو فرع بدوي من فروع العروبة الكبيرة والكثيرة والتي تملأ ساحة الوطن العربي الكبير وجوداً حضارياً مستمراً موغلاً في القدم مشهوداً أثارياً قبل أن يولد «سام» بعدة آلاف من السنين، وأن منزل «سام»، بناء على ما تؤكده كل المصادر العربية، هو في جوف شبه جزيرة العرب، وأنه أبو الأنبياء، مما قيض له ولفروعه من بعده مكانة متميزة في علم الأنساب عند العرب، وفي الاهتمام بفروعه وبخطوط أنسابهم من خلال الاهتمام بأنساب الأنبياء، وأن العرب الآراميين أبناء «آرام» بن «سام» كانوا من العرب العاربة البائدة في معظمهم، ومساكنهم في جوف شبه جزيرة العرب، ومنهم قوم عاد وقوم ثمود، ولم يبق من فروعه من يستحق الذكر غير فرع نبيط بن ماش بن آرام الذي كان مسكنه في «كوثى» عند بابل المحطة على نهر كبار الذي يرفد نهر «الثرات» قبل التقائه بنهر «رنيا» شرقي غامد من شبه جزيرة العرب، ومن هذا الفرع كانت عشيرة إبراهيم العربية الآرامية.

نحن الآن، إذن، زمانياً في حوالي منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، زمن إبراهيم الخليل، ومكانياً في جوف شبه جزيرة العرب، وفي إطار هذا المكان والزمان سوف نتعرف على مجريات الأحداث التاريخية التي أضحت موضوع التزوير الصهيوني والاستعماري في عصرنا الراهن.

الخارطة السياسية إذن هي كما يلي: الدولة السورية المركزية وعاصمتها بابل تبسط سيطرتها من البحر الأسود وسفوح أرارات شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، والعرب السوريون الفينيقيون يغطون آسيا الصغرى وبلاد اليونان وإيطاليا والجزر وإسبانيا بالمستوطنات والمدن الزراعية والتجارية كان أهمها في ذاك الوقت تحديداً طروادة الفينيقية في موقعها الستراتيجي كمفتاح لتجارة البحر الأسود، وطيبة وأثينا والبيريه في بلاد اليونان، وقادس ومالقا في إسبانيا، وغيرها كثر.

دولة وادي النيل التي لم يطلق عليها اسم «مصر»، ولم يطلق على حاكمها لقب «فرعون» في كل مراحل تاريخها القديم بل ملك الأرضين، ملك الوجهين، ملك الوادي، وفي مرحلة متأخرة، وحينما غلب طابع الفرع القبطي على سكانها دعيت باسمهم «هـ قبطو» وكانت القاف في العربية الشرقية القديمة

تلفظ مثل القاف البدوية الشرقية اليوم أي ما يدعى بالكاف الفارسية، وكلمة «هـ قبطو» تعني القبط، إذ كانت الهاء أداة التعريف في العربية القديمة، وهذه التسمية هي التي انتقلت عبر الفينيقيين إلى بلاد اليونان وإيطاليا ثم إلى بقية أوروبا والعالم وصارت EGYPTO. وفي رسالة الرسول العربي محمد إلى المقوقس لم ترد كلمة مصر بل كان الخطاب: «من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط..» والقبط فرع عربي من فروع حام بن نوح.

أما جوف شبه جزيرة العرب فكان أهم ما يربطه بالخارطة السياسية هو خط القوافل التجاري الصاعد من بحر العرب جنوباً، مروراً بشرق السراة، صعوداً إلى الشمال، وقد توزعت من حواليه المحطات والمراكز الأمنية والتجارية التابعة للدولتين ولأهم المدن الكبرى فيهما، يقوم عليها وكلاء للملك يدعون إما فراعين أو ملوكاً أو جباة أو وكلاء. يجري تنصيبهم من بين أكثر مشايخ القبائل وزعماء العشائر البدوية أو شبه المستقرة نفوذاً وأشدهم بأساً في منطقة الخط التجاري أو «عريبي» التي أصابها التصحر ودعيت ببلاد العرب.

وكانت منطقة الربع الخالي، في معظمها، ما تزال مغطاة بالبحر العذب الذي كان يفصله عن بحر الخليج برزخ برّي يمتد من جنوب البصرة إلى خليج عمان هو مجمع البحرين، وقد ذكره القرآن الكريم في عدة مواضع:

﴿وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾[2].

أما الفروع السكانية العربية التي تتحرك في تلك المنطقة من البدو وأنصاف المستقرين فهي:

1 - بقايا الآراميين، وهم فرع نبيط بن ماش بن آرام، وكانت مساكنهم في برية العرب وما بين نهري الثرات ورنيا، ويقال لها «فدان آرام» أي أرض آرام، وآرام النهر وبرية آرام.

2 - بعض العشائر من أبناء حام، يقول الطبري في تاريخه: «وأما حام بن نوح فولد له كوش ومصرايم وقوط وكنعان، فمن ولد كوش نمرود المتجبر الذي كان ببابل، وهو نمرود بن كوش بن حام»[3].

« ويقول عامة أهل الأخبار كان نمرود عاملاً للازدهاق .. وعن محمد بن اسحق اسمه كان الهاصر ... وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمنه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه »[4] . « ولما هلكت ثمود قيل لسائر بني آرم آرمان فهم النبط . فكل هؤلاء كان على الإسلام (أي موحدين) وهم ببابل حتى ملكهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوا وكلامهم السريانية ثم أصبحوا وقد بلبل الله ألسنتهم »[5] .

وينبغي التذكير أن نمرود لم يحكم بابل مركز الدولة بل كان وكيلاً على بابل المحطة عند وادي ثرات ، والمقصود بعبارة « وقد بلبل الله ألسنتهم » أنهم تفرقوا في أرجاء البلاد حيث اللهجات المختلفة هرباً من نمرود ، ومن بين الذين هربوا كان إبراهيم الذي غادر إلى حران مركز عشيرته شرقي الثرات من صوب البرية .

3 - عشائر من بني لاوذ بن سام ، يقول الطبري : « وولد للاوذ بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما اليمامة ، وولد للاوذ أيضاً عمليق بن لاوذ وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، فمنهم كانت العماليق ، ومن العماليق الفراعنة بمصر »[6] .

وعشائر كنعان بن حام بن نوح في المنطقة هم كما تعددهم التوراة : « وولد كنعان صيدون بكره ، وحثا ، واليبوسيّ ، والأموري ، والجرجاشي ، والحويّ ، والعرقيّ ، والسيني ، والعرادي ، والصماري ، والحمتي »[7] . « أما مصريم فولد فتروسيم وكسلوحيم الذين خرج منهم فلشتيم وكفتوريم »[8] وهكذا نرى كيف أن الحثيين - في مدونات التوراة - هم عشيرة عربية كنعانية حامية عند أعالي وادي الثرات ، جعلوا في التزوير اليوم شعباً هندو أوروبياً في أعالي الفرات شمال سوريا ، وأما فلشتيم التي صارت تترجم إلى كلمة « الفلسطينيين » فهم عشيرة من العرب المصريين سكان بلدة « مصر » في المنطقة نفسها ، وقد صاروا في التزوير شعوباً هندو أوروبية غير معروفة الأصل ضربت دولة الحثيين بدلاً من عشيرة الحثيين وبلاد وادي النيل بدلاً من بلدة مصر ، وسكنوا أرض كنعان التي صارت في جنوب سوريا بعد التزوير .

يقول العالم الألماني وينكلر حول مواقع تلك العشائر ما يلي : « إن أرض كوش تقابل مصري التي هي في القسم الشمالي من جزيرة العرب . وعلى هذا فإن ما ذكر عن «كوش» و«مصر» في التوراة لا يقصد به الحبشة ووادي النيل بل «يُقصد مكانان في شبه جزيرة العرب» . ويقول الدكتور جواد علي في كتابه «مفصل تاريخ العرب قبل الاسلام» : «وقد جاء وينكلر على ذلك بأمثلة من العهد العتيق ذكر أن من الصعب أن يكون المراد بها «مصر» و«الحبشة» . وقد ألف وينكلر رسالة بعنوان «مصر وملوحا ومعين» بيّن رأيه في أن «مصر» المذكورة في التوراة هي في بلاد العرب لا في أفريقيا»[9] .

4 - ثمة فصائل وعشائر بدوية عربية أخرى كثيرة في المنطقة نفسها لانجد ثمة داعياً لاقتفاء آثارها ، بل حسبنا أن نشير هنا إلى ما تركه لنا الملك سرجون الثاني من كتابة يذكر فيها كيف قام بحملة تأديبية على «ملوك» تلك العشائر والمحطات جاء فيها أنه «في السنة السابعة من حكمه أدب ثمودي وعباديدي ومارسيماني وحيافة وهزمهم ، ونقل من وقع في يديه منهم إلى سامرايا» . ثم يذكر بعد هذا الخبر أنه تلقى الجزية من «سمسي» ملكة عريبي ، ومن «فرعو» ملك مصري ، وذكر أن الجزية كانت من الذهب ، وحاصلات الجبل ، والحجارة الكريمة ، والعاج ، وأنواع من البذور والنبات ، والخيل والإبل ، ويعلق الدكتور جواد علي على ذلك فيقول :
«ويتبين من أسماء المواضع والقبائل التي ذكرها سرجون أن تلك المعارك كانت قد وقعت في أرضين تقع في الشمال الغربي من جزيرة العرب»[10] .
لقد كان «ملوك» تلك العشائر في صراع دائم تقريباً من أجل الحصول على وكالة هذه المحطة أو تلك أو لضرب أمن القوافل .
وقد اكتشف نص آخر في حران الآرامية في شبه جزيرة العرب يحكي فيه نبونيد ملك بابل عن حملته على ملوك تلك العشائر وتأديبهم ونقله لبعض الوكلاء والسكان وتعيين آخرين (وهذا هو عين ما سيحدث مع محطة أورشليم عند أعالي الثرات ثم جرى نفخه وتهويله ودعي بالأسر البابلي لليهود كما سوف نرى في حلقات قادمة) . وقد عثر على النص في خرائب جامع حران

الكبير عام 1956 م. ونشر بعد أن ترجم ترجمة صحيحة عرفت من خلاله مواقع لملوك محطات مثل فدك، وخيبر، ويثرب. وتيما، وددان. ويقول الباحثون: «والظاهر أن الذي حمل نبونيد على ذلك هو رغبته في السيطرة على أخطر طريق برية للتجارة تربط بلاد الشام بالعربية الجنوبية، وهي طريق قديمة مسلوكة، تسلكها القوافل التجارية المحملة بأنفس التجارات المطلوبة في ذلك العهد»[11].

وقد جاء في ذلك النص أن نبونيد قتل وكيل «تيما» الذي كان يدعى «ملكو» أي «ملك». ويعقب الباحثون بالقول إن من الممكن أن يكون حال المواقع الأخرى مثل حال «تيما» أي عليها حكام يلقبون أنفسهم بألقاب الملوك.

ويستفاد من النص أن كل ما فعله الأعراب أنهم تراجعوا إلى الصحراء وصاروا يشنون منها غارات على البابليين ليأخذوا منهم ما يجدونه أمامهم، فإذا تعقبهم البابليون عادوا إلى معاقلهم وحصونهم في الصحراء المترامية إلى الشرق من الخط التجاري.

بعد هذا الرسم التوضيحي الموجز للخارطة السكانية والجغرافية لمنطقة الأحداث التوراتية بدءاً من إبراهيم صار في الامكان الآن أن ننتقل بكل يسر إلى موضوع «العبرانيين» وإبراهيم.

أصل التسمية «العبرانية» ومكان العبور:

ومن أجل الحديث عن الظاهرة التي تعرف اليوم بـ «العبرانية» نقول:

1 - ليس ثمة لهذه الكلمة، بكل تسمياتها ومشتقاتها، أي ذكر في كل الآثار المكتشفة في أية بقعة من الوطن العربي. وأن ما ذكره البعض من الصهاينة حول ورود كلمة «عبيرو» في الرسائل المكتشفة إلى أخناتون من وكيله الفرعون على الخط التجاري والتي دعيت برسائل تل العمارنة إنما هو مجرد تزوير وزعم كاذب ومفضوح، وهذا ما أكده جميع الباحثين الموضوعيين من عرب وأجانب. لقد نشر نص الرقيم المسماري المقصود في عدة مواضع، وقد جاء فيه حرفياً ما يلي: «ان الخابيرو يستولون على مدن الملك ولم يبق لمولاي الملك حكام هنا، كلهم هلكوا». وقد كنا قد شرحنا في حلقة ماضية

من هم الخابيرو كما شرحنا ذلك مفصلاً في كتابنا « تاريخ سوريا القديم » ، وقد نشر جيمس هنري بريستد صورة ذلك الرقيم وترجمته في كتابه « العصور القديمة » ، لكن مترجم الكتاب إلى العربية السيد داود قربان « تطوع » من تلقاء نفسه ليترجم كلمة « الخابيرو » الواردة في النص الأصلي ويضع إلى جانبها كلمة (العبرانيين) بين قوسين محدثاً بذلك خطأً وتزويراً في آن معاً[12].

وأما الزعم الآخر القائل بأن كلمة « العابر » وردت في النصوص الفينيقية المكتشفة في ولاية الأمازون البرازيلية منذ الألف الأول قبل الميلاد فقد دحضه العالم الدكتور فان دين برندن الذي أكد أصالة النص الفينيقي وترجمه ترجمة كاملة وصحيحة ، وكذلك فعل الدكتور غوردن الذي كتب يقول : « ولاحظنا أن برنردو راموس أخطأ في تفسير وتقييم بعض الحروف ، ربما الدافع إلى ذلك عدم اطلاعه على تطور الأبجديات الفينيقية على مدى العصور ، ولهذا السبب كان يحاول -كما ذكر مراراً- أن يفك الرموز الفينيقية من خلال الأحرف العبرانية ، هذا الأسلوب إن ساعده أحياناً فقد أوقعه في الخطأ أحياناً أخرى حسبما ذكرنا عن ترجمته للوحات الفينيقية في مجاهل الأمازون »[13].

2 ـ إن لفظة « عابر » أو « عابرو » كانت تطلق على كل من يعبر وادي الثرات في شبه جزيرة العرب من البرية إلى قرى الكنعانيين في سفوح جبال غامد غرباً ، فيعبر مخاوض الماء ومنحدرات السيول الكثيرة بين جبال السراة وهي المقصودة في النص التوراتي بكلمة « يردن » التي هي بصيغة الجمع مفردها « يردو » وتعني المخاضة ، السيل المنحدر ، المسيل ، مجمع الماء ، وليس نهر الأردن في جنوب سوريا ، وقد لفت النظر كثير من الباحثين إلى أصل الكلمة وصيغتها التي هي في الجمع ، وبالتالي فإن كلمة « النهر » أو عبارة « النهر الكبير » التي ترد كثيراً في أسفار التوراة ليس المقصود بها نهر الأردن بل نهر « الثرات » (الفرات) .

وهذا بالضبط ما أكده شراح الكتاب المقدس الصادر عن دار المشرق ، حيث ورد في الشروحات الملحقة بـ « نبوءة آرميا » حرفياً ما يلي : « والنهر بالاطلاق أو موصوفاً بالكبير يراد به دائماً في الأسفار المقدسة نهر الفرات » .

إن هذا « النهر الكبير » كما هو موصوف في الفصل السابع والأربعين من « نبوءة حزقيال » ينبع من جانب بيت المقدس ، وينحدر غزيراً نحو الشرق إلى البرية محدثاً كثيراً من المستنقعات قبل أن يصب في البحر ، ويوزع على جانبيه الخصب .

وينتشر على ضفتيه الصيادون « من عين جدي إلى عين عجلائيم . ويكون سمكه على أصنافه كسمك البحر العظيم » فأي فرات هذا الذي ينبع من القدس في فلسطين ويتجه شرقاً عبر الصحراء ليصب في البحر ؟

نعود ونؤكد أن الدراسة الجغرافية لأحداث التوراة وللمنطقة العربية عموماً تبين بما لا يبقي مجالاً للشك أن المقصود بنهر الفرات هذا هو نهر « الثرات » الآنف الذكر في شبه جزيرة العرب ، وقد كتبت الثاء فاء لأن التوراة التي بين أيدينا اليوم وضعت لأول مرة بالكتابة اليونانية القديمة التي لم تكن قد أضافت إلى أبجديتها حرف الثاء بعد . كما أن الإبدال كان وما زال شائعاً بين الفاء والثاء في العربية القديمة والحديثة ، وأن أورشليم كانت فعلاً عند منابع الثرات في جبل غامد كما سوف نرى لاحقاً .

3 - إن كلمة « عابر » كانت تطلق إذن على كل من يعبر تلك المخاضات ، أفراداً كانوا أم جماعات ، وإذا ما تم بصورة جماعية فإنما كان يعني شيئاً واحداً هو الغزو بالنسبة لأولئك السكان الزراعيين المستقرين في المنطقة الغربية ، مما يحفزهم إلى توحيد جهودهم ، ودفع موجات الرعاة من البدو شرقاً إلى خارج السور الجبلي وبعيداً إلى عمق البرية ، وهذا بالضبط هو ما حدث مع جماعة موسى ، وأما أن يكون العابرون في شكل أسرة أو بضع أسر ضعيفة فينظر إليهم حينئذ كأضياف أو لاجئين يستحقون الرعاية والحماية والإكرام ، وهذا هو عين ما حدث مع إبراهيم وأسرته ، وهذا وذاك هو بالضبط ما يجسد المعنى الحقيقي للكلمة كما ورد في القواميس العربية القديمة بكل تسمياتها ، إذ نجد أن « عبر » تعني : اجتاز ، اعتدى ، حارب ، كما تعني أيضاً ضاف ، حل ضيفاً على ، أي المعنى في اتجاهيه الكبير والصغير ، الغزو والضيافة ، ولما كانت كلمة « العابر » تطلق على كل من يعبر فإنها ، بالتالي ، لاتمثل ظاهرة

شعوبية أو لغوية أو حتى قبلية ، إنها ظاهرة داخلية هامشية يومية لامضمون لها ، فالعابرون لاجامع فيما بينهم سوى أنهم يعبرون وقد يعبرون عدة مرات في اليوم الواحد وضمن مكان محدود من الأرض العربية ذاتها .

علاقة التسمية بإبراهيم :

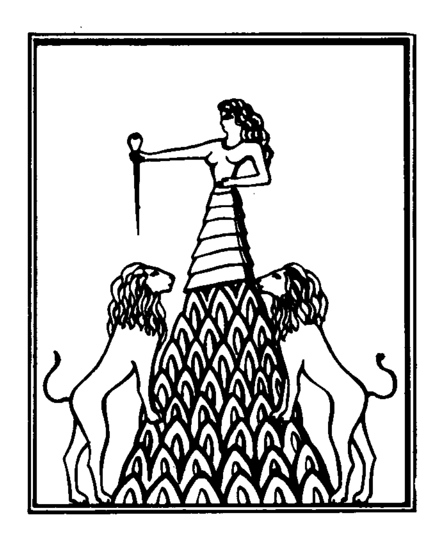
أما كيف ارتبطت هذه التسمية بإبراهيم فلأن إبراهيم أبو سلسلة طويلة من الأنبياء العرب ، ولذلك فقد قيّض له من يحفظ سيرته أو يدونها ، وكان العبور إحدى العلامات البارزة في خط سير حياة إبراهيم .
ثم إن « إبرا » أو « إبرام » أو « عبرام » (بالابدال الكثير الشيوع بين الهمزة والعين في العربية القديمة والحديثة) تعني في العربية القديمة « العابر » وفي اللهجتين السيريانية الشرقية والعمورية الغربية كانوا يضيفون أحياناً الصوت « م » إلى نهاية الأسماء المفردة مثل « يحيو ـ يحيم ، كلتو ـ كلثوم ، ماري ـ مريم ، إيلو ـ إيلم ، ملكو ـ ملكم ، إلى آخره ... وكان الجمع في بعض لهجات شبه جزيرة العرب خاصة يصاغ بإضافة « يم » إلى نهاية الأسماء مثل إيلو (رب) تصبح في الجمع إيلويم أو إيلوهيم ، وهكذا فإن « إبرا » أو « إبرام » التي تعني العابر تصبح في الجمع إبرايم أو إبراهيم ، وتعني العابرين أو بيت العابر .
وإذا ما عدنا إلى مدونات التوراة فإننا نعثر على ما يؤكد لنا صحة ذلك : لقد ظل إبرام يدعى في التوراة بهذا الاسم طيلة الفترة التي لم ينجب بها ولداً ، وتحديداً حتى العبارات الأولى من الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين ، ثم ما أن يولد له إسماعيل حتى يتغير اسمه مباشرة من « إبرام » إلى « إبراهيم » لنقرأ في التوراة : « ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين ظهر الرب لإبرام وقال له : انا الله القدير ، سر أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك ، وأكثّرك كثيراً جداً ، فسقط إبرام على وجهه ، وتكلم معه الله قائلاً : أما أنا فهو ذا عهدي معك ، وتكون أباً لجمهور من الأمم ، فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم »[14] .
ومن هذه العبارة وحتى نهاية أسفار التوراة ، أي منذ أن ولد له اسماعيل

تحديداً ، يرد الاسم بصيغة الجمع فقط « إبراهيم » أي العابرين أو بيت العابر .
وإنه لممّا يجدر بالملاحظة أيضاً أن هذا اللقب « العابر » أطلق على الرجل أثناء حياته فقط ، ولم يطلق على بنيه وأحفاده كما يزعم البعض فأولاد إسماعيل دعوا بالاسماعيليين ، وأولاد يعقوب الذي هو إسرائيل ، دعوا بالاسرائيليين وأن التوراة نفسها رفضت الخلط بين بني إسرائيل والعبرانيين وأنكرت وجود أية قرابة قبلية فيما بينهم ، لنقرأ في التوراة : « وهذه هي الأحكام التي تضع أمامهم ، إذا اشتريت عبداً عبرانياً فست سنين يخدم ، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً ، إن دخل وحده فوحده يخرج »[15] ، « أما بنو إسرائيل فلا يباعون بيع العبيد »[16] .
وهكذا يتضح لنا كيف أن لقب « العابر » كان يلحق بكل من يعبر ، ولا علاقة لبني يعقوب (إسرائيل) بهم سواء بالنسب أو بغيره ، وقد التصقت بإبراهيم أثناء حياته ، وماتت معه بعد موته ، وبالتالي فلم يبق من (العبرانيين) شيء غير الظاهرة العربية البدوية التي استمرت قبل إبراهيم وبعد إبراهيم باستمرار العبور ، يقوم بها أناس وجماعات شتى من أبناء القبائل العربية وعشائرها في بادية العرب دون أن يكون ثمة جامع فيما بينها غير صفة العبور إذ هي أشتات من قبائل عربية وليست فرعاً واحداً .
والعبور ليس ظاهرة اجتماعية منظمة وشعوبية أو عرقية أو لغوية بل ظاهرة عفوية لاتخضع لأي شرط غير ظروف القائمين بها أفراداً أو جماعات ، وإن إبراهيم لم يكن له أية علاقة بمن يعبر يومياً ، ولم يتزعم أحداً غير أهل بيته وبالتحديد امرأته سارة وابن أخيه لوط الذي ما لبث أن انفصل عنه لضيق المرعى بمواشيهما معاً كما تؤكد مدونات التوراة .
ومن هنا تسقط مقولة « الشعب العبراني » و« اللغة العبرانية » من منطق التاريخ إذا ما أريد لهذا التاريخ أن يكون علماً لاشعوذة ، لاسيما وأن مدونات التوراة ذاتها تؤكد أن أولئك « العابرين » من البرية شرقاً كانوا يتكلمون بلهجتهم الآرامية قبل العبور ثم باللهجة الكنعانية (شفة كنعان) بعد العبور .
أما سبب عبور إبراهيم فهو كما يؤكد المؤرخون العرب جميعاً هروبه ، وهو الموحد ، من وجه نمرود بن كوش بن كنعان بن حام الوكيل على بابل المحطة

على نهر كبار بعد أن رفض عبادة الأصنام التي دعاهم إليها نمرود فانتقل إلى حران مركز العشيرة ، ولما رفض آزر أبو إبراهيم التخلي عن وثنيته هجره إبراهيم مصطحباً معه سارة وابن أخيه لوط إلى قرى الكنعانيين ثم إلى بلدة المصريين . يقول الطبري : « ثم مضى إبراهيم ولوط وسارة إلى مصر فوجدوا بها فرعوناً من فراعنتها هو سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح »[17] . فيتضح لنا مرة أخرى كيف أن مصر المقصودة إنما هي البلدة على طريق القوافل التي يحكمها وكيل من العرب العماليق لقبه فرعون ، وكلمة فرعون تصغير « فرعو » في العربية القديمة و« فارع » في العربية الحديثة وتعني وكيل الملك وكيل السلطان وليست لقباً لملك مصر وادي النيل ، والواو والنون للتصغير ، ومن أجل المزيد من التفاصيل حول أسماء العشائر والمواقع الجغرافية المقترنة بسيرة إبراهيم راجع كتابنا « تاريخ سوريا القديم تصحيح وتحرير » .

وقبل أن نختتم حديثنا حول العبرانيين وإبراهيم نذكر بأن التراث العربي الاسلامي كله يؤكد أن مقام إبراهيم هو في شبه جزيرة العرب لافي فلسطين : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه مقام إبراهيم » (قرآن كريم) وأن هاجر بعد أن ولدت إسماعيل وطردتها سارة مع ابنها « ذهبت إلى واد غير ذي زرع » قرب مكة وحينما عطش إسماعيل وانتابته الحمى وسعت أمه هاجر بين جبلي الصفا والمروة تبحث عمن يحمل له شربة ماء صار ذلك السعي شعيرة من شعائر الحج عند المسلمين ، ثم تفجرت مياه زمزم : كل ذلك في شبه جزيرة العرب لا في فلسطين .





الحلقة الرابعة

«رحلة»

ابراهيم التوراتية

قبل أن نبدأ الحديث عن هذا الموضوع ثمة حقائق ثابتة لابد من التنبيه إليها :
الحقيقة الأولى هي أن علم الآثار قد قال كلمته الصريحة فيما يتعلق بأحداث مدونات التوراة ، وهي أنه لاوجود لهذه الأحداث آثارياً لافي فلسطين ولا في أية بقعة أخرى من الوطن العربي . لقد بذلت الصهيونية داخل فلسطين المحتلة وخارجها جهوداً محمومة من أجل تطبيق مدونات التوراة قسراً على آثارنا القديمة المكتشفة ، وسخرت في سبيل ذلك كثيراً من الموارد والأشخاص المعروفين بصهيونيتهم وعلى رأسهم : أولبريت ، ونيلسون جلويك ، وكوندر ، وإيغال يادين ، وبنيامين مازار ، وميسلر ، وأهاروني ورث أميران وغيرهم ، كما أن السلطات الصهيونية في الأرض المحتلة لم توفر جهداً في عمليات البحث عن أي أثر ، أية إشارة آثارية إلى أي حدث من أحداث التوراة ، وكانت جهودها في كل مرة تذهب سدى ، لقد كاد وزير حرب الكيان الصهيوني السابق موشي دايان يلقى مصرعه جراء انهدام النفق الذي أحدث تحت المسجد الأقصى في عملية بحث محمومة عن أي ما من شأنه أن يدل على وجود قصر أو هيكل لسليمان دون جدوى .
وفضح علماء الآثار المنصفون المحاولات الصهيونية لتزوير آثار فلسطين بما ينسجم مع مدونات التوراة ، فها هو جيمس بريتشارد يؤكد بعد تنقيبه في فلسطين « أن التناقضات الواضحة التي كشف عنها نتائج التنقيب الأثري في أريحا وغيرها من المواقع التي تحدث عنها سفر يشوع تدل على أننا نسير في طريق مسدود في محاولة العثور على شواهد أثرية لإثبات الروايات التقليدية عن الفتوحات الإسرائيلية »[1] .
ويقول الدكتور شوقي شعث مدير مركز الآثار الفلسطينية مصنفاً أولئك الباحثين في آثار فلسطين إن من بين أولئك فريقاً «كان هدفه إضفاء الشرعية التاريخية على الكيان الصهيوني من خلال البحث الأثري ومنهم إيغال يادين ، وبنيامين مازار ، وميسلر ، وأهاروني ورث أميران وغيره .. وفريقاً آخر سخر نفسه لخدمة الأغراض الصهيونية والتجسسية أمثال أولبرايت ونيلسون جلويك وكوندر »[2] .
ويؤكد الدكتور عفيف بهنسي المدير العام السابق للآثار في سوريا « أن جميع

الجهود الأثرية المبذولة في بلاد الشام «سورية ولبنان وفلسطين والأردن» لم تقدم أي دليل تاريخي يؤكد الأحداث التوراتية»[3].

أما الباحث الفرنسي الشهير بيير روسي فيكتب بصدد هذا قائلاً : إن علينا أن نعرف قبل كل شيء أن التاريخ المصنوع للعبرانيين خارج النصوص التوراتية هو الصمت الكلي المطبق، فلا العمارة ولا الكتابات المنقوشة على الآثار، ولا القوانين والدساتير تكشف أثراً قليلاً للعبرانيين، فعلى آلاف النصوص المسمارية أو المصرية التي تؤلف المكتبة المصرية أو مكتبة رأس شمرا أو نينوى.. في ذلك كله لاتذكر كلمة «عبرية»، وأشهر ملوك التوراة وهما داود وسليمان لم يصبحا قط موضوع وقائع تاريخية. وليس هناك أبداً ذكر للملحمة وللوقائع الحربية المعزوة لعبور العبرانيين، وليس هناك أي انقطاع حضاري ثبت بالحفريات التي تمت في فلسطين منذ عام 1890 — 1925، فالعدم كامل مثلما هو قطعي جازم.. لقد نشر في عام 1973 برعاية السلطات الاسرائيلية طبعة من كتاب فلافيوس يوسف، ولقد زين المؤلف برسوم منسوخة بابلية وسومرية ومصرية وحثية، أي عربية، إننا لانجد فيها «عبرية» ولا حتى في ذلك النص الذي، كما هو معروف، ترجمة إغريقية»[4].

الحقيقة الثانية هي أن المصدر الوحيد لدى العالم كله عمَّن دعوه بـ«ملوك التوراة» وحروبهم إنما هو مدونات التوراة فقط.

الحقيقة الثالثة هي أن الحقيقة التاريخية والجغرافية في مدونات التوراة شيء والتفسير الاستعماري ـ الصهيوني للأحداث ولجغرافيتها شيء آخر، إنه بكلمة تزوير فادح وواضح، وأن المكتشفات الآثارية والدراسات العلمية الموثقة قد أكدت هذه الحقيقة وفضحت هذا التزوير.

الحقيقة الرابعة ـ إن الصورة التاريخية والجغرافية، كما هي في التزوير الصهيوني، هي السائدة اليوم والمعممة في جامعات الغرب، وهي نفسها ما ينقله أبناء الأمة العربية لتدريسه في جامعات الوطن العربي ومدارسه، ضاربين عرض الحائط بما قالته لنا المكتشفات الآثارية، ومغمضين البصر والبصيرة عن الأغراض السياسية الاستعمارية للصهيونية القابعة طي ذلك

التزوير .

التوراة كمصدر للتاريخ :

وهنا قد يتساءل البعض : ما مدى صحة الاعتماد على التوراة كمصدر للتاريخ ؟ للإجابة عن هذا نقول : إنه تساؤل ، لاشك ، مشروع ، لكنه يصدر عن فئتين من الناس ، فئة تطرحه بحسن نية ، وتريد الوصول إلى الحقيقة فعلاً ، وفئة أخرى ، اطمأنت اليوم إلى الصورة المزورة الشائهة لتاريخنا العربي القديم ، والتي افتعلتها الأوساط الاستشراقية الاستعمارية والصهيونية معتمدة ، كما سبق أن ألمحنا ، على التزوير في تفسير أحداث وجغرافيا التوراة بما ينسجم مع مطامعها الاستعمارية والتوسعية ، ثم لاتريد من أحد منا ، بعد هذا ، أن يعود إلى نصوص التوراة ليقرأها قراءة علمية موضوعية ، فتتكشف له مواضع ذلك التزوير الفادح الكبير في تفسيرها التاريخي والجغرافي . إن هذه الفئة بدأت اليوم تتهجم على « التوراة » وعلى صلاحيتها كمصدر للتاريخ ، في الوقت الذي تحافظ فيه ، هي نفسها ، في كل ما تكتب وتقول على الصورة التي رسمتها وزورت بها الصهيونية تاريخنا بناء على التوراة ذاتها ، لكن في تفسيرها الصهيوني المزور ، ذلك أولاً .

ثانياً - إن مصادر التاريخ هي إما آثارية مادية أو وثائق مدونة ، والوثائق هذه تشمل كل ما هو مدون كتابة من الأسطورة ، إلى القصيدة إلى النصوص الدينية ، إلى السجلات الحكومية ، والتجارية ، إلى القصة والرواية وغيرها ، إن كلاً منها تعكس جانباً أو جوانب من حياة هذا المجتمع أو ذاك في فترة تاريخية معينة سواء أكانت لغوية ، أو سياسية ، أو دينية ، أو اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو فكرية أو غيرها . وكل من تلك المدونات هي في حد ذاتها وثيقة تاريخية .

ثالثاً - إذا كان توفر الوثيقة يعتبر خطوة في عملية التاريخ ، فإن التعامل مع هذه الوثيقة تعاملاً علمياً موضوعياً هو الخطوة الثانية التي بدونها لا تتم عملية التاريخ ، وهذه الخطوة الثانية هي مهمة المؤرخ ، وهي التي تميز المؤرخ عن غيره من الناس الآخرين . إذ أن على المؤرخ أن يخضع كل وثيقة

بين يديه للدراسة التاريخية العلمية الموضوعية، مخضعاً إياها لكل العلوم المساعدة الأخرى من علم المنطق بشتى أنواعه وتفرعاته، إلى علم الأقوام واللغات والسكان، والجغرافيا، والمناخ، وغيرها من العلوم المساعدة الأخرى.

رابعاً - إن هذا عينه هو ما يجب علينا فعله إزاء هذه الموضوعات التوراتية التي أضحت اليوم في صميم المعركة المصيرية التي تخوضها أمتنا العربية ضد الامبريالية والصهيونية.

وقبل أن نبدأ بدراسة هذه الموضوعات لابد من أن نذكر بالنقاط المهمة التالية:

1 - إن التوراة التي بين أيدينا ليست هي توراة موسى، إذ هي تتحدث عن أشخاص وقبائل وعشائر وغزوات وأحداث يومية تفصيلية حدثت بعد موسى بعدة مئات من السنين.

2 - إن هذه التوراة، كما هو ثابت اليوم، وضعت وجمعت لأول مرة باللغة اليونانية في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد، أي بعد زمن موسى بما يقرب من ألف عام، وكان ذلك زمن بطليموس في الاسكندرية، ودعيت بـ «النص السبعيني» أو «الترجمة السبعينية» لأنه اشترك في جمعها ووضعها 72 كاهناً، وعن اليونانية نقلت إلى السريانية ثم إلى بقية اللغات الأخرى في العالم.

3 - لقد أضيف إليها بعد ذلك العهد عدة أسفار في مراحل تاريخية متفاوتة.

4 - إن هذه التوارة ما تزال تخضع حتى اليوم، من طبعة إلى أخرى، لعمليات تزوير جغرافية ينبغي ألا يغفل عنها أي دارس متمعن حصيف.

فـ «بحر» عربت، الذي كان اسماً لنهر الفرات حين مروره في برية شبه جزيرة العرب، صار «البحر الميت» وبحيرة «كناروت» في الموضع نفسه صارت بحيرة طبريا، وبيت صور «الذي هو اسم شخص»[5] صارت مدينة صور، وكمثال أكثر تحديداً: في طبعة الكتاب المقدس الصادر عن دار المشرق عام 1876 نقرأ في «نبوءة عاموس» ما يلي: «إن السيد رب الجنود هو الذي يمس الأرض فتذوب وينوح جميع الساكنين فيها وتطمو كلها ثم تنضب كنهر

مصر »[6] هذا المقطع نفسه من السفر نجده في طبعة الكتاب المقدس الصادرة عن دار الكتاب المقدس في العالم العربي عام 1979 وقد تحول من « نهر مصر » إلى « نيل مصر » !

5 - إن على المؤرخ الموضوعي أن يلم بكل هذه الأمور، فهو وحده القادر على استنباط المادة التاريخية من الوثيقة، بعد أن يعزز مواضع الخطأ أو التهويل أو التزوير.

6 - إن كتاب التوراة هو، في مجمله، لايخرج عن إطار التراث العربي الذي كان يحفظ مدوناً في الذاكرة لعشائر عربية عاشت أحداثاً معينة في منطقة بدوية جد ضيقة من شبه جزيرة العرب، وإن كثيراً من مدوناته إنما كانت جزءاً من ذلك التراث الذي تناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل:
فقصة التكوين البابلية، وقصة الطوفان هي نفسها التي تحدثت عنها الرقم المسمارية قبل ألفي عام من أحداث التوراة، وقصة أيوب، والأمثال، والمزامير، والأناشيد.. كانت كلها بعضاً من التراث المتداول، جمعه مدونو التوراة إلى جانب أخبار تلك العشائر البدوية العربية في منطقة عسير من شرق بلاد غامد في شبه جزيرة العرب.

7 - بناء على هذا كله، وفي ضوء ما تقدم، فإننا سوف نقرأ التوراة كوثيقة تاريخية قراءة علمية موضوعية، وندحض من خلال هذه الوثيقة ذاتها كل الافتراءات الصهيونية والاستعمارية القائمة في أساسها على التزوير في تفسير أحداث التوراة وجغرافيتها.
ولنبدأ بالموضوعة الأولى:

بين الحقيقة والتزوير

« بابل الكلدان » و« ما بين النهرين »:

إننا، وكما أسلفنا، علينا في مناقشتنا للموضوعات التي تدعى اليوم بالموضوعات التوراتية أن نخضعها للدراسة الموضوعية من النواحي التاريخية والجغرافية والمنطقية واللغوية، ومن حيث دراستنا اللغوية فإننا سوف نعتمد

القاموس الكلداني العربي للمطران يعقوب أوجين منا ، علماً أن الكلدانية - كما هو ثابت اليوم وكما كنا قد بينا في حلقات سابقة - هي العربية القديمة بلهجتها السريانية الشرقية ، أي أنها أيضاً ما دعي بالآكادية والبابلية والآشورية والسومرية ..

تقول كل المصادر الكتابية إن « العابر » إبراهيم كان في بابل الكلدان ، حينما تزعمها نمرود بن كوش بن كنعان بن حام ، وكان عاتياً متجبراً ، اضطهد الموحدين ودعا إلى عبادة البعل وعشتار ، فغادرها إبراهيم بعد أن هدده نمرود بإحراقه حياً إلى حران مركز عشيرته من العرب الآراميين على وادي الثرات ، وبابل هذه كانت تدعى « بابلون » أي بابل الصغرى ، لأن الواو والنون للتصغير ، وهكذا وجدت في النص السبعيني باليونانية ، ثم انتقلت إلى اللغات الأوروبية الأخرى ، وصارت منذئذ مدينة « بابل » عاصمة الدولة المركزية تدعى في اللغات الأخرى باسم « بابلون » لأن الأوروبيين لم يعرفوا بهذا الاسم غير بابل العاصمة ، ومن المعروف أن بابل العاصمة لم يحكمها رجل يوماً يسمى نمرود أو من نسل حام ، ثم إن « بابلون » المحطة كانت تقع على نهر « كفار » أو كبار ، لأن الفاء في العربية القديمة كانت تلفظ P ، ويعني نهر الكافر : الوثني ، عابد الأصنام ، وهي التي أجلى إليها نبوخذ نصر سكان محطة أورشليم الذين دعتهم التوراة بـ « الجلاء » وليس إلى بابل العاصمة ، فقد جاء في « نبوءة حزقيال » الذي كان بين المجليين : « في السنة الثلاثين في الشهر الرابع ، في الخامس من الشهر ، وأنا بين الجلاء على نهر « كبار » انفتحت السماوات فرأيت رؤى الله[7] و« كانت كلمة الرب إلى حزقيال بن بوزي الكاهن في أرض الكلدانيين على نهر كبار »[8] . و« فأتيت إلى الجلاء عند تل السنبلة ، إلى الساكنين على نهر كبار إذ كان هناك مسكنهم »[9] ..

ونهر « كبار » هو الذي يرفد نهر « الثرات » قبل التقائه بوادي « رنيا » في المنطقة التي سميت في التوراة ما بين النهرين ، وهي بالعربية القديمة « ميسوفوطاميا » ، إذ نجد في القاموس الكلداني أن « ميسو » و« مصعو » تعني وسط ، بين ، و« فوطامي » تعني الأنهار ، الخصب ، وهي من الفعل فطم - فوطاما ويعني أخصب ، نعّم ، رفّه ، متع ، روى ، ومنها الاسم العربي « فطيم » و« فاطم »

و«فاطمة» وهي من أسماء ديانة الخصب العربية القديمة التي استمرت إلى اليوم، فيكون معنى الكلمتين: إذن وسط الخصب، وسط الأنهار، ... وقد اعتبر المفسرون هذه التسمية التوراتية يونانية، بينما هي عربية قديمة، والعربية القديمة بلهجتها الفينقية كانت لغة الحضارة الوحيدة في بلاد اليونان القديمة، وقد افترضوا خطأ «بابلون» في التوراة اليونانية هي بابل عاصمة الدولة، والحقيقة هي أن العراق لم تعرف في تاريخها الطويل هذا الاسم (ما بين النهرين) إلا بعد أن التصق بها من التفسير الجغرافي الخاطىء والمزور للموقع التوراتي.

و«بابلون» التوراتية تقع على تل صخري مطل على نهر «كبار» في منطقة الآراميين أرض بني المشرق: «فإني أجازي بابل وجميع سكان أرض الكلدانيين بكل شرهم، وها أنذا عليك أيها الجبل المفسد، يقول الرب، الذي يفسد كل الأرض، فامد يدي عليك، وأدحرجك من الصخور، وأجعلك جبلاً متوقداً، «بل تكون أخربة أبدية»[10] وهي تقع إلى الشرق من أورشليم[11].

ومن «حران» التي هي مركز عشيرة إبراهيم الآرامية انتقل مع زوجته سارة وابن أخيه لوط بأغنامهما ومواشيهما غرباً إلى أرض عشائر الكنعانيين لأن المراعي أجدبت في فدان آرام التي تدعى أرض برية آرام، شرقي وادي الثرات، وقد رفض أبوه أن يغادر مركز العشيرة معهم، وظل على عقيدته في صناعة الأصنام والتعبد لها. وطبيعي أن حركة إبراهيم بمواشيه هي حركة رعوية، لاسيما وأن الأغنام والأبقار لاتقدر على النجعات البعيدة، وبالتالي فإننا سوف نتعامل مع أماكن وتسميات جد صغيرة وضيقة، وهي بالمعايير الجغرافية ميكروسكوبية، فمن مضرب فلان، إلى خيمة فلان، إلى بئر كذا، إلى البلوطة، إلى شجرة البطم وغيرها، وإن أكبر المواقع والتسميات التي سوف تمر بنا إنما هي موقع هذه العشيرة أو تلك أو هذه المحطة أو تلك.

«فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وجميع أموالهما التي اقتنياها والنفوس التي امتلكاها في حاران، وخرجوا ليمضوا إلى موقع شكيم. «وشكيم» اسم شخص، وهو شكيم بن يحمور» وإلى بلوطة مورة، والكنعانيون حينئذ في الأرض فتجلى الرب لإبرام وقال لنسلك أعطي هذه

الأرض[12] وهنا تبدأ القصة مع ما جرى نفخه وتضخيمه وصار يدعى اليوم بـ « أرض الميعاد » التي سيكون لنا معها وقفة خاصة فيما بعد . « ثم انتقل من هناك إلى الجبل .. وضرب خباءه .. وكان جوع في الأرض فهبط إبرام إلى مصر لينزل هناك إذ اشتد الجوع في الأرض »[13] .

مصر التوراتية أو عشيرة المصريين :

هي بالكلدانية « مصري » أي بلهجة بني المشرق ، وبلهجة الكنعانيين في جبل غامد « مصريم » وتعني المصريين أو عشيرة المصريين ، وهي تقع على تل أو ربوة فيها نبعة ماء ، ويجري فيها واد سيلي ينضب في الصيف وينحدر إلى الغرب باتجاه البحر الأحمر يدعى وادي مصريم أو وادي شيحور ، وهناك عشرات المواضع في التوراة التي تؤكد أن مصر المقصودة إنما هي قرية أو بلدة عشيرة المصريين من أبناء حام[14] . ولمزيد من التفاصيل راجع كتابنا « تاريخ سوريا القديم ، تصحيح وتحرير » ويكفي هنا أن نورد المقصود بها من مدونات التوراة ذاتها : « وعشيرة مصر إن كانت لاتصعد ولا تأتي تنالها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لايصعدون ليعيدوا عيد المظال »[15] .

ويكفي أن نشير إلى قصة إرسال يعقوب لبنيه من أرض كنعان إلى مصر لشراء بعض القوت ، فذهبوا على حميرهم سبع مرات بين ذهاب وإياب من أجل ذلك القوت لأن أخاهم يوسف كان قائماً على خزائن فرعون يبيع الحبوب ، ولقد طلب منهم ، أن يعودوا إليه بأخيه الصغير دون أن يعرفهم على نفسه . وعادوا إلى أبيهم بهذا الطلب ، وجاد لهم أبوهم يعقوب بهذا ، فقال يهوذا لأبيه : « أنا أضمنه من يدي تطلبه .. انه لولا أنا تلبثنا لكنا الآن قد رجعنا مرتين »[16] . وفي هذا وحده خير دليل على أن المصريين والكنعانيين عشيرتان متجاورتان مثل قريتين أو مضربين للخيام ، وليست هي مصر وادي النيل على الاطلاق ، أما فرعون محطة « مصري » زمن إبراهيم فكان كما أورد الطبري في تاريخه : « ثم مضوا إلى مصر فوجدوا بها فرعوناً من فراعنتها هو سنان بن علوان بن عبيد بن عويج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح »[17] . أما فرعونها

زمن يوسف فيقول الطبري : « واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وإن هذاالملك آمن ثم مات » . والريان بن الوليد هذا هو الجد الرابع للسيدة آسية بنت مزاحم امرأة فرعون موسى ، وكانت هي موحدة وكان هو مشركاً كما سوف نرى فيما بعد . وهي مصر التي احتملت إليها السيدة مريم عيسى الطفل ليلاً هرباً من وكيل المحطة هيرودوس ، يقول الطبري : « واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، ووردا أرض مصر » فهي الربوة التي قال الله : « وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »[18] .

أما قصة قول إبراهيم لزوجته حينما قارب أن يدخل مصر (قولي لهم إنك أختي) خوفاً من أن يقتلوه بسببها[19] . فإن هذا ناجم عن اللعب على الفرق بين اللهجتين الشرقية التي هي لهجة إبراهيم وبين لهجة جبا ل السراة في الغرب ، إذ أن كلمة « حتو » في القاموس الكلداني تعني : أخت ، قريبة ، صديقة ، خليلة ، عشيرة ، نظيرة ، راهبة .. فسارة كانت قريبته وعشيرته أي زوجته فعلاً ، ولم يفهم منها المصريون في الغرب إلا معنى الأخت الذي استبقته اللهجة العرباء وحده حتى اليوم ، ولم يكن في هذا القول كذب من قبل إبراهيم كما جاء في أحد الأحاديث الموضوعة عن لسان الرسول .

إبراهيم في « أرض كنعان » :

ثم « شخص أبرام من مصر هو وامرأته وكل ماله ولوط معه إلى الجنوب » إلى « بيت ايل إلى الموضع الذي كان فيه خباؤه » في أرض الكنعانيين[20] . لننتبه إلى التوجه الجغرافي : فأية أرض كنعان هذه سواء في فلسطين أو في سوريا عموماً التي هي في جنوب مصر ؟ ولنتابع :

ولما ضاق المرعى بمواشي إبراهيم ولوط طلب إبراهيم من ابن أخيه أن يختار مرعى آخر لمواشيه : « وكان أيضاً للوط السائر مع إبرام غنم وبقر وخيام ، فلم يحتمل ضيق الأرض أن يقيما فيها معاً .. فكانت خصومة بين رعاة ماشية إبرام ورعاة ماشية لوط والكنعانيون والفرزيون حينئذ مقيمون في الأرض ، فقال إبرام للوط لاتكن خصومة بيني وبينك ولا بين رعاتي ورعاتك ، إنما نحن

رجلان أخوان ، أليست الأرض كلها بين يديك ، اعتزل عني إما إلى الشمال فأتيامن أو إلى اليمين فأتياسر .. فاختار لوط لنفسه مكاناً إلى المشرق ، وأقام إبرام في أرض كنعان .. وقال الرب لإبرام بعد أن فارقه لوط : إرفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ، إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد »[21] ..

فانتقل إبرام بخيامه حتى جاء وأقام في بلوط ممرا ثم يحدد له هذا المكان المرعى في موضع آخر «من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات »[22] . إن في إمكان أي منا أن يتصور كيف يمكن لإبرام الواقف أمام باب خيمته تحت بلوطات ممرا أن يرى من الفرات إلى النيل كما صارت في التزوير الصهيوني ، والحقيقة أن مرعى إبراهيم كان في سفوح جبل من بلاد غامد حيث يُطلّ يميناً أو غرباً على قرية المصريين ويساراً أو شرقاً على وادي الثرات (الفرات) من تلك الجبال وينحدر شرقاً صوب برية العرب ، هذا مع التذكير بأنه لاعلاقة ليهود العالم بإبراهيم العربي الآرامي ولا بوعود الرب له أياً كانت .

بقي أن نشير هنا إلى أن المكتشفات الآثارية من أقصى شمال سوريا الطبيعية إلى أقصى جنوبها لم تشر إلى أي وجود كنعاني فيها ، ولم تأت علي أي ذكر لكنعان ، وأما ما يزعم البعض من أن الكلمة وردت في الأسطر القليلة المكتشفة على ما دعي بتمثال إدريمي في الألاخ فهذا زعم باطل ، إذ أن الكلمة هي «قنياني» وتعني مقتنياتي ، ملكي ، وليست «كنعان» . إن المستشرقين الاستعماريين هم الذين نقلوا الأحداث التوراتية العشائرية من جغرافيتها الضيقة في منطقة عسير من شبه جزيرة العرب وحولوها إلى دول وشعوب وامبراطوريات تغطي ساحة سوريا الطبيعية كلها ، وبقيت تسمية « الكنعانيين » في سوريا مصطلحاً توراتياً لاعلاقة له من قريب أو بعيد بكل المكتشفات الآثارية فيها ، والأنكى من هذا أن بعض المشرفين على الآثار ما ينفكون يرددون شكلياً تمسكهم بما تقوله المكتشفات الآثارية في الوقت الذي يغمضون الأعين عن كل هذا التزوير الحاصل في التاريخ والجغرافيا .

يقول سبتينو موسكاتي في كتابه « الحضارات السامية القديمة » بهذا الصدد : « تسمي التوراة المنطقة المكونة من فلسطين وفينيقيا كنعان وتسمي سكانها

الكنعانيين ومن ثم تعارف العلماء على إطلاق اسم الكنعانيين على أسلاف إسرائيل وجيرانهم الساميين الذين استوطنوا الظهير السوري »[23].

إذن التسمية جاءت من التوراة، ثم تعارف العلماء على تحديد مضمون هذه التسمية، إنه اصطلاح اتفق عليه المستشرقون الاستعماريون والصهاينة من أجل أن يحولوا أرض سوريا كلها من الفرات إلى النيل إلى ما تدعوه التوراة بأرض الكنعانيين التي وعد بها الرب إبراهيم، فصاروا اليوم يدعونها بـ « أرض الميعاد » لتكون المسرح الجغرافي الاستعماري الصهيوني الحديث، وليس التوراتي على الاطلاق، زاعمين، بكل صفاقة الباطل، أنهم ورثة وعد الرب لإبراهيم العربي الآرامي، محولين حلمه بامتلاك قطعة الأرض التي كان يرعى فيها مواشيه إلى حلم استعماري صهيوني حديث بإقامة دولة من الفرات إلى النيل..

ثم إن موسكاتي نفسه ما يلبث في الصفحة التالية من كتابه أن يعقب قائلاً: « فمن المستحسن، ولا ريب، أن يعالج في المستقبل تاريخ سوريا وفلسطين، أو « سوريا » بمعناها الواسع، وهو اصطلاح موفق أخذ به الجغرافيون، على أنه موضوع واحد دون أية حدود صناعية.. وهنا لا حاجة به إلى اصطلاحات كلفظ الكنعانيين ».

لقد ربطت الصهيونية يهود العالم بالنسب زوراً إلى إبراهيم الخليل ودعته أباً للعبرانيين، وقد بيّنا كيف أن هذا هو مجرد افتراء على الحقيقة والتاريخ وعلى مدونات التوراة ذاتها.

إن العبرانية « هذه التسمية التوراتية » ليست ظاهرة نسبية أو شعبوية أو لغوية أو قبلية، إنها تسمية كانت تطلق على كل من يعبر من جانب إلى الجانب الآخر من الرعاة العرب في منطقة جد ضيقة في أعالي وادي الثرات شرق غامد في شبه جزيرة العرب، وإن إبراهيم هذا هو أبو سلسلة طويلة من الأبناء والعشائر العربية في تلك المنطقة من أبناء هاجر وسارة وقطورة الذين ورثوه وورثوا مراعيه ومواشيه.

إن التاريخ لم يعرف مثل هذا الاستخفاف بالعقل البشري الذي يجري اليوم في القرن العشرين بعد المسيح، إذ نجد السياسة التي تدعي قيادة البشرية

في مسيرتها الحضارية الراهنة ، رهن مصالحها التي جندت مجموعة من المؤرخين الاستعماريين والصهاينة ، وزوروا كل حقائق التاريخ خدمة لأغراض استعمارية ظاهرة ومكشوفة ، وسخروا ذلك كله في أبشع ظاهرة عرفها تاريخ البشر ، وهي جمع اليهود من مختلف الأعراق والقوميات : الروس والبولونيين والمجريين والألمان والأمريكيين ، والنيجريين والسنغاليين والأثيوبيين وغيرهم ، وتهجيرهم إلى الأرض العربية ليتسلموا « ميراث » هذا الراعي البدوي العربي إبراهيم الخليل .

وهكذا يتضح لنا كيف أن المقصود بـ « المصريين » في مدونات التوراة إنما هم عشيرة المصريين إحدى فصائل كنعان بن حام ، وكان مسكنهم في منطقة غامد من جبال السراة في شبه جزيرة العرب ، يتزعمهم واحد من العماليق لقبه فرعون ، وليس المقصود بهم سكان وادي النيل ؛ أما أرض الكنعانيين فتقع جنوب « مصريم » وشرقها عند أعالي وادي الفرات (الثرات حالياً) في المنطقة ذاتها ، وليس في سوريا الغربية المتوسطية على الإطلاق .

وقبل أن نتابع حديثنا عن « رحلة » إبراهيم التوراتية نذكر القارىء الكريم بأن مدونات التوراة هي المصدر الوحيد الذي تعرف من خلاله الناس على تفاصيل تلك الرحلة ، وليس للآثار أي شأن في ذلك من أجل أن نستنطق علم الآثار ، فإبراهيم عربي آرامي من البدو الرعاة ، ومن المعروف أن البدو الرحل لايتركون آثاراً ، فهم يموتون وتموت مواشيهم ، وتندثر خيامهم دون أن يتركوا أي أثر مادي على الأرض ، والزراعيون المستقرون الذين يشيدون المدن والقرى وينحتون الحجارة ويصنعون أدوات الإنتاج هم وحدهم الذين يخلفون لنا الآثار ، ولهذا ، وقطعاً لأية إشارة استفهام قد ترتسم في مخيلة البعض حول اعتماد مدونات التوراة لتتبع أخبار إبراهيم وذريته من بعده ، فإننا نقول إنه ليس في إمكان أحد أن يتجاهل أن مدونات التوراة مصدر من مصادر التاريخ ، ولكن على أن تدرس نصوصها دراسة علمية تاريخية وجغرافية وسكانية ولغوية موضوعية ، حتى نضع أيدينا على الحقائق التاريخية في هذه النصوص كما هي في الواقع لاكما وضعها الصهاينة في صورتها التاريخية والجغرافية المزورة . إن الحقيقة التاريخية التي تتضمنها نصوص

التوراة هي -في حد ذاتها- دحض لكل مزاعم الصهيونية اليوم. لهذا فإننا لن نألو جهداً في الكشف عن مدى وفداحة التزوير في التفسير الصهيوني والاستعماري لجغرافيا التوراة ولأحداثها من خلال نصوص التوراة ذاتها، هذا التزوير الذي عمم على جامعات العالم، ونقله النقلة العرب إلى جامعات الوطن العربي على مدى قرن كامل من الزمن.

وعودة بنا الآن لمتابعة «رحلة» إبراهيم الخليل كما هي في مدونات التوراة، ونعترف بأن استخدام كلمة «رحلة» هنا إنما هو استخدام مجازي، إذ أن مسيرة إبراهيم كانت مسيرة رعوية، فهو راع بدوي لمجموعة من الأغنام والأبقار تكثر أو تقل، يتحرك من أرض شح فيها المرعى إلى أخرى أكثر كلأ، ومثل هذه الحركة في لغة أهل البدو تسمى «النجعة». ولما كانت معظم مواشي إبراهيم -كما تحدثنا التوراة- من الغنم فإن إبراهيم من الرعاة أصحاب النجعات الصغيرة والقصيرة، لأن الغنم لاتحتمل أن تساق عبر المسافات البعيدة أو عبر الصحارى.

فإلى موقع آخر من «نجعة» إبراهيم في نصوص التوراة.

إبراهيم الخليل بين (الفلسطينيين):

تحدثنا التوراة في الفصل العشرين من سفر التكوين أن إبراهيم ارتحل بمواشيه من أرض الكنعانيين جنوباً إلى «جرار» حيث أبيمالك ملك الفلسطينيين، وقال لـ «سارة» زوجته - مرة أخرى - «قولي إنك أختي». فأخذها أبيمالك، حتى لما عرف أنها زوجة إبراهيم لاأخته عاتبه وأعادها إليه دون أن يمسها، ومنحه غنماً وبقراً وعبيداً، وقال له أبيمالك: «هذه أرضي بين يديك فحيثما طاب لك فأقم فيه»[24].

«وعاتب إبراهيم أبيمالك بسبب بئر الماء التي غصبها عبيد أبيمالك، فقال أبيمالك لم أعلم من فعل هذا الأمر، وأنت لم تخبرني ولا أنا سمعت إلااليوم، وأخذ إبراهيم غنماً وبقراً فأعطى أبيمالك، وبتا كلاهما عهداً وأقام إبراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها، فقال أبيمالك لإبراهيم ما هذه السبع نعاج التي أقمتها وحدها، قال: سبع نعاج تأخذ من يدي لتكون شهادة لي بأني حفرت

هذه البئر ، ولذلك سمي بئر سبع لأنهما هناك حلفا كلاهما ، وقطعا عهداً ... وقام أبيمالك ورئيس جيشه ورجعا إلى أرض فلسطين ... ونزل إبراهيم أرض فلسطين أياماً كثيرة »[25] .

ولنقرأ حول ما حدث في أرض الفلسطينيين مع إسحق بن إبراهيم :

« وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام إبراهيم . فمضى إسحق إلى أبيمالك ملك فلسطين في جرار »[26] .

وحدث مع إسحق وزوجته رفقة نفس ما حدث مع إبراهيم وسارة مع أبيمالك :

« فقال أبيمالك ماذا صنعت بنا ، لولا قليل لضاجع أحد قومنا امرأتك فجلبت علينا إثماً ، وأمر أبيمالك جميع القوم قائلاً : من مسّ هذا الرجل أو امرأته يقتل » ... وصارت لإسحق ماشية غنم وماشية بقر وعبيد كثيرون ، فحسده الفلسطينيون ، وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم أبيه طمّها الفلسطينيون ... فاختصم رعاة جرار مع رعاة إسحق قائلين : هذا الماء لنا ... وقال أبيمالك لإسحق : اخرج من عندنا لأنك قد أصبحت أقوى منا جداً »[27] .

ولندرس الآن معاً هذه النصوص دراسة علمية متأنية :

1 ـ من الناحية السكانية :

إن نظرة واحدة على هذه النصوص تؤكد لنا بصورة حاسمة وقاطعة أننا أمام عشيرة بدوية عربية رعوية صغيرة هي عشيرة « فلستيم » (التي نقلت إلى العربية باسم « فلسطينيين ») يتزعمها شيخ اسمه أو لقبه « أبيملك » وهي عشيرة صغيرة ترعى في أرض ضيقة لاتتسع كلأ وماء لمواشي إسحق معها ، مما جعلها تتنازع معه من أجل بئر الماء ، وحمل شيخها أبيمالك على أن يطلب منه الخروج إلى أرض أخرى قائلاً له : « لقد صرت أقوى منا جداً » .
ونسب تلك العشيرة ـ كما تبين التوراة ذاتها ـ يعود إلى عشيرة مصريم الكنعانية « ومصريم ولد فتروسيم وكسلوحيم الذين خرج منهم الفلسطينيون وكفتوريم »[28] فهي إذن عشيرة عربية من أبناء كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، واسم شيخها « أبيمالك » اسم عربي صميم ، ولم يكن إبراهيم أو إسحق أو رعاتهما بحاجة إلى مترجم ليتحدث مع أبيمالك ورعاته . وهذا من شأنه

أن يرفض الزعم الاستشراقي والصهيوني القائل بأن الفلسطينيين قوم من شعوب البحر.

2 - من الناحية الجغرافية:

كنا قد تحدثنا عن موقع عشيرة المصريين «مصريم» المجاورة لعشائر الكنعانيين في أعالي غامد من شبه جزيرة العرب، وهنا نقول إن الدراسة الجغرافية لهذه النصوص من حيث المسافة والبيئة والاتجاه تؤكد أن الفلسطينيين «فلستيم»، الذين هم إحدى عشائر «مصريم» يسكنون البقعة نفسها، ولقد سقط مؤخراً الزعم القائل بأن أصلهم يعود إلى جزيرة كريت، وتبين أن «كريت» التوراتية هي أرض العشيرة الواقعة عند أعالي وادي كريت الذي ما يزال موجوداً حتى اليوم شرقي جبل سودة، وإلى شماله يقع وادي (قريت) أيضاً الذي يتحد مع وادي «جت»، وقد ذكر «جت» مراراً في مدونات التوراة. كما تكشف أخيراً للباحثين أن الدمار الذي حل بمدن الشاطىء الشرقي للمتوسط في حوالي 1200 ق. م والذي كان يعزى لشعوب البحر المزعومة إنما كان بفعل كوارث زلزالية طبيعية ضربت المنطقة ضربات عنيفة متلاحقة في تلك الفترة[29].

3 - من الناحية التاريخية الزمنية:

كنا قد حددنا زمن إبراهيم الخليل وبالتالي زمن ابنه إسحاق في حوالي 1500ق. م، ويصر المستشرقون على اعتباره ما بين 1900 — 1800 ق. م، فالفلسطينيون، الذين لم يعرفوا إلا من خلال مدونات التوراة، موجودون إذن منذ ذلك التاريخ. فكيف يستقيم الأمر، بعد هذا، مع أولئك المستشرقين الذين يقرون بوجودهم منذ زمن إبراهيم، وفي الوقت نفسه يزعمون أنهم ظهروا فجأة على الشاطىء الشرقي للمتوسط في حوالي 1200 ق. م أي بعد زمن إبراهيم بمئات السنين وجعلوهم يقدمون من البحر ويدمرون مدن الشاطىء الشرقي للمتوسط؟

4 ـ من الناحية اللغوية :

إن الكلمة هي في الأصل «فلستيم» (أو فلشتيم) وهي جمع (فلستو) وتعني في العربية القديمة المحارب ، المقاتل ، الثقاب ... الخ .
وهي «فلشتو» في القاموس الكلداني ، فكيف تحول هذا المضمون اللغوي العربي القديم إلى هندو أوروبي مجهول ومزعوم في آن معاً ؟

5 ـ من الناحية الآثارية :

ليس في المكتشفات الآثارية كلها سواء في جنوب سوريا أو في شمالها أي ذكر لشيء اسمه «فلسطين» أو «فلسطينيون» ، وبالتالي فالفلسطينيون المزعومون الوافدون من البحر إلى المنطقة لاوجود لهم آثارياً ، والتسمية توراتية ، وقد خضع «الفلسطينيون» كما خضع غيرهم من العشائر العربية الأخرى إلى عملية التزوير الكبرى في تاريخ وجغرافيا الأحداث التوراتية ، مما أوقع المزورين أنفسهم في تناقضات تاريخية وجغرافية وسكانية ولغوية لاحصر لها ، ولا مخرج لهم منها إلا بالاعتراف بالحقيقة التاريخية العربية كما هي خارج نطاق التزوير ، هذا التناقض الذي عبر عنه كثير منهم ، بل ومن أشدهم تعصباً ضد العرب ، من أنطون مورتغات في ألمانيا إلى أو . ر . جارني في بريطانيا .
أما الحقيقة فهي أن سكان جنوب سوريا المدعوين اليوم بالفلسطينيين هم جزء من سكانها الأصليين التاريخيين أصحاب الأرض الحقيقيين منذ أن وجد الإنسان العاقل الأول في العالم على الأرض العربية ، إنهم العرب السوريون العموريون والفينيقيون في العصور القديمة ، وما زالوا عرباً سوريين حتى اليوم ، ولم يعرفوا تسمية «فلسطين» و«الفلسطينيين» طيلة فترة ما قبل المسيح .
لقد ألصقت بهم تسمية «الفلسطينيين» التوراتية في ثلاث مراحل خضعت فيه المنطقة للاحتلال الأجنبي وخضع تاريخها للتزوير ، أعقبتها مرحلتان من التحرير والتصحيح للتاريخ ونحن اليوم في انتظار الثالثة .
أما المرحلة الأولى فقد حدثت زمن قسطنطين البيزنطي في حوالي القرن الرابع

بعد ميلاد المسيح ، حينما تحولت جغرافيا الأحداث التوراتية لأول مرة إلى سوريا الغربية ، ونصب قسطنطين من نفسه في لعبة سياسية استعمارية مفضوحة حامياً للمقدسات ، وقد أعقب ذلك عملية التحرير الكبرى للوطن العربي التي قادها العرب المسلمون ، ثم لم تدع بعد التحرير وطيلة فترة الدولتين العربيتين الأموية والعباسية منطقة جنوب سوريا بهذا الاسم ، كما لم يطلق على سكانها اسم « الفلسطينيين » .

ومرحلة التزوير والاحتلال الثانية كانت زمن الاحتلال الأوروبي للمنطقة الذي عرف بالاحتلال الصليبي ، وأعقبتها مرحلة التحرير والتصحيح الثانية زمن صلاح الدين الأيوبي الذي لم يذكر في عهده ، وطيلة ستة قرون من بعده ، اسم فلسطين والفلسطينيين على جنوب سوريا .

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الاحتلال والتزوير الاستعماري والصهيوني الحديث ، الذي دأب طيلة هذا القرن الأخير وما زال يدأب على ترسيخ وتكريس الصورة المزورة لجغرافيا وأحداث التوراة ، وستعقبها ، لاريب ، عملية التحرير والتصحيح الثالثة للأرض وللتاريخ .

إن فلسطينيي التوراة هم عشيرة عربية من أبناء « مصريم » (المصريين) الذين هم عشيرة عربية من أبناء كنعان بن حام بن نوح . وهذا ما أكدته لنا مدونات التوراة نفسها ، وهي المصدر الوحيد في المنطقة والعالم الذي تضمن ذكراً لهؤلاء « الفلسطينيين » . أما سكان جنوب سوريا المدعوون اليوم بالفلسطينيين فهم لم يكونوا منذ أن وجد أول إنسان عربي على الأرض سوى جزء من سكانها العرب الأصليين ، ولم يعرف جنوب سوريا طيلة فترة ما قبل المسيح أية غزوة من أي شعب .

أما حقيقة ما يزعمه بعض الباحثين المغرضين ، وينقله بعض النقلة العرب ، من أن هيرودوت ذكر الفلسطينيين في تاريخه فهي الآتية :

إن العبارة التي أوردها هيرودوت هي « سوريويو فلستيو » وتعني بالعربية الفينيقية السوري المحارب ، وقد نقلت إلى الانكليزية هكذا Palestine Syrian .

ونقلها المترجمون العرب الشديدو الثقة بـ « علمية » الخصوم تحت عبارة « فلسطينيو سوريا » محولين مضمون كلمة « فلستيو » اللغوي الصرف كـ

«محارب» إلى مضمون سكاني غريب.
لقد كان حرياً بهؤلاء النقلة أن يبحثوا عما كتبه هيرودوت فعلاً عن سكان المنطقة ويرسخوه ويدافعوا به ومن خلاله عن تاريخ شعبهم الذي زوره الخصوم بصورة لم يعرفها تاريخ شعب من الشعوب. لقد ذكر هيرودوت أن سكان آسيا الصغرى وحتى البحر الأسود سوريون. ولقد أشار إلى ذلك أ. ج. ايفانز في النصوص المختصرة التي أوردها مما كتبه هيرودوت[30].
فلماذا يتجاهلون هذه الحقيقة الهامة؟

إبراهيم الخليل بين «الحثيين»:

تقول التوراة: بعد أن ماتت «سارة» زوجة إبراهيم حزن عليها حزناً شديداً «وقام إبراهيم من أمام ميته وكلم بني حث قائلاً: أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر عندكم فادفن ميتي من أمامي. فأجاب بنو حث إبراهيم قائلين له: اسمع ياسيدي، إنما أنت زعيم الله فيما بيننا، في خيار قبورنا أدفن ميتك، فليس أحد منا يمنع عنك قبره لتدفن فيه ميتك. فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض، لبني حث، وكلمهم قائلاً: إن طابت نفوسكم أن أدفن ميتي من أمامي فاسمعوا لي، اسألوا لي عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة التي له في طرف حقله... وكان عفرون جالساً فيما بين بني حث، فأجاب عفرون الحثي إبراهيم على مسامع بني حث:
«... لايا سيدي، اسمع لي، الحقل قد وهبته لك والمغارة التي فيه أيضاً هبة لك مني على مشهد بني قومي وهبتها لك، أدفن ميتك»[31].
وبقي إبراهيم وابنه اسحق بين بني حث، حتى أن عيسو بن اسحق تزوج امرأتين من بني حث، تقول التوراة: «ولما صار عيسو ابن أربعين سنة اتخذ يهوديت بنت بئيري الحثي وبسمة بنت أيلون الحثي امرأتين له فكانتا مرارة نفس لإسحق ورفقة»[32].
نتوقف الآن لنتعرف على هؤلاء «الحثيين» من خلال نصوص التوراة، وقد أصابهم التزوير كما أصاب غيرهم:
1 - تقول التوراة إن الحثيين هم إحدى عشائر الكنعانيين: «وولد كنعان

صيدون بكره. وحثا، واليبوسي، والآموري، والجرجاشي، والحوّي، والعرقي، والسيني، والعرادي، والصماري، والحمتي، وبعد ذلك تفرقت عشائر الكنعانيين»[33].

فهم، إذن عشيرة عربية كنعانية، نسبهم عربي، ولغتهم عربية ومسكنهم في أحد جبال غامد هو جبل لبنان غرب منابع الفرات (الثرات) في شبه جزيرة العرب كما تحدد سابقاً، وأسماؤهم عربية: فعفرون، تصغير (عفرو) في العربية القديمة، و«عَفْر» في العربية الحديثة وتعني الشجاع، الشديد، ومن أسماء الأسد، والأبيض، و«صوحر» في القاموس العربي الكلداني تعني الأصهب، أما «يهوديت» فتعني الهادية، و«بسمة» اسم عربي قديم حديث لا يحتاج إلى شرح.

2 - ليس في المكتشفات الآثارية كلها من أقصى الشمال عند شواطىء البحر الأسود وحتى جنوب سوريا أي شيء حثي، فكيف إذن يجري الحديث عن «حثيين» وعن «آثار حثية»، و«دولة حثية» وغير ذلك في كتب التاريخ؟

لقد أصاب التزوير السكاني والجغرافي عشيرة بني حث العربية الكنعانية في مدونات التوراة وتحولت إلى شعب هندو أوروبي أقام دولته في شمال سوريا وسيطر حتى جنوبها واقتسمها مع المصريين!

وهنا لابد لنا من أن نتوقف قليلاً عند هذا التزوير الكبير.

«الحثيون» أصل التسمية وحقيقتهم التاريخية:

يجمع المؤرخون على أن لاعلاقة للتسمية بالمكتشفات الآثارية، وأنها اقتبست من مدونات التوراة. يقول فيليب حتي نقلاً عن غيره إن التسمية الانكليزية Hitti جاءت من الكلمة التوراتية[34]. ونحن هنا سوف نعتمد واحداً من أشد الناس تعصباً ضد العرب وتاريخهم، إنه أو. ر. جارني، الذي كان يعتبر أحد أدوات الاستعمار البريطاني في المنطقة، وكتابه «الحثيون».

لقد أورد «جارني» هذا النص التوراتي «وكلم الرب يشوع قائلاً قم واعبر الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم... من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين» ثم يعقب فوراً

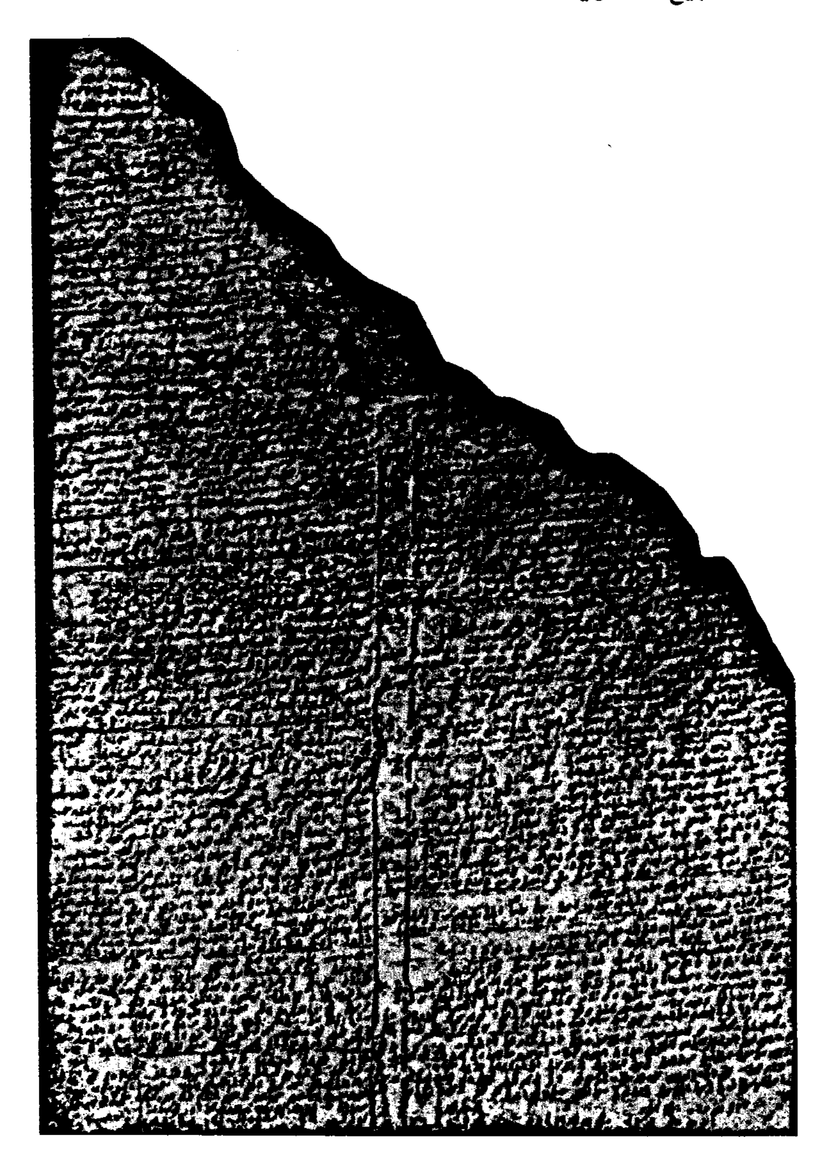
قائلاً : « وهذا الأمر ليس له معنى، فالبلاد بين لبنان والفرات لم تكن واقعة عبر الأردن بالنسبة للإسرائيليين ... ويوجد حل محتمل واحد لهذه الأحجية، فقد رأينا أن سكان الأناضول الأوائل كانوا قوماً سميناهم حاثيين Hattians لأنهم كانوا يتكلمون لغة أطلقنا عليها اسم « حلتية » ... ولا نعرف في الواقع إذا كان متكلموها قد أطلقوا على أنفسهم هذا الاسم ... وعلى أية حال فلنا على الأقل أن نذكر الاحتمال الذي هو غير قابل للإثبات بسبب طبيعة الدليل، وهو أن اللغة « الحاتية » كانت وسيلة التخاطب في منطقة واسعة جداً شملت فلسطين ... فإذا كانت هذه هي الحقيقة فمن غير المحتمل العثور على أي دليل جديد »[35].

وفي مكان آخر يقول : وكلمة « حثية » أطلقها العلماء المحدثون على هذه اللغة لكونها اللغة الرسمية لبلاد « حاتي » وقد قبلت هذه التسمية في كل أنحاء العالم، ولكن إذا قصدنا دقة التعبير، فهي غير صحيحة، لأن كلمة « بحيلتيتي » أي « بالحثية » in Hiltite كانت تستعمل في النصوص لتقديم فقرات مكتوبة بلغة مخالفة تماماً[36]. ويقول أيضاً : « فالخط المسماري كما اصطنعه « الحثيون » كان مقطعياً، أي أن كل علامة فيه كانت تقرأ كمقطع مكون من حرف علة + حرف صامت (ساكن)، وأما من حرف صامت + حرف علة + حرف صامت، ومثل هذا الخط يتناسب جداً مع أية لغة سامية »[37].

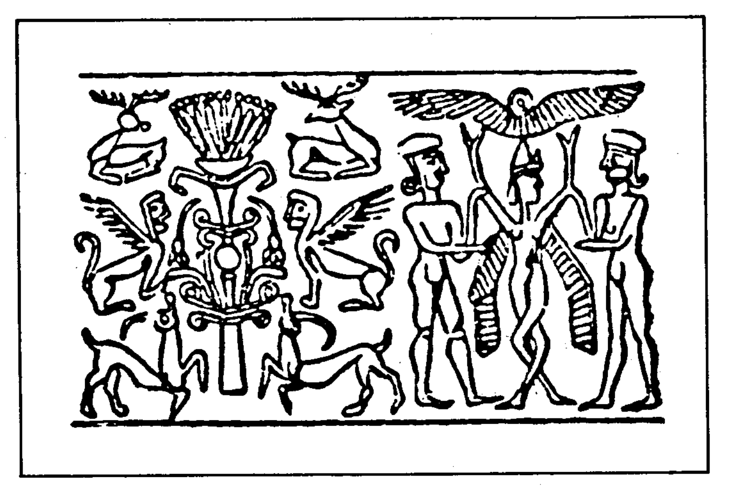
ثم يقول في مكان آخر : « وقد استخدم (الحثيون) اللغة السامية المشهورة لغة بلاد بابل وآشور التي عرفت لدى (الحثيين) باسم (بابلية) وقد كثر استعمالها في الشرق الأدنى ... وقد اتبع ملوك الحثيين هذه العادة في معاملتهم مع جيرانهم في الشرق والغرب[38]. ثم « ولا تصادفنا أية صعوبة بخصوص استعمال اللغتين الآكادية والسومرية فقد كانتا لغتي الأدب في حاتوشا »[39].

أما الآلهة فهي جميعها سورية من إله « شمس رَنْيا » إلى البعل وقرينته عشتار، ويسمى « شيتوف » أو « تيشوب » لأن الفاء في العربية القديمة تلفظ P وتعني الكلمة في القاموس الكلداني البعل، الزوج، القرين، والربة هي الحبيبة « حبّت » أما المعابد « فهي كمثيلاتها في بلاد بابل »[40]. ورأس السنة « هو رأس السنة البابلي »[41]. والأساطير هي نفس الأساطير العربية المتصلة

بأدونيس، وأوزيريس وتموز وهي تمثل العناصر النموذجية الموجودة في احتفالات الربيع السنوية »[42].



يدعوها المزورون بـ « الحثية ».



عشتار بين حانو (آنو) وحيا (إيا) ومن فوقها الشمس المجنحة يميناً ،
وشجرة الحياة أو الخصب يساراً في الآثار المكتشفة في شمال سوريا
والتي يزعم المزورون أنها «حثية» .



السيدة العذراء (عشتار) والشجرة والطفل الإلهي تموز . ختم بابلي .

فماذا يبقى ، بعد هذا كله ، لأولئك « الهندو — أوروبيين » المزعومين في شمال سوريا ؟

إن هذا يؤكد مرة أخرى أن الآثار المكتشفة حتى البحر الأسود شمالاً هي

رقيم تمثال الملك — الظهر . من النصوص الفينيقية المكتشفة في قره تبية .

آثار عربية سورية خلفها الانسان العربي في فترات تاريخية متصلة ومتعاقبة ، وما أن اخترع أبجديته الحرفية الساحرة حتى ظهرت نصوصها هناك أيضاً

تشهد على ذلك وثائق « قره تبه » الفينيقية . أما شيفمان فيؤكد في كتابه « ثقافة أوغاريت » أن الأساطير واللغة والكتابة والآلهة في آسيا الصغرى هي فينيقية بأجمعها[43] .

أما الذي حدث فهو أن مزوري التاريخ نقلوا جغرافياً الأحداث التوراتية من منطقتها على وادي الفرات في غامد من شبه جزيرة العرب ، وهي برمتها عربية صميمة ، إلى سوريا الغربية . فجعلوا من عشيرة المصريين بلاد وادي النيل ، ومن عشائر الكنعانيين والفلسطينيين جنوب سوريا ، ومن عشيرة بني حث الكنعاني في أعالي الفرات / الثرات / شعباً هندو أوروبياً في شمال سوريا ، ومن عشيرة الفلسطينيين شعباً بحرياً وغريباً عن المنطقة ، ثم لم يعودوا قادرين على التحكم بكل هذه التناقضات والارباكات التاريخية والجغرافية والسكانية واللغوية الكثيرة : فالفلسطينيون موجودون منذ زمن إبراهيم وإسحق ، لكنهم جاؤوا بعدهم بستة قرون ، والحثيون موجودون بين الكنعانيين والفلسطينيين لكنهم في أعالي الفرات ، وهم هندو أوروبيون لكنهم عرب لغة وديانة ومعتقدات وأسماء !

أما بشأن ما دعي بـ « المعاهدة بين الحثيين والمصريين » والتي اعتبرت معاهدة ما بين الدولة الحثية المزعومة في شمال سورية وبين دولة مصر وادي النيل فهي معاهدة بين ملكي العشيرتين في غامد يدل على ذلك كل مضمون المعاهدة ولغتها ، من أجل التفاصيل حول ذلك يمكن مراجعة كتابنا « تاريخ سوريا القديم ، تصحيح وتحرير »[44] .

ينتج من كل ما تقدم أن التسمية جاءت من مدونات التوراة ، وقد أطلقها المؤرخون الغربيون على شمال سوريا اصطلاحياً وليس اعتماداً على ما قدمته لهم الآثار باعتراف جارني نفسه . أما قوله بأن الكلمة مأخوذة من (بحلتيت) الحثية ، فأخذوا يسمونها مرة « حالتية » وأخرى « حاتية » فإن كلمة « بحلتيت » هي عربية قديمة حديثة وتعني في القاموس الكلداني « اللاصقة » وهي الكتابة العربية السورية التي سبقت الأبجدية العربية السورية التي سبقت الأبجدية الحرفية ودعيت بالمقطعية اللاصقة . و(حلتيت) في قاموس « محيط المحيط » تعني الصمغ ، صمغ الأنجدان ، وهي كذلك في القاموس الكلداني .

ولما كانوا قد اعتمدوا أساساً على مدونات التوراة ، والتوراة ذكرت بني حث مع إبراهيم وإسحق ، ولما كانوا قد أرجعوا زمن إبراهيم إلى حوالي 1800 ق . م فقد أطلقوا على الفترة الممتدة من ذلك العهد وحتى 1200 ق . م (زمن تدمير شرق المتوسط بالكوارث الطبيعية) اسم « العهد الحثي » وصاروا ينسبون إليه زوراً كل المكتشفات الآثارية في تلك المنطقة التي تعود إلى هذه الفترة .

أما بلاد « حاطي » فقد حددها الباحث الشهير موسيل بعد دراسة معمقة للتوراة ولشبه جزيرة العرب ، وذكر أنها عند أعالي وادي الفرات (الثرات) وتقع ديار حاطي Hatti على مقربة من أدوم[45] .

ومن المعروف أن أدوم هو عيسو أخو يعقوب الذي سمي الجبل الذي سكنه باسمه في تلك المنطقة .

إن مؤسسة « فون أوبنهايم » الاستشراقية الاستعمارية الألمانية التي وضعت نصب أعينها جعل كل الشعوب الممتدة على خط المطامع الاستعمارية الألمانية الممتد عبر اليونان وتركيا ، وجنوب الاتحاد السوفيتي ، وشمال سوريا ، وشمال العراق ، وإيران .. والهند ، تنتمي إلى العرق الآري المزعوم والذي يعتبر أكبر بدعة في القرن العشرين ، لم تدخر جهداً في تثبيت وترسيخ هذا التزوير في تاريخ المنطقة .

ثم تلقفته تركيا الحليفة ، وسارعت إلى تثبيته ، وجعلت من الأتراك أحفاداً لأولئك (الحثيين) المزعومين ، كما سارعت إلى إطلاق اسم « إقليم حاتي » على كيليكيا واسكندرون السورية .

بعد هذه الدراسة التاريخية والجغرافية والسكانية لحركة إبراهيم الخليل الرعوية التي بينت لنا عروبة المصريين ، والكنعانيين ، والفلسطينيين ، والحثيين ، وحقيقتهم السكانية البدوية العشائرية في بقعة جد ضيقة من أعالي الفرات (الثرات) في غامد من شبه جزيرة العرب ، صار في إمكاننا الآن أن ننتقل مباشرة إلى أبناء إبراهيم ، وعلى الأخص منهم بني يعقوب (إسرائيل) .

تقول مدونات التوراة والمصادر العربية الأخرى إن إبراهيم اتخذ زوجة هي سارة بنت هاران العربي الآرامي ، وجاريتين إحداهما لسارة وهي هاجر وقد عاد بها من أرض عشيرة المصريين ، والثانية للعمل في حلب المواشي

وللاهتمام بصناعة منتوجاتها من صوف ، وسمن ولبن وأجبان ، وهي قطورة بنت يقظان من العشائر العربية المجاورة .

وكما سبق أن بينّا كيف أن « إبرام » لقب وليس اسماً ويعني « العابر » فإن كلاً من أسماء زوجاته لقب أيضاً وليس اسماً .

إن « سارة » تعني السيدة ، الملكة ، وهي الزوجة وربة البيت الحقيقية التي وعدها إبراهيم بألا يتخذ معها زوجة أخرى ما دامت هي على قيد الحياة ، أما اسمها الحقيقي فهو « فضة » أو « أساكا » ، كما يؤكد صاحب القاموس الكلداني ، و« أساكا » تعني أيضاً « فضة » .

أما هاجر فتعني الأجير ، الجارية ، الخادم ، لأن الهاء في لهجة المصريين الكنعانيين في غرب غامد كانت للتعريف ، بينما لاوجود لأداة التعريف هذه في اللهجة الكلدانية الآرامية التي هي سريانية شرقية ، وأما « قطورة » فهي في القاموس الكلداني من الفعل « قطر - قطورا » ويعني : قطر ، عقد ، شد ، ربط ، ضفر ، جدل ، روب اللبن ، جبّن .. الخ ..

وهي تمثل مجمل الأعمال المنوطة بها كزوجة في بيت إبراهيم .

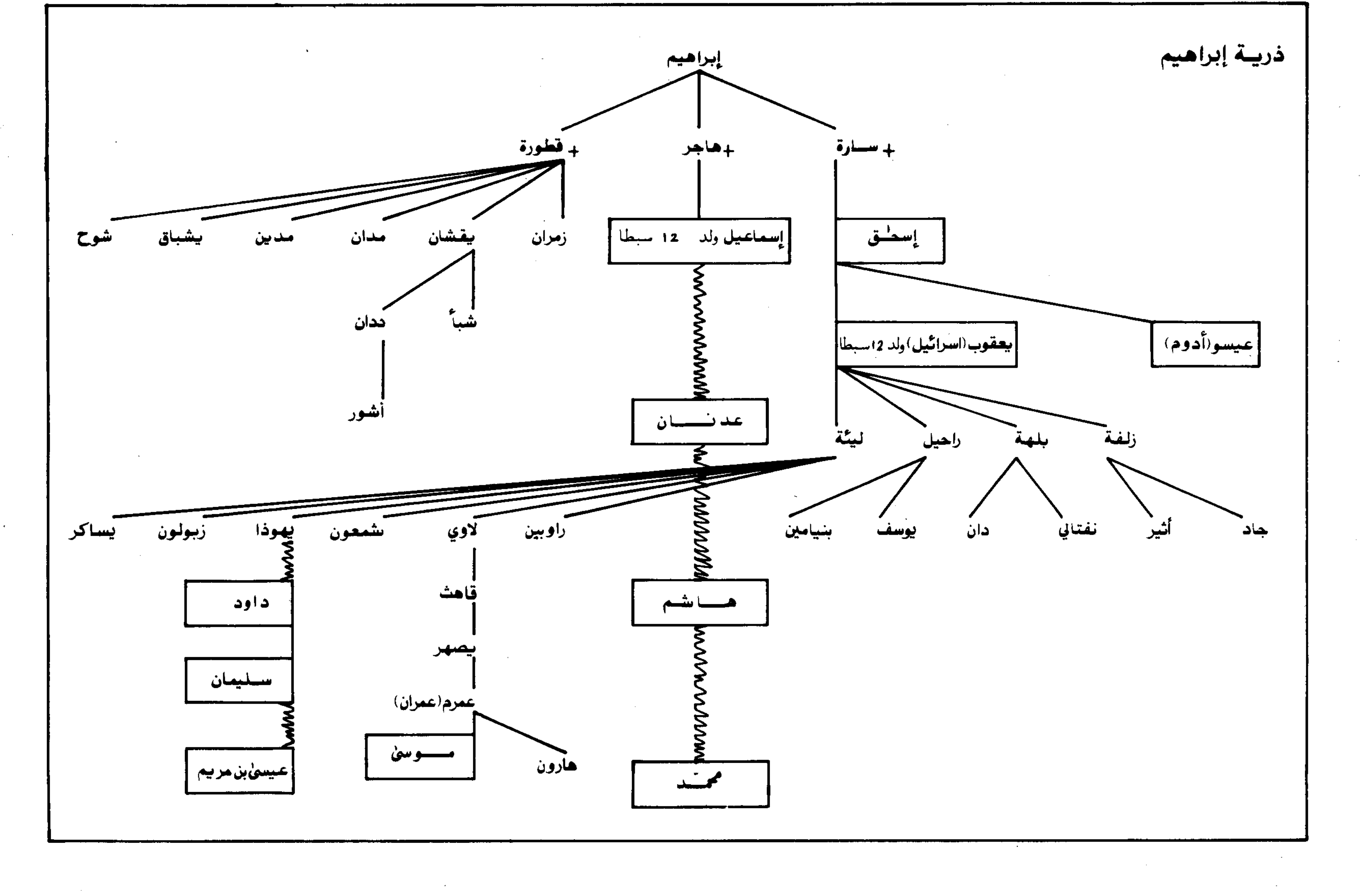
أولئك هن زوجات إبراهيم ، فمن هم أولاده ؟

تقول التوراة : إن « سارة » لم تلد لإبراهيم ، فجاءت إليه بأمتها « هاجر » وطلبت إليه أن يدخل عليها ويتخذ منها زوجة لعله يرزق منها بولد ، فسمع منها إبراهيم ، ورزق من هاجر بإسماعيل ، ثم « افتقد الرب سارة » بعد عشر سنوات من إقامتهم بأرض الكنعانيين ورزقها ولداً سمته « إسحق » . وبعد موت « سارة » رزق إبراهيم من « قطورة » بزمران ، ويقشان ، ومدان ، ومدين ، ويشباق ، وشوح .

وولد يقشان شبأ ، وددان ، وبنو ددان أشوريم (عشيرة الآشوريين)[46] .

أما إسماعيل فهو ، كما هو معروف ، الجد الأكبر لعدنان الذي هو الجد الأكبر لهاشم الذي هو الجد الأكبر لمحمد بن عبد الله .

وأولاده اثنا عشر وهم كما تعددهم التوراة : « نبايوت الذي هو بكر إسماعيل ، وقيدار ، وأدبئيل ، ومبسام ، ومشماع ، ودومة ، وحسّا ، وحدار ، وتميا ، ويطور ، ونافيش ، وقدمة .. وكانت مساكنهم من حويلة إلى شور التي تجاه


ذريـة إبراهيم
إبراهيم
+ سـارة
+هاجر
+ قطورة
إسحـٰق
إسماعيل ولد 12 سبطا
زمران
يقشان
مدان
مدين
يشباق
شوح
شبأ
ددان
أشور
عيسو(أدوم)
يعقوب(اسرائيل) ولد 12اسبطا
عدنـــان
زلفة
بلهة
راحيل
ليئة
جاد
أثير
نفتالي
دان
يوسف
بنيامين
راوبين
لاوي
شمعون
يهوذا
زبولون
يساكر
هـاشم
قاهث
يصهر
عمرم(عمران)
هارون
مـوسىٰ
داود
سليمان
عيسىٰ بن مريم
محمد

مصر وأنت آت نحو آشور . قبالة جميع أخوته نزل »[47] .

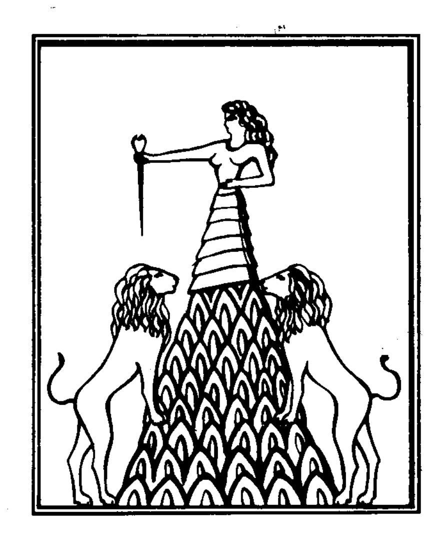
أما إسحق فقد ولد عيصو ويعقوب الذي هو إسرائيل ، وتزوج يعقوب ابنتي خاله لابان الآرامي ليئه وراحيل فولد له من ليئة : راوبين ، وشمعون ، ولاوي ، ويهوذا ، ويسّاكر ، وزبولون ، ومن راحيل : يوسف وبنيامين . كما رزق من بلهة جارية ليئة : دان ونفتالي ، ومن زلفة جارية راحيل : جاد وأشير . فيكون مجموع أولاد يعقوب (إسرائيل) اثنا عشر ولداً هم الأسباط بنو إسرائيل ، ومن سبط لاوي كان عمران الذي ولد هارون وموسى ومن سبط يهوذا كان داود وسليمان الذي ينتهي إليه نسب يوسف النجار « رجل مريم » المولود منها يسوع الذي يدعى المسيح » (انجيل متى ، الفصل الأول : 16) ، وهكذا يتضح لنا كيف أن موسى وعيسى ومحمد إنما هم أبناء عمومة ينتهي نسبهم جميعاً إلى جدهم إبراهيم العربي الآرامي .

أما مساكن أولاد إبراهيم فتحدثنا التوراة أن إسحق بقي يرعى أغنامه مقيماً في الخيام[48] عند بئر الحي الرائي[49] ، في أرض الكنعانيين . أما « بنو السراري » فقد صرفهم إبراهيم في حياته إلى البرية إلى أرض بني المشرق (تكوين 25 : 6) ، فكانت مساكن الإسماعيليين « من حويلة إلى شور التي تجاه مصر وأنت آت نحو آشور ، قبالة جميع إخوته نزل »[50] .

ونحن لن نستطرد خلف أولاد إبراهيم وتفرعاتهم ، إذ أن الذي يهمنا هنا أكثر من سواه هو التعرف على بني يعقوب (أي بني إسرائيل) من الناحيتين التاريخية والجغرافية .







الحلقة الخامسة

«بنو اسرائيل»

وقبل أن نتطرق إلى «بني إسرائيل» لابد من أن نذكر بالحقائق التالية:

1 - إن إبراهيم وجميع بنيه هم من العرب البدو والرعاة، وقد ظلت الخيام مساكنهم إلى ما بعد زمن سليمان بن داود كما تؤكد التوراة[1].

2 - إن جميع أسماء المواضع المقترنة بهؤلاء إنما هي أسماء لأشخاص أو أسر رعوية صغيرة أو لمضارب خيام، وهنا كان لا بد من تنبيه القارىء إلى عدم الخلط بين أسماء هذه العشائر البدوية التوراتية الصغيرة والأسماء الكبيرة في خارطة الجغرافيا العربية والتاريخ العربي. وكأمثلة على ذلك نقول إن «آشور» في التوراة هو آشور بن ددان بن يقشان بن إبراهيم من زوجته قطورة، وإن «آشوريم» هم هذه العشيرة وليس المقصود بها الآشوريين سادة الدولة السورية في العاصمة آشور على الدجلة، وأن «شبأ» -كما رأينا- هو شبأ بن يقشان بن إبراهيم من زوجته قطورة، وليس المقصود بها دولة سبأ في اليمن، وبالمناسبة أيضاً نقول إن بلقيس هي زعيمة (ملكة) هذه العشيرة، وليس في تاريخ اليمن كله، ولا في سجلات ملوكها أي ملكة دعيت بهذا الاسم وقد انتبه إلى هذه الحقيقة كل من موسيل، ووينكلر والدكتور جواد علي وغيرهم، يقول وينكلر: «أما آشوريم فإنهم عشيرة عربية من قبائل قطورة بإجماع علماء التوراة، ولاصلة لهم بـ «آشور» أي الآشوريين، وقد ورد في الترجوم أن «آشوريم» مضرب لخيام آشور..
وقد ورد اسم آشور في نصوص معينة مقروناً باسم موضع «عبر نهرن» وتقع هذه المنطقة من طور سينا إلى بئر السبع وحبرون وتحاذي «مصري» في جزيرة العرب»[2].

3 - إن مساكن هؤلاء الأبناء تعني أماكن رعيهم ومضارب خيامهم. فحينما تؤكد التوراة أن مسكن إسحق «عند بئر الحي الرائي» يصير من العبث تحديد هذا الموضع الميكروسكوبي على الخارطة الجغرافية، وإن تأكيدها على أن عشيرة إسماعيل تقيم قبالة جميع إخوته من حويلة إلى شور يكشف لنا أن «حويلة» و«شور» ليسا إلا موضعين للرعي متقاربين يصعب تحديدهما كما يصعب تحديد موقع ذلك البئر.

4 ـ سبق أن أوضحنا أن المعنى المقصود بـ « أرض بني المشرق » إنما هو موضع الآراميين في برية العرب شرق وادي الفرات « الثرات » . ومن أجل توضيح صورة التوجه عند العرب الأقدمين في شبه جزيرة العرب نقول : لقد كان العربي في تلك الرقعة يعتبر أن منطقة جبال غامد هي سرة الأرض ، فكان مفهومه للجهات ينطلق من تصوره لإنسان يقف في قمة من جبال غامد وجهه إلى الشرق وظهره إلى الغرب باتجاه البحر الأحمر فيكون يساره هو الشام ، والشام في اللغة تعني اليسار والشمال معاً ، وتشاءم القوم أي ذهبوا يساراً أو شمالاً ، ويكون يمينه هو الجنوب . ومن هنا جاءت تسمية الشام أي اليسار والشمال ، واليمن أي اليمين والجنوب .

أما تعبير « أرض بني المشرق » فكثيراً ما يتكرر في التوراة ويقصد به دائماً مركز عشيرة إبراهيم في حران على وادي الفرات « الثرات » في آرام النهرين في برية العرب . فقد طلب إبراهيم من ابنه إسحق ألا يتخذ زوجة من بنات كنعان المقيم بين ظهرانيهم ، وأرسل أحد عبيده إلى آرام النهرين إلى مدينة ناحور وأتى بـ « رفقة » زوجة لإسحق ، ثم فعل إسحق الشيء نفسه مع ابنه يعقوب . تقول التوراة : « ثم رفع يعقوب رجليه ومضى إلى أرض بني المشرق ، ونظر فإذا بئر في الصحراء وثلاثة قطعان من الغنم رابضة عندها »[3] .

ونراه في المصدر نفسه أنه قد مضى سيراً على قدميه ووصل في يوم واحد . لنتصور الجغرافيا التوراتية لهذه المواضع كما هي في التزوير الصهيوني السائد اليوم ، ولنخضعها لمنطق العقل والمعرفة الجغرافية : إسحق في أرض كنعان أي في فلسطين كما هي في التزوير ، يذهب سيراً على قدميه من بئر سبع إلى حران[4] التي هي في أقصى الشمال السوري على وادي الفرات .. كيف وهو يتجه شرقاً إلى أرض بني المشرق ، وكيف والمسافة لاتستغرق منه سيراً على الأقدام أكثر من يوم واحد ، ثم كيف والحديث واضح عن بيئة صحراوية رعوية !

« بنو إسرائيل » بين الحقيقة والتزوير الصهيوني :

من المعروف لنا جميعاً اليوم أن الصهيونية كحركة استعمارية استيطانية

حديثة قامت في أساسها العقائدي على ربط يهود العالم أجمع بمن دعوا بـ « العبرانيين » و« بني إسرائيل » في تاريخنا القديم جاعلة منها جميعاً شيئاً واحداً لايهمها أن تدعوه عبرانياً أو إسرائيلياً أو يهودياً . وقد تمكنت بفعل جهود دؤوبة محمومة ومستمرة ، من أن تجعل هذا الخلط الشائه المنافي للحقيقة وللتاريخ هو الشائع لدى كثير من الباحثين كما جعلته يترسخ في أذهان الكثير من الأوساط العربية والأجنبية على حد سواء .

ولقد كنا قد تحدثنا عمن دعوا بـ « العبرانيين » وأوضحنا بما لا يبقي مجالاً للشك ومن خلال مدونات التوراة ذاتها ، كيف أن « العبرانيين » تسمية كانت تطلق على كل من يعبر من أبناء العشائر العربية وادي الفرات (الثرات) من برية العرب شرقاً إلى قرى الكنعانيين في جبال غامد غرباً ، وهي بالتالي لاتمثل شعباً أو قبيلة أو لغة ، بل هي ظاهرة عفوية هامشية لامضمون اجتماعياً لها ، وقد أطلقت على العابر إبرام ولم تطلق على بنيه وأحفاده ، وقد ميزت التوراة بين العبرانيين وبني إسرائيل ، ولم يكن ثمة ما يجمع إبراهيم بغيره من الناس الذين يعبرون أفراداً أو جماعات قبله أو بعده ، ولم يتزعم أحداً غير أهل بيته ، وبالتحديد امرأته سارة وابن أخيه لوط ، فسقطت بالتالي مقولة ما يدعى اليوم بـ « الشعب العبراني » وبـ « اللغة العبرانية » من منطق التاريخ خاصة وأن أولئك الذين يعبرون هم أشتات وأفراد من قبائل وعشائر عربية متفرقة كانوا يتكلمون العربية بلهجتها الآرامية الشرقية قبل العبور ثم اللهجة الكنعانية « أو شفة كنعان » على حد تعبير التوراة ، بعد العبور .

أما بنو إسرائيل فهم بنو يعقوب الإثنا عشر ، ويمكن أن نجمل الحديث عنهم ضمن النقاط الرئيسية التالية :

1 - إنهم جميعاً عرب آراميون آباء وأمهات .

2 - لقد كانوا جميعاً موحدين يعبدون الله الواحد رب إبراهيم ، وكان ذلك قبل ظهور اليهودية كدين بما يزيد عن ألف عام ، إذ أن نشأة اليهودية كدين بدأت في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد ، أما موسى الذي جاء بعد بني يعقوب (إسرائيل) بما يقرب من مائتي سنة فلم يصنع ديناً يهودياً وهذا ما سوف نتحدث عنه مفصلاً في حلقة قادمة .

3- إن تسمية بني «إسرائيل» ليس لها أي مضمون ديني في التاريخ العربي القديم، بل هي تسمية نسبية خالصة يقصد بها أولاد يعقوب.

4- لقد حاولت اليهودية منذ نشأتها كدين أن تربط نشأتها بإبراهيم وإسحق ويعقوب وبنيه، وسقطت كل محاولاتها المنافية للحقيقة والمنطق والتاريخ، ثم جاءت الحركة الصهيونية في التاريخ الحديث لتجعل كل من ينتمي للدين اليهودي، من شتى الأعراق والأجناس في العالم ينتمون نسباً إلى بني يعقوب، فكان ذلك أكبر بدعة في التاريخ يشهدها إنسان هذا العصر.

5- لقد كان القرآن الكريم أول من نبه إلى وجوب التمييز بين إبراهيم وبنيه من جهة وبين اليهود من جهة ثانية، فقد جاء في سورة آل عمران: ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين، ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون.. وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون.. قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾.

إن القرآن الكريم يميز في هذه الآيات بكل وضوح ما بين إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى من جهة، وبين اليهود الذين وضعوا كتاباً غير توراة موسى ولم يؤمنوا حتى بما جاء به موسى من جهة أخرى. وهو في الوقت نفسه الذي يمجد فيه يعقوب الذي هو إسرائيل وبنيه نراه يخاطب اليهود بلهجة أخرى. ففي سورة «المائدة» نقرأ: ﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾[5]. وفي سورة البقرة ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً

تقتلون﴾[6]. ولم تظهر اليهودية في زمن موسى. بل كان ظهورها بعد موسى بما يقرب من تسعمائة عام.

قبل أن نتابع حديثنا عن «بني إسرائيل» لابد من أن نذكر بالحقائق التالية:

1- نحن الآن في زمن يعقوب (الذي هو إسرائيل) وبنيه، وبالتالي فإن المقصود بـ «بني إسرائيل» هو أبناء يعقوب الأحد عشر تحديداً، أي قبل أن يولد ابنه الأخير من راحيل الذي هو بنيامين، إننا ما نزال في حدود الأسرة الواحدة التي لم تتحول بعد إلى عشيرة أو عشائر.

2- إن هذا الزمن يعود إلى حوالي 1400 ق. م، أي قبل ظهور موسى بما يقرب من مائة عام. وقبل ظهور اليهودية كدين بما يزيد عن ألف عام.

3- إن هذا الزمن، كما هو معروف، هو زمن ازدهار عظيم في الدولتين العربيتين العظميين آنذاك: الدولة السورية الشاملة آنذاك لما دعي فيما بعد بالعراق، ودولة مصر وادي النيل. فقد بلغ ازدهارهما في تلك الفترة حداً لامثيل له في شتى المجالات والحقول العلمية، والزراعية والصناعية، وفي فن البناء والعمارة، وفي علوم الطب والفلك والرياضيات والهندسة والتشريع والموسيقى والفنون والآداب وغيرها. نذكّر بهذه الحقيقة حتى لاتضيع من ذاكرة القارىء الكريم صورة الوضع العربي العام إبان حديثنا المفصل عن هذه الأسرة العربية البدوية التي هي أسرة يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، ومن أجل أن يسهل عليه فرز الحقائق عن التزوير الصهيوني الذي جعل تعامل أولئك الرعاة مباشرة مع ملوك الدولتين العربيتين الحضاريتين العظميين، بينما هو في الحقيقة والواقع لم يتعد العلائق الرعوية في مضارب عشائر وأسر متجاورة من عشيرة مصريم (المصريين) إلى عشائر الآراميين والكنعانيين.

4- كنا قد ذكرنا كيف أن تسمية «بني إسرائيل» ليس لها أية علاقة باليهود أو اليهودية التي سوف تأتي بعد ذلك الزمن بما يزيد عن ألف عام، وهي، بالتالي ليست تسمية دينية، بل تسمية نسب، المقصود بها أبناء إسرائيل الذي هو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم قبل أن يتحولوا إلى عشائر.

5- أما من يزعم اليوم بأن تسمية «اليهود واليهودية» إنما جاءت من النسبة

إلى يهوذا الذي هو أحد أبناء يعقوب الإثني عشر فإن هذا زعم باطل. فمن الناحية الدينية لم يأت يهوذا بأي جديد بل كان موحداً مثل باقي إخوته، وإن التوراة تجعله أقل اخوته شأناً وأكثرهم أخطاء.

ثم إن موسى الذي جاء بالشريعة (لابالدين اليهودي) إلى بني إسرائيل كان من سبط لاوي وليس من سبط يهوذا.

أما إذا كان الإصرار على أن التسمية نسبية، أي نسبة إلى يهوذا كنسب، فإن هذا وحده كفيل بإسقاط زعم اليهود اليوم بأنهم ينتمون إلى جميع عشائر بني إسرائيل الإثني عشر، ويجعلهم ينتمون إلى فرع يهوذا وحده من بين إخوته، علماً أن هذا أيضاً ساقط من أساسه، إذ من المعلوم أن اليهودية دين وليست نسباً وهي تضم الصيني والياباني، كما تضم الروسي والانكليزي والبولوني، والنيجيري والسنغالي، أي إنها تضم أناساً من الأعراق والأجناس كافة، وليست فرعاً عشائرياً من عشائر العرب القدماء الذي هو يهوذا بن يعقوب.

بنو إسرائيل في مدونات التوراة:

بعد هذا صار في إمكاننا الآن متابعة الحديث عن سيرة بني إسرائيل كما هي في مدونات التوراة.

تقول التوراة: لقد فر يعقوب بزوجاته وبنيه وأغنامه من أرض بني المشرق حيث كان يرعى عند خاله لابان في فدان آرام دون أن يعلم خاله، «فقام يعقوب ... وساق جميع ماشيته وجميع ماله وكل مقتناه الذي امتلكه في فدان آرام منصرفاً إلى إسحق أبيه إلى أرض كنعان ... وهرب بجميع ماله وقام فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد»[7]، وما أن عرف خاله لابان بفعلته حتى تبعه وأدركه، ثم أقاما عهداً «فأخذ يعقوب حجراً وأقامه نصباً، وقال يعقوب لاخوته اجمعوا حجارة فجمعوا حجارة وجعلوها كومة وأكلوا طعاماً فوق الكومة، وسماها لابان يجر سهدوتا، وسماها يعقوب جلعاد، وقال لابان هذه الكومة تكون شاهداً بيني وبينك اليوم ولذلك سميت جلعاد، والمصفاة لأنه قال ينظر الرب بيني وبينك حيث يتوارى كل واحد منا عن صاحبه ...

هذه الكومة شاهد والنصب شاهد أني لاأتخطى هذه الكومة إليك ، وأنك لاتتخطى هذه الكومة وهذا النصب إلي بشرّ »[8] .

« ومضى يعقوب في طريقه ... ووجه يعقوب رسلاً قدامه إلى أرض سعير حقل أدوم وأوصاهم قائلاً هكذا قولوا لسيدي عيسو ، كذا قال عبدك يعقوب ، إني نزلت بلابان فلبثت إلى الآن وقد صار لي بقر وحمير وغنم وعبيد وإماء وبعثت من يخبر سيدي لأنال حظوة في عينيك ، فرجع الرسل إلى يعقوب قائلين قد صرنا إلى أخيك عيسو فإذا هو قادم لملتقاك ومعه أربع مائة رجل . فخاف يعقوب جداً وضاق به الأمر »[9] .

إن هذه النصوص توضح لنا الحقائق التالية :

1- إن المقصود بالنهر (مطلق نهر أو الموصوف بالكبير كما يؤكد شراح الكتاب المقدس) هو نهر الفرات (الثرات) . (انظر شروحات الكتاب المقدس ، طبعة دار المشرق ، عام 1876) .

2- إن حركة يعقوب وتوجهه الجغرافي هو من أرض بني المشرق ، حيث عشيرة آبائه وأخواله الآراميين ، إلى الغرب ، حيث أرض الكنعانيين وحيث مرعى أبيه إسحق .

وكان عليه من أجل ذلك أن يعبر النهر من الشرق إلى الغرب ، فكيف يصح هذا مع نهر الفرات السوري وفلسطين ؟

3- إن التعامل الجغرافي هنا هو تعامل مع أمكنة ميكرو سكوبية في علم الجغرافيا ، لأن حركة الراعي بأغنامه هي حركة في المكان الواحد لاتتعدى بعض السفوح أو الجبال أو الوديان ، وليس أدل على هذا من قول يعقوب لأخيه عيسو الذي استقبله ودعاه ليسير معه إلى خيامه : « فقال له سيدي يعلم أن الأولاد رخصة والغنم والبقر التي عندي مرضعات فإن جهدتها بالسير هلكت الغنم كلها ، فليتقدم سيدي عبده ، وأنا أستاق رويداً في اثر الماشية التي أمامي وفي اثر الأولاد حتى آتي سيدي في سعير »[10] .

4- أما جلعاد أو المصفاة التي هي كومة الحجارة التي أقامها يعقوب في الطريق فسوف يتكرر ذكرها في التوراة كمدينة بعد أن ينصب بعضهم خيمته عندها .

« بنو إسرائيل » بين « الحويين » و« الحوريين » :

تقول التوارة إن يعقوب تقدم بماشيته إلى موضع ، فبنى له بيتاً وصنع لماشيته مظلات ولذلك سمى الموضع سكوت ، ثم أتى يعقوب شكيم مدينة أهل شكيم التي بأرض كنعان حين جاء من فدان آرام ، فنزل قبالة المدينة ، وابتاع قطعة الحقل التي ضرب فيها خباءه من بني حمور أبي شكيم بمئة نعجة »[11] .
إن « شكيم » كما هو واضح من النص هو اسم شخص من بني حمور ، وقد صارت في التزوير الصهيوني مدينة نابلس في فلسطين ، أما كلمة « مدينة » فإنها كانت تطلق على كل من ترك حياة التنقل واستقر في خيمة أو بيت أو مغارة أو مضرب خيام أو قرية ، وإن جميع مدن التوراة لاتخرج عن هذا الإطار ، وهي وكلمة « قرية » تفيدان معنى واحداً ، إذ أن « مدن » مثل « قرّ » تعني الاستقرار وترك حياة التنقل ، وتأكيداً لوحدة الكلمتين اللغوية فقد استخدمهما القرآن الكريم كليهما في الحديث عن قرية لوط ، إذ سماها مرة مدينة (سورة الحجر 66 — 73) ومرة أخرى قرية (الأعراف 79 — 81) .
وتتابع التوراة : « وخرجت دينة بنت ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات البلد ، فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس البلد فأخذها وضاجعها وأذلها ، وتعلقت نفسه بدينة بنت يعقوب وأحب الفتاة ولاطفها ، وكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه زوجة ، وسمع يعقوب أنه قد دنس دينة ابنته ، وكان بنوه مع ماشيته في الصحراء فسكت يعقوب حتى جاؤوا »[12] .
وتحدثنا التوراة : كيف أن إخوة دينة غضبوا غضباً شديداً ، وحينما جاء حمور يطلب أختهم زوجة لابنه شكيم عارضاً عليهم قطعة الحقل لكي يرعوا بها ويقيموا معهم اشترط هؤلاء عليه أن يختتن جميع رجال بني حمور أولاً ، وحينما قبل الشرط ونفذه جميع رجال أسرته ومنهم شكيم ابنه اغتنم أخوة دينة الفرصة وقتلوهم جميعاً بالسيف : « وكان في اليوم الثالث وهم متألمون أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه ودخلا المدينة آمنين فقتلا كل ذكر ، وحمور وشكيم ابنه قتلاهما بحد السيف وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا » .

فقال يعقوب لشمعون ولاوي « قد أشقيتماني وأخبثتما ريحي عند أهل الأرض الكنعانيين والفرزيين وأنا في نفر معدود فيجتمعون علي ويقتلونني فأهلك أنا وبيتي »[13] .

« وجاء يعقوب إلى لوز التي في أرض كنعان »[14] . ثم رحلوا من بيت إيل ، وبينما هم على نحو ميل من أفراتة ولدت راحيل وعسر ولادها ... وكان قبل أن تفيض نفسها عند موتها أنها سمته « ابن المي » وأما أبوه فسماه « بنيامين »[15] .

تلكم إذن هي عشيرة الحويين الكنعانية التي اصطدمت معها أسرة يعقوب . وكانت قد بينت لنا التوراة كيف أن الحوي هو خامس أولاد كنعان : « ولد كنعان صيدون بكره ، وحثاً ، واليبوسي ، والآموري ، والجرجاشي ، والحوي ... »[16] .

هذه العشيرة أو الأسرة العربية الكنعانية في شرق غامد تحولت في التزوير الاستشراقي والصهيوني إلى شعب هندو أوروبي في شمال سوريا ترك آثاره (الآرية) المزعومة على شعب المنطقة بأسره ، وتم خلطها مع عشيرة الحوريين في جبل سعير كما سوف نرى .

يقول فيليب حتي نقلاً عن سيتزر وكارلتون : « والحوريون Horites المذكورون في العهد القديم الذين كانوا يعتبرون حتى فترة حديثة من القبائل الضئيلة الأهمية لم يكونوا سوى هؤلاء الحوريين ... وكان الحويون Hivites غالباً هم أنفسهم الحوريون »[17] .

والحقيقة أن عشيرة الحويين العربية كانت تقيم في حقل من جبل سعير بجوار مضارب عيسو أخي يعقوب وبني عمه من أبناء اسماعيل بن ابراهيم ، ومضارب بني حث الكنعاني ، حتى أن عيسو أخا يعقوب تزوج منها ، تقول التوراة : « اتخذ عيسو نساءه من بنات كنعان : عادة بنت أيلون الحثي ، وأهليبامة بنت عانة بنت صبعون الحوي ، وبسمة بنت إسماعيل أخت نبايوت »[18] .

ثم لما وجد عيسو أن الأرض ضيقة بمواشيه إلى جانب مواشي أخيه يعقوب وأولاده انتقل بنسائه وأولاده وماشيته من أرض كنعان إلى أرض أخرى هي

جبل سعير حيث يقيم بنو سعير الحوريون[19]. وتعدد التوراة بني سعير قائلة: «هؤلاء بنو سعير الحوري سكان الأرض: لوطان وشوبال وصبعون وعانة وديشون وإيصار وديشان»[20].

خلفية التزوير الاستشراقي والصهيوني:

وفجأة تتحول تلك الأسرة العربية البدوية من عشيرة توراتية ترعى في أطراف وادي الفرات (الثرات) في برية العرب في شبه جزيرة العرب إلى شعب «آري» مزعوم على الفرات في شمال سوريا، بذل الاستعمار الألماني جهوداً مكثفة في مؤسسات استشراقية كان من أهمها مؤسسة فون أوبنهايم التي تابعها أنطون مورتغات من أجل العثور على أي شيء يؤكد وجوداً غريباً عن العروبة في شمال سوريا، وذهبت كل جهودهم عبثاً بعد أن قضوا معظم سني أعمارهم في أعمال الحفر والتنقيب في تلك المنطقة.

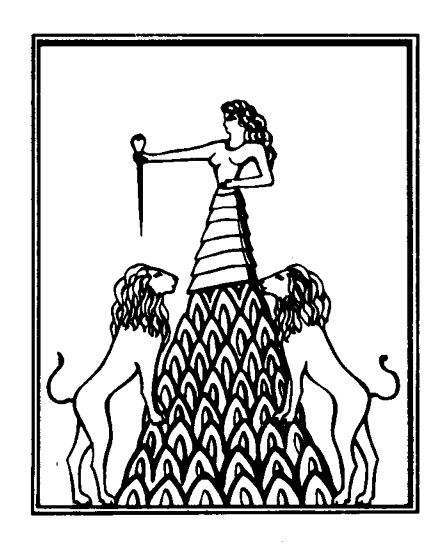
يقول أنطون مورتغات: «وبالرغم من أن الحفريات لم تستطع أن تقدم لنا شيئاً أثرياً من قلب هذه المنطقة فإننا نلمس في كل خطوة نخطوها قوة الحياة الديناميكية الجبارة تحدو هذا الشعب وطبقته الحاكمة لتغير معالم الحياة الحضارية لكافة مناطق شمال ما بين النهرين، بما في ذلك بلاد آشور وشمال بلاد الشام، وذلك من خلال الكنز الحضاري الذي خلفوه لشعوب الشرق الأدنى من كافة المجالات الحضارية الخصبة الغزيرة ... في الوقت الذي لانعلم شيئاً عنهم سوى أن آلهة القسم عندهم كانت: «اندرا، ميترا، فارونا، نازاتيا»[21].

هكذا يكتبون تاريخنا! فبالرغم من معرفة مورتغات بان «الحفريات لم تستطع أن تقدم لنا شيئاً أثرياً»، وبالرغم من تحويل العشائر البدوية العربية التوراتية إلى شعوب هندو أوروبية مزعومة، وبالرغم من تغيير مواضع تلك العشائر من مراعيها في برية العرب في شبه جزيرة العرب إلى شمالي سوريا، وبالرغم من أن المكتشفات الآثارية دحضت كل تلك المزاعم الاستعمارية والصهيونية فقد ظل الاصرار على أن (الحوريين) المزعومين من أصل آري لابد أن يكونوا أصحاب ذلك المجد الحضاري حتى ولو لم تقل المكتشفات الآثارية أي شيء

من ذاك القبيل ، إن مطامع الاستعمار الألماني كانت كافية وحدها لأن تبرر كتابة التاريخ بما ينسجم وتلك الأطماع ، ويخلق لها المبررات التاريخية الكاذبة من أجل احتلال المنطقة الممتدة شرقاً حتى الهند .

أما ما يتعلق بآلهة القسم التي افترضوها هندية فهي أسماء عربية خالصة : فـ« أندرا » تعني الشمس والنذيرة ، العزيزة ، الغالية ، المنذورة للرب ، و« ميترا » تعني المكثرة ، المخصبة وهي من فعل « يتر » في العربية القديمة و« أثرى » في العربية الحديثة . و« فارونا » تعني المكثرة ، الموفرة ، وهي من فعل « فر » في العربية القديمة و« وفر » في العربية الحديثة ، و« نازاتيا » تعني المرغبة ، المشوقة ، المثيرة ، وجميعها من أسماء ديانة الخصب العربية السورية .

ثم سكن يعقوب (الذي هو إسرائيل) في أرض غربة أبيه في أرض كنعان[22] ، أما كيف انتقل مع أبنائه إلى عند يوسف في أرض مصريم « المصريين » ، وما هي تلك الـ « مصر » التوراتية ، فذلك هو موضوعنا للحلقة القادمة .



الحلقة السادسة

«مصر» التوراتية

بين الحقيقة والتزوير

لما كان موضوع «مصر» التوراتية قد أخذ حيزاً كبيراً في عملية التزوير الصهيوني في تفسير أحداث التوراة وجغرافيتها، وصار أحد طرفي «الشعار» الباطل الزائف الذي، يعلقه الصهاينة على جدران الكنيست «هذه أرضك يا إسرائيل من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»، وتحول إلى ذريعة استعمارية استيطانية للأرض العربية، فقد رأينا أن نتوقف عنده طويلاً لإظهار مدى فداحة التزييف والتزوير الذي أحاق بتاريخنا العربي القديم على أيدي المستشرقين الاستعماريين والصهاينة، علماً أننا كنا قد كشفنا مفصلاً أن هذين الواديين (النهرين) ينبعان من جبل غامد وينحدران أحدهما غرباً وهو وادي مصريم والثاني شرقاً وهو وادي الفرات (الثرات) الذي كان يدعوه المصريون، لهذا، بـ «النهر المقلوب» وليس المقصود به نهر الفرات في شمال سوريا الذي يجري من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وليس هو النهر الذي يجري في اتجاه معاكس لنهر النيل، إذ لو كان المقصود بهما وادي النيل ووادي الفرات السوري لكان الأردن أول نهر يلتقي به المصريون ويجري بعكس نيلهم، ثم الليطاني وغيره! وكنا قد بينا من خلال مدونات التوراة كيف أن إبراهيم كان بإمكانه أن يرى وهو واقف أمام باب خيمته كل الأرض الممتدة ما بين هذين النهرين والتي وعده بها الرب لتكون مرعى له يمتلكها هو وأولاده من بعده، وقد امتلكها ورعى فيها أولاده من بعده وملأوا شبه جزيرة العرب، وهم بنو إسماعيل وبنو إسحق والمديانيون، كما أننا بينا كيف زُوّر هذا المرعى، وحول إلى كذبة كبيرة لجمع الروس والبولونيين والأمريكيين والروديسيين والصينيين والأثيوبيين وغيرهم من يهود العالم في حركة استعمارية استيطانية مفضوحة من أجل وراثة المرعى المزعوم بعد أربعة آلاف عام من وجود العربي إبراهيم الخليل الذي لاتربطه أية صلة بهؤلاء اليهود والمهجرين إلى الأرض العربية.

حقائق «مصر» التوراتية:

وقبل أن نشرع بالحديث عن «مصر» التوراتية من خلال نصوص التوراة ذاتها لابد لنا من أن نذكر بالحقائق التاريخية التالية:

1 - إن بلاد وادي النيل ودولتها العربية لم تعرف طيلة فترة تاريخها القديم كله وحتى ما بعد المسيح بهذا الاسم «مصر»، كما أن حاكمها، وعلى مدى التاريخ كله، لم يطلق عليه لقب «فرعون»، تشهد على ذلك كل آثارها المكتشفة، وجميع مراجع التاريخ القديم قبل هيرودوت وبعده، فحاكم وادي النيل هو «الملك»، ملك الأرضين، ملك الوجهين.. والأماكن تسمى باسمه: مقبرة الملوك، وادي الملوك... الخ. أما هيرودوت فقد تحدث عن وادي النيل باسم «إقبطو» (Egypt) وقال إنها هبة النيل، كما تحدث عن «مصري» المحطة في شبه جزيرة العرب.

وذكر أن «العمونيين يقيمون بين كوش والمصريين» وهم جميعاً عشائر عربية متجاورة في منطقة غامد، وإلا، وكما هم في التزوير الصهيوني للجغرافيا والسكان، كيف يصح أن يكون العمونيون في شرقي الأردن وهم في الوقت نفسه بين الكوشيين (أي الأثيوبيين في التزوير) والمصريين (أي سكان مصر وادي النيل في التزوير)!

2- ليس في سوريا كلها، وليس في بلاد وادي النيل كلها، وليس في أي بقعة من الأرض العربية كلها أية إشارة آثارية إلى من دعوا بـ «بني إسرائيل». وبالتالي فإن المصدر الوحيد لدى العالم كله حول هؤلاء إنما هو مدونات التوراة، وكذلك ذكرهم القرآن الكريم، مما يجعلنا ملزمين بتتبع أخبارهم وحقيقتهم التاريخية والجغرافية من خلال نصوص التوراة بالدرجة الأولى، مخصصين إياها لدراسة علمية موضوعية من النواحي السكانية والبيئية، التاريخية والجغرافية، المنطقية واللغوية، لنكشف كل مواضع التزييف والتزوير، ولنضع أيدينا وأيدي كل الأجيال المقبلة على الحقيقة التاريخية لهؤلاء «الاسرائيليين» أبناء يعقوب العربي الآرامي، الذين عاشوا قبل ظهور اليهودية بما يقرب من ألف عام.

3- كنا قد بينا في حلقات سابقة معتمدين على نصوص التوراة ذاتها كيف أن مساكن إبراهيم وبنيه كانت تتراوح بين مراع جد ضيقة ما بين أطراف برية العرب شرق جبال غامد وبين سفوح تلك الجبال حيث قرى عشائر

الكنعانيين عند أعالي وادي الفرات (الثرات) في شبه جزيرة العرب ، وقد نزلوا جميعاً في خيام ، الواحد منهم تجاه الآخر ، فبينما بقي إسحق يرعى مواشيه في أرض الكنعانيين أرسل إبراهيم أبناء السراري شرقاً إلى أرض بني المشرق ، وهم أبناء هاجر وقطورة ، أي الإسماعيليين والمديانيين واخوتهم[1] قرب جبل سعير ، وهو الجبل الذي يقع شمال شرق العقيق الحالية ، وفيه « طور سيني » (أي جبل العليق) ، وإلى الشمال الشرقي منه ما يزال « وادي طوى » موجوداً حتى يومنا هذا .

« بنو إسرائيل » في « مصر » :

بعد هذا التذكير المقتضب نعود إلى سيرة بني إسرائيل (يعقوب) من خلال مدونات التوراة .
تقول التوراة : كان أبناء يعقوب يرعون غنم أبيهم عند أرض شكيم بن حمور ، فأرسل يعقوب يوسف ليتفقد سلامة إخوته وسلامة الغنم من وادي حبرون ، فخرج من الوادي إلى الصحراء وتاه فيها ، فصادفه رجل ودله على المكان الذي يرعى فيه إخوته[2] ، وكان عمر يوسف آنذاك سبعة عشر عاماً[3] .
وهناك ائتمر به إخوته ورموه في جب ليس فيه ماء ، ثم قرروا بيعه لرجال من بني إسماعيل كانوا في طريقهم إلى مصر يحملون بلساناً ليبيعوه هناك ، فحمله معهم هؤلاء الاسماعيليون (أو المديانيون) وباعوه في مصر لفو طيفار خصي فرعون[4] . ثم تسرد التوراة حكاية يوسف مع امرأة مولاه المصري ، وزجه في السجن ، وأحلام فرعون ، وتفسيرها من قبل يوسف ، ثم الحظوة التي نالها جراء ذلك عند فرعون الذي أقامه « على جميع أرض مصر »[5] ، وزوجه أسنات بنت فوطيفار الكاهنة ، وأنجبت له منسى وأفرايم وصار عمره ثلاثين سنة حين مثل بين يدي فرعون ملك مصر »[6] .
وحدث قحط في المراعي ، وحدث جوع بين العشائر من البدو الرعاة ، لكن فرعون مصر كان ، بناء على تفسير يوسف للمنام ونصيحته له ، قد خزن القمح قبل حلول السبع السنين العجاف ، « فلما علم يعقوب أن القوت موجود في مصر قال لبنيه : ما بالكم تنظرون بعضكم إلى بعض ... اهبطوا إلى هناك

وامتاروا لنا فنحيا ولا نموت ، فهبط عشرة من إخوة يوسف ليبتاعوا برا من مصر ، وأما بنيامين أخو يوسف فلم يبعثه يعقوب »[7] .. « وكان يوسف هو المسلط على الأرض والممير لجميع شعب الأرض »[8] ، ولما رأى إخوته عرفهم ولم يعرفوه ، فاتهمهم بأنهم جاؤوا ليتجسسوا الأرض من أجل الغزو والنهب ، فأخبروه بأنهم اثنا عشر ابناً لأب واحد ، أحدهم مفقود والأخير وهو الصغير مع أبيه ، فاشترط عليهم ، لكي يصدقهم ، أن يعودوا ويأتوا بأخيهم الصغير ، على أن يجعل أحدهم عنده رهينة ، وبالفعل فقد قيد شمعون وأبقاه لديه ، « وحملوا ميرتهم على حميرهم وساروا من هناك »[9] إلى أبيهم . « فكلمه يهوذا قائلاً إن الرجل أشهد علينا وقال لاترون وجهي إلا وأخوكم معكم ، فإن بعثت أخانا معنا انحدرنا وابتعنا لك طعاماً ، وإن لم تبعثه لاننحدر .. فقال إسرائيل ولِمَ أسأتم إلي وأخبرتم الرجل إن لكم أخاً أيضاً ، قالوا إن الرجل سأل عنا وعن عشيرتنا وقال هل أبوكم باق بعد ، وهل لكم أخ فأخبرناه .. هل كنا نعلم أنه سيقول أحضروا أخاكم . وقال يهوذا لإسرائيل أبيه : ابعث الغلام معي حتى نقوم ونمضي ونحيا ولا نموت نحن وأنت وأطفالنا جميعاً ، أنا أضمنه ، من يدي تطلبه .. أنه لولا مجادلتك إيانا لكنا الآن قد رجعنا مرتين »[10] .

وعادوا بأخيهم الصغير بنيامين إلى بيت يوسف ، فأدخلهم رجل بيت يوسف « وأعطاهم ماء فغسلوا أرجلهم وطرح علفاً لحميرهم »[11] . ثم أمر يوسف قيم بيته أن يملأ لهم جواليقهم وأن يخبىء جامه الفضي في جوالق أخيه من أمه بنيامين ، وما أن مضوا عائدين حتى ناداهم الرجل وأمرهم بالعودة متهماً إياهم بسرقة سيده ، وقبلوا أن تفتش أحمالهم على أن يستعبدوا عند يوسف إذا ما ثبتت التهمة « فمزقوا ثيابهم وحمَّل كل واحد حماره ورجعوا إلى المدينة ودخلوا بيت يوسف »[12] . وما أن عثر على الصواع في حمل بنيامين حتى استبقاه لديه و أمرهم بالعودة إلى أبيهم . فاستشاط حزنهم ، واستعطفوه كثيراً من أجل أبيهم الذي سوف يقضي عليه حزناً ضياع ابنه الثاني ، فرق يوسف لحالهم وأخبرهم بحقيقة أمره ، وطلب منهم أن يمضوا إلى أبيهم ويعودا به إليه دون توقف ، وهذا ما حدث : « فقد حمل بنو إسرائيل يعقوب أباهم

وأطفالهم ونساءهم .. وأخذوا ماشيتهم وسرحهم الذي اقتنوه في أرض كنعان ، وقدموا إلى مصر ، يعقوب وجميع نسله معه ، بنوه وبنو بنيه ، وبناته وبنات بنيه وسائر نسله جاء بهم معه إلى مصر »[13] . وهناك قال يوسف لفرعون : إن إخوتي وآل أبي الذين كانوا في أرض كنعان قد قدموا علي ، والقوم رعاة غنم لأنهم كانوا أصحاب ماشية ، وقد أتوا بغنمهم وبقرهم وحميرهم وجميع ما هو لهم[14] . «فقال فرعون لاخوة يوسف : ما حرفتكم ؟ فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم ، نحن وآباؤنا جميعاً ، وقالوا له : جئنا لننزل بأرضك ، إذ ليس لغنم عبيدك مرعى من اشتداد الجوع في أرض كنعان ، فليقم عبيدك في أرض جاسان . فقال فرعون ليوسف ... هذه أرض مصر بين يديك ، أنزلهم بأجودها ، ليقيموا بأرض جاسان ، وإن كنت تعلم أن فيهم ذوي حذق فأقمهم وكلاء على ماشيتي »[15] .

ولما مات يعقوب «قال يوسف : إن أبي قد استحلفني وقال لي ها أنا مائت ، فادفني في قبري الذي حفرته في أرض كنعان .. والآن اصعد وأدفن أبي وأرجع . فقال فرعون اصعد فادفن أباك كما أستحلفك . فصعد يوسف ليدفن أباه ، وصعد معه جميع عبيد فرعون ، شيوخ بيته ، وجميع شيوخ أرض مصر ، وجميع آل يوسف وإخوته وآل أبيه ، وتركوا أطفالهم وغنمهم وبقرهم ترعى في أرض جاسان ... وجاؤوا إلى بيدر أطاد الذي في عبر الأردن .. وأقاموا هناك نوحاً عظيماً ، وصنع به بنوه كما أوصاهم ، فحملوه إلى أرض كنعان ، ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثي حذاء ممرا ، ثم رجع يوسف بعد أن دفن أباه إلى مصر هو وإخوته وسائر من صعد معه لدفن أبيه »[16] .

وبهذه المناسبة فلا بدّ من أن نتوقف قليلاً عند بعض مظاهر التزوير الصهيوني التي ما تزال مستمرة حتى اليوم . إن الصهيونية التي أعجزها علم الآثار واللغات والتاريخ والمنطق والجغرافيا أخذت تلجأ في الآونة الأخيرة إلى استغلال الشعور الديني غير المسلح بالمعرفة التاريخية الصحيحة في هذا البلد العربي أو ذاك لتطلع بين كل فترة وأخرى ببدعة جديدة كمن يتمسك بقشة أو يتستر بها بعد أن تكشفت حقيقته . لقد صدر مُؤخراً في جمهورية مصر

العربية كتاب « غريب في وادي الملوك - مومياء يوسف الصديق في المتحف المصري » لمؤلفه أحمد عثمان ، وفي هذا الكتاب يحاول مؤلفه إثبات أن مومياء يويا والد الملكة طاي زوجة أمنحوتب الثالث تاسع ملوك الأسرة الثامن عشرة الذي حكم مصر لمدة 38 سنة ما بين 1405 — 1367 ق . م هي نفسها مومياء يوسف بن يعقوب مستنداً في ذلك على أقوال بعض المستشرقين الغربيين ومن نقل عنهم من المصريين ، ونتيجة لذلك فهو يدعو في آخر الكتاب إلى نقل المومياء المزعومة من المتحف المصري ووضعها في « ضريح يليق بالصديق كما يقول الشيخ الباقوري » .

وللرد على مثل هذا الافتراء على التاريخ نقول :

1 - إن الصهاينة يفعلون كل هذا التزوير مستندين على واقع راهن وهو أن العرب ما زالوا في معظمهم نقلة للتاريخ وليسوا باحثين أو قارئين له ، وبالتحديد إنهم ينقلون ما يدونه خصوم التاريخ العربي في الخارج دونما أية محاكمة أو بحث .

2 - إن تقديس هؤلاء الآباء العرب الآراميين جعلت منه الصهيونية « حصان طروادة » جديداً لتزوير الحقائق في التاريخ العربي القديم سالكة بذلك خطين في آن معاً : فهي تستغل الشعور الديني الخام الساذج لدى بعض الجماهير والمشايخ لتزور في التاريخ ولتجعل من مومياء أحد القبور المصرية القديمة ضريحاً مقدساً ليوسف بن يعقوب . إنها بذلك تدغدغ الشعور الديني لدى المسلمين الذين ينظرون إلى يعقوب وأسباطه نظرة تقديسية خاصة لما خصهم به القرآن الكريم من ثناء ، إذ هم من العرب الموحدين قبل ظهور اليهودية على الأرض بما ينوف عن ألف عام ؛ ومن جهة أخرى فهي -بربطها يهود العالم بالنسب زوراً إلى أولئك الآباء العرب الموحدين- فإنها تصنع بذلك لنفسها قدماً تاريخياً مزعوماً في المنطقة ، وتدعم الفكرة الصهيونية الكاذبة بأن مصر المقصودة في التوراة إنما هي مصر وادي النيل .

3 - أمّا من أجل دحض هذه الكذبة الصهيونية الجديدة فإننا سوف نعتمد مدونات التوراة ذاتها التي تؤكد أن بني إسرائيل حين خروجهم من قرية

مصريم (المصريين) مع موسى ، نبشوا عظام يوسف من قبره في مصريم وحملوها معهم إلى أن دفنوها في شكيم في قطعة الحقل الذي اشتراه يعقوب من بني حمور . تقول التوراة : « وعظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر دفنوها في شكيم في قطعة الحقل الذي اشتراه يعقوب من بني حمور أبي شكيم بمائة نعجة وصار لبني يوسف مُلْكاً »[17] .

إن هذا من شأنه أن يجعل رجال الدين المسلمين أمام مهمة دينية علمية قومية ووطنية من أجل التسلح بالمعرفة التاريخية الحقة من أجل أن يضطلعوا بدورهم في التصدي الناجع لأساليب الصهيونية الخبيثة في تزوير حقائق التاريخ العربي الاجتماعي والديني على السواء .

4- والجديد ذكره هنا أن هذا الكتاب كان قد صدر بالإنكليزية في لندن في 22 أكتوبر / تشرين الأول 1987 عن دار سوفينير بريس ، ثم أعيدت طباعته في بريطانيا ، كما طبع في الولايات المتحدة وإسبانيا وهولندا ، وقد أثار الكثير من تعليقات الصحف والنقاد في تلك البلدان ، وقد دحض بعضهم كل كلمة جاء بها بين دفتيه ، لكن أحداً من « الباحثين » العرب لم يحرك ساكناً !

5- إن هذه الظاهرة نفسها هي التي تكررت في الأردن هذا العام 1990 عندما عثر على تمثال كبير من الحجر الملحي البلوري اللماع لامرأة ، فافترض أحد المستشرقين الصهاينة أنه تمثال امرأة لوط من أجل تثبيت التزوير الجغرافي الذي افتعلته الصهيونية لأحداث التوراة . وسرعان ما تلقفت أجهزة الاعلام والآثار الأردنية ذلك بـ « فرحة » أقل ما يمكن أن يقال فيها إنها « ساذجة » ، فسارعت إلى دعوة الديبلوماسيين والصحفيين ورجال الاعلام لمشاهدة تمثال « امرأة لوط » المزعوم علماً أن التاريخ كله لم يشر من قريب أو بعيد إلى أن أحداً ما قد صنع تمثالاً لامرأة لوط ، وأن امرأة لوط كانت ملعونة في التراث العربي الديني جميعه دون استثناء ، وقد جعلها القرآن الكريم مثلاً وعبرة للنساء الكافرات . ثم إن مئات بل آلاف التماثيل الفينيقية المصنوعة لنساء عربيات فينيقيات من ذلك الحجر الملحي تملأ السواحل السورية اللبنانية ومتاحفها .

6- إن هذا وذاك يشبه تماماً ما يجري في مديرية الآثار في سوريا التي

تسارع إلى إطلاق أسماء توراتية على المواقع الآثارية بإيحاء من جهات خارجية دون أن تستند في ذلك على أي مستند آثاري. بل وقبل أن تبدأ بالحفر والاستشكاف في كثير من الأحيان كما جرى ويجري في تل الكزل الذي يطلقون عليه اسم «سيميرا» العشيرة التوراتية، وجبل النبي مند الذي يطلقون عليه «قادش» وتل المشرفة الذي يطلقون عليه اسم «قطنة» وجرابلس التي يطلقون عليها اسم كركميش ... الخ.

إن الصهيونية ما تزال تستثمر إلى جانب ما ذكرنا ظاهرة أخرى هي الأمية التاريخية المطبقة على المؤسسات الثقافية في الوطن العربي.

التزوير الاستعماري لحقائق التاريخ والجغرافيا:

وليس خافياً اليوم أن الاستشراق الاستعماري والصهيوني جعل مسرح أحداث هذه الوقائع الهامشية البسيطة تدور بين أرض كنعان المزعومة في جنوب سوريا (أي فلسطين الحالية) وبين مصر وادي النيل. وإن الأمر، كما هو واضح لكل ذي بصيرة، لايحتاج إلى ذكاء أو عناء من أجل تقرير الحقائق التالية:

1- إن الحديث يدور حول أسرة عربية بدوية من رعاة الغنم، وإن الجوع المقصود هو الجوع في المرعى.

2- إن من يريد ابتياع الطعام أو القوت أو القمح وهو في فلسطين لن يذهب إلى مصر وادي النيل من أجل ذلك بل إلى المواقع المجاورة في سوريا نفسها، وإلى حوران بلد القمح تحديداً، هذا إذا افترضنا جدلاً أن الجوع عم جنوب سوريا كله.

3- إن من يذهب من فلسطين إلى مصر وادي النيل عبر صحراء سيناء الشاسعة لن يذهب على الحمير، فالحمير لم تكن في يوم من الأيام واسطة لركوب الصحراء، إذ هي تنفق من الجهد أو العطش، وتنغرز حوافرها في الرمال.

4- إن صحراء سيناء تضيع فيها حتى الجيوش الحديثة إذا لم يتوفر لها توجيه سمتي فكيف بجماعة تركب الحمير!

5- سوف نفترض جدلاً أن أبناء يعقوب اجتازوا كل تلك المسافة بأمان وعادوا بالقوت المطلوب إلى أبيهم ، إن الزمن الذي سوف يستغرقونه سوف يجعل ما تحمله حميرهم لايكفي لسد جوع حميرهم وحدها في جزء من تلك المسافة .

6- إن هذه النصوص تخبرنا بكل صراحة أن الحديث يدور جغرافياً بين منطقتين لعشيرتين عربيتين متجاورتين : عشيرة الكنعانيين وعشيرة المصريين . ولقد أكدت لنا التوراة في أكثر من موضع أن المقصود بـ « مصر » إنما هو عشيرة المصريين : « وعشيرة المصريين إن كانت لاتصعد ولا تأتي تنالها الضربة التي يضرب بها الرب الأمم الذين لايصعدون ليعيدوا عيد المظال »[18] .

7- وهما تقيمان في موضع واحد ، يشهد على ذلك قول يهوذا لأبيه « لولا مجادلتك إيانا لكنا رجعنا الآن مرتين » .

8- إن « مصر » هذه هي قرية عشيرة المصريين على طريق القوافل في منطقة غامد التي يتزعمها شيخ من العماليق لقبه « فرعون » .

9- إن هذا هو ما أكده القرآن الكريم أيضاً في سرده لتلك الحادثة . لقد قال أولاد يعقوب لأبيهم حينما جادلهم ﴿ اسأل القرية التي كنا فيها والعير ﴾[19] ولسنا بحاجة إلى التأكيد على دقة العبارة في القرآن الكريم ، إذ من المستحيل أن يطلب أبناء يعقوب من أبيهم مثل ذلك لو لم يكن واضحاً لهم أن في مقدوره أن يسأل قرية المصريين لو أراد .

10- إن الحقيقة التاريخية والسكانية والجغرافية المتعلقة بهذه الرواية كانت واضحة لدى المؤرخين والاخباريين العرب . فقد ذكر الطبري في تاريخه نقلاً عن ابن عباس أن الذي اشترى يوسف هو « أطفير بن روحيب وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق ... وقال غيره أنه كان يومئذ فرعون مصر الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة ابن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وقد قال بعضهم إن هذا الملك لم يمت حتى آمن واتبع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعد حي ، ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن

قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .. وهذا ما ذكره أيضاً بعض أهل التوراة »[20] .

وفي مكان آخر يقول الطبري «وكان فرعون في أيام (موسى) قابوس ابن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق ابن لاوذ بن سام بن نوح، وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان ابن الوليد فرعون يوسف الأول »[21] .

وفي مكان آخر يروي الطبري كيف أن الملك حينما أبلغ بأمر عيسى الطفل وهم بقتله أخبرت السيدة مريم بذلك، فاحتملته على حمار ومعها يوسف، ووردا أرض مصر، فهي الربوة التي قال الله تعالى فيها «وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »[22] .

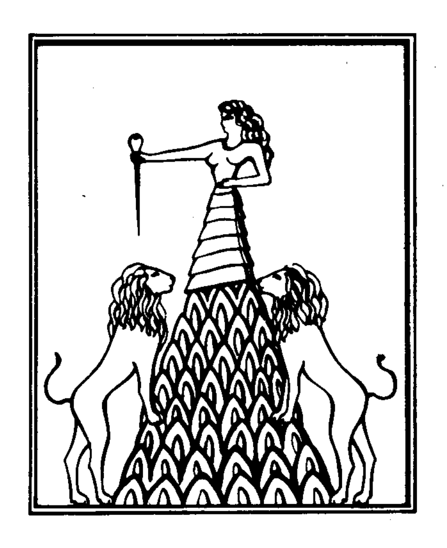
11 - ونحن نستغرب كيف أن إنساناً في هذا العالم يمكن أن يتصور أو يعقل ميتاً في مصر وادي النيل يحمله أبناؤه عبر صحراء سيناء ليدفنوه في مغارة في شمال فلسطين، تاركين أطفالهم يرعون الغنم والبقر على بيدر اسمه جاسان ريثما يفرغون من دفن أبيهم ويعودوا ! إن العقل الصهيوني الذي هو خارج كل العصور، هو وحده القادر على أن يقتات على مثل هذه الشعوذات، ويجعل منها «شيئاً» يتعامل به ومن خلاله مع كل الآخرين.

12 - ولقد تحدثت التوراة في مواضع كثيرة عن دمار مصر المقصودة، أي قرية المصريين، بالزلازل والبراكين بعد أن ضربها الرب، وقد أكد القرآن الكريم أن الله دمر قرية فرعون كما دمر غيرها من القرى من حولها التي كذبت بالرسل. ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾[23] .

13 - أما «فلسطين» التوراتية فقد كنا قد أثبتنا في حلقة سابقة كيف أن المقصود بالفلسطينيين إنما هم عشيرة «فلستيم» العربية المجاورة لعشيرة مصريم في منطقة غامد، وليس سكان جنوب سوريا، وأكدنا عروبتهم وزيف الادعاء بأنهم من شعوب البحر مجهولي الأصل.

نكتفي الآن بهذا القدر الذي ما من أحد يشك في أنه كاف وحده لدحض افتراءات الصهيونية وللتأكد من أن المقصود بـ «مصر» التوراتية إنما هو عشيرة

المصريين وليست مصر وادي النيل التي لم تكن قد دعيت بعد بهذا الاسم ، وقد أشرنا في حلقات سابقة إلى أن كثيراً من الباحثين من أمثال موسيل وولنكر ومونتغمري وغيرهم قد أكدوا هذه الحقيقة . وقبل أن ننتقل إلى موضوع آخر لابد من الإشارة إلى أن بني يعقوب (إسرائيل) هؤلاء أقاموا في أرض المصريين يرعون ويخدمون عند فراعنتهم ، وقد تحولوا بعد عدة أجيال إلى عشائر نسيت أمر عبادة الله الواحد رب إبراهيم ، واستخدمهم فرعون تلو آخر في أعماله ورعاية مواشيه ، ولقوا شدة وعنتاً من بعضهم وظلوا عشيرة غريبة مستضعفة بين عشيرة المصريين الذين يتزعمهم دائماً رجل من العماليق لقبه فرعون هو وكيل المحطة وصاحب الخراج والأتاوات . وجاء موسى .



الحلقة السابعة

موسى

و«الخروج» بني اسرائيل



قبل أن نبدأ الحديث عن «موسى» لابد لنا من أن نتوقف قليلاً عند هؤلاء «المصريين» و«الإسرائيليين» من الناحية السكانية، معتمدين مدونات التوراة ذاتها، إذ أنه من المجزوم فيه أن لاوجود لهؤلاء الناس آثارياً، وأن مدونات التوراة وحدها هي المصدر الوحيد لدى العالم كله الذي يتحدث عن سيرتهم مفصلةمن النواحي السكانية والبيئية معاً.

المصريون والاسرائيليون في التوراة:

تقول التوراة: «هذه أسماء بني إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب، كل واحد مع بيته دخلوا: راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد واشير، وكانت جملة النفوس الخارجة من صلب يعقوب سبعين نفساً، وأما يوسف فكان في مصر. ومات يوسف وجميع اخوته وسائر ذلك الجيل، ونما بنو إسرائيل وتوالدوا وكثروا وعظموا جداً.. وقام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه: إن شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا، تعالوا نحتال عليهم كيلا يكثروا، فأقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يعنتوهم بأثقالهم.. فاستخدم المصريون بني إسرائيل بقسوة، ونغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر أعمال الأرض.. وكلم ملك المصريين قابلتي بني إسرائيل اللتين اسم احداهما شفرة والأخرى فوعة وقال: إذا استولدتما النساء فانظرا عند الكراسي، فإن كان ذكراً فاقتلاه وإن كانت أنثى فاستبقياها، فخافت القابلتان الرب. ولم تصنعا كما قال لهما ملك مصر فاستبقتا الذكران.. فأمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ذكر يولد لهم فاطرحوه في النهر. وكل أنثى فاستبقوها»(1).
في هذا الظرف بالذات وجد موسى الطفل وكان من بين من «ألقوا في النهر».

لنتوقف قليلاً عند هذا النص ولندرسه دراسة سكانية:

1- إن عدد بني إسرائيل (يعقوب) في مصر زمن يوسف بن يعقوب، الذي هو أحد الأسباط الاثني عشر، كان سبعين نفساً فقط.
2- إن الفترة الزمنية لتكاثر تلك الأسرة المقصودة في النص هي الفترة

المحصورة ما بين الجيل الأول (جيل أبناء يعقوب الاثني عشر) ومرحلة البدء بقتل الأطفال من الذكور وإلقائهم في النهر، أي زمن موسى. وإذا ما علمنا أن موسى هو من فرع لاوي الذي هو أحد الأسباط الاثني عشر كما تؤكد التوراة، وأن لاوي هو الجد الرابع لموسى حسب ما تؤكده التوراة وكل المصادر التاريخية العربية[2]. فإن هذا يعني أن الفاصل الزمني بين لاوي وموسى لن يتعدى المئة عام، إذ أننا إذا ما اعتبرنا السن الوسطي للزواج هو 25 سنة فيكون الرجل الذي يبلغ سنة المائة لديه ابن في الخامسة والسبعين، وحفيد في الخمسين، والحفيد الثالث في الخامسة والعشرين الذي إذا ما تزوج في هذا السن أيضاً يكون ابنه في عامه الأول، وهذا هو الجيل الرابع، إن موسى، عند كل المؤرخين العرب وفي التوراة، هو موسى بن عمران ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب.

3- ونحن إذا ما أجرينا تقاطعاً في أنساب فراعنة المصريين كما أوردها كل المؤرخين العرب نحصل على النتيجة نفسها، وبكلمة أخرى إذا ما حسبنا الفترة في الأجيال ما بين فرعون يوسف وفرعون موسى لرأينا أن فرعون موسى ينتمي إلى الجيل الرابع أيضاً بعد فرعون يوسف. يقول الطبري: «وكان (في زمن يوسف) الملك على مصر يومئذ الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة ابن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح»[3].
«وكان الفرعون في أيام موسى قابوس بن مصعب بن معاوية .. وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول»[4]. إن آسية بنت مزاحم امرأة فرعون موسى كما هو واضح تنتمي إلى الجيل الرابع من جدها الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول.

4- إن نسبة الزيادة السنوية للسكان في أقصى حدودها لاتتجاوز العشرة في المئة، وهي بالتالي، لن تجعل أية جماعة سكانية تزيد خلال مائة عام أكثر من عشرة أضعاف، وبهذا فإن عدد سكان بني يعقوب (إسرائيل) في مصر لن يتجاوز الـ 700 نفس من زمن يوسف إلى زمن موسى.

5- نحن سوف نفترض تجاوزاً أن الفارق الزمني هو مائتا سنة، وأن عدد

النفوس تضاعف عشرين مرة، وهذا مستحيل، فسيكون عدد بني يعقوب (إسرائيل) في مصر 1400 نفس.

6- إن ملك المصريين قال لشعبه «إن شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا، هلّم نحتال لهم» فهل هذه هي حقاً مصر وادي النيل التي كان جيشها يعد عشرات الآلاف، وكان الكهنة والخدم والحراس في قصر ملكها يعدون وحدهم بضعة آلاف!

7- إن أعلى نسبة من الرجال القادرين على الحرب والقتال وسط ذلك العدد من عشيرة بني إسرائيل لن يتجاوز نسبة العشرة في المائة، وبالتالي فلن يتجاوزوا السبعين شخصاً كحد أدنى، والمئة وأربعين شخصاً كحد أعلى، وهؤلاء هم الذين خرج بهم موسى إلى أرض الكنعانيين، أضف إلى ذلك أنهم جميعاً من الرعاة الذين لايملكون في معظمهم من السلاح غير العصي والمقاليع حتى زمن داود كما تؤكد التوراة[5]- وأن خروجهم كان خروجاً رعوياً بأغنامهم وأبقارهم وحميرهم، بنسائهم وأطفالهم، لاخروج حملة قتالية تقتصر على المحاربين.

بعد هذا التوضيح السكاني للعشيرتين -عشيرة المصريين وعشيرة بني إسرائيل- زمن موسى صار في إمكاننا الآن أن ننتقل إلى موسى مباشرة.

من هو «موسى»؟

لقد سقط معظم الباحثين الأجانب ومن نقل عنهم من العرب في فوضى من الآراء المتناقضة حول «موسى» وذلك للأسباب التالية:

1- لأن المكتشفات الآثارية ظلت في صمت مطبق بالنسبة لتلك العشائر العربية البدوية. وهذا أمر طبيعي، وكنا قد شرحنا كيف أن البدوي لايخلف آثاراً مادية غير ما يمكن أن يحفظ لنا من سيرته في مدونات مكتوبة.

2- لجهل أولئك الباحثين جميعاً باللغة العربية بلهجاتها القديمة أو لتجاهلهم لها.

3- للجهل المطبق بجغرافيا الأحداث التوراتية، خاصة بعد عملية التزوير /

الكبرى التي دأبت الأوساط الاستشراقية الاستعمارية والصهيونية على ترسيخها في المعاهد والجامعات الأجنبية في تفسير أحداث وجغرافيا التوراة خلال قرن كامل من زمننا المعاصر ، لغايات استعمارية واستيطانية .
فنتيجة لهذه الأسباب ولأسباب أخرى عمد بعضهم إلى اعتبار «موسى» شخصية أسطورية من نسج خيال كتاب الأسفار التوراية لغياب ذكره في الآثار المكتشفة في جميع أنحاء الوطن العربي ، وزعم آخرون أنه كاهن مصري ، أو قائد مصري ، اشترك في حملة ضد أثيوبيا[6] ، وذلك لجهلهم بعلم التاريخ عامة والتاريخ العربي خاصة . وبعلم السكان وبالجغرافيا العربية ونتيجة للخلط بين «مصر» العشيرة وبلاد وادي النيل ، وكنا قد بينا كيف أن «كوش» عشيرة عربية كنعانية مجاورة لعشيرة المصريين كما تثبت التوراة نفسها ، وقد صارت في التزوير «أثيوبيا» وقال آخرون إن اسمه مصري ويعني الطفل[7] ، أو أنه مركب من كلمتين هما الماء والإنقاذ كما افترض ويستون ، وأنه تعرف على ديانة التوحيد من (أخناتون) ملك وادي النيل . ونقل من هناك عادة الاختتان ... إلى غير ذلك من الاجتهادات والافتراضات المغلوطة المتناقضة والمنافية لكل الحقائق السكانية والتاريخية والجغرافية واللغوية .

قصة موسى من المصادر التاريخية :

لنتذكر ، قبل الإجابة عن هذا السؤال ، أن جميع بني إسرائيل (يعقوب) انتقلوا إلى قرية المصريين وليس إلى وادي النيل . وهناك تحديداً ، وبعد أربعة أجيال كما سوف نبين هنا ، ولد ونشأ موسى ، وإن الأحداث التوراتية لا تتعدى في جغرافيتها تلك البقعة الضيقة من أعالي وادي الفرات (الثرات) في شرق غامد من شبه جزيرة العرب ، وبالتالي فإن كل الأحكام والتفاسير القائمة على أساس الزعم بأن مصر المقصودة هي مصر وادي النيل ساقطة حتماً وحكماً ولا مجال للرجوع إليها . ولنبدأ الآن بالإجابة عن السؤال : من هو موسى ؟ ان الاسم «موسى» هو في العربية الكلدانية (أي باللهجة السريانية الشرقية عامة) «موشى» وتعني المرميّ ، المنتشَل ، المنقذَ ، إذ هي اسم المفعول من

- « شوي- شوويا » ويعني : رمى ، طرح ، ألقى ، نبذ ، انتشل ، مسح ، نشف ... الخ ، وهو الفعل الذي يحكي قصة موسى الطفل (انظر القاموس الكلداني العربي) وهذا هو بالضبط ما تؤكده مدونات التوراة ذاتها ، تقول التوراة : « ومضى رجل من آل لاوي متزوج بابنة لاوية .. فحملت المرأة وولدت ابناً ، ولما رأته حسناً أخفته ثلاثة أشهر ، ولما لم تستطع أن تخفيه بعد أخذت له سفطاً من بردي ، وطلته بالحمر والزفت وجعلت الولد فيه وألقته بين الخيزران على حافة النهر ... فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل ... فرأت السفط بين الخيزران ، فأرسلتها أمتها فأخذته ... ولما كبر الصبي جاءت به ابنة فرعون فاتخذته ابناً لها وسمته « موشى » قالت لأني انتشلته من الماء »[8] .

أما عبارة « حافة النهر » في التوراة فقد أوردها القرآن الكريم مستخدماً بدلاً منها كلمة « اليم » و« اليم » في العربية القديمة تعني البحر ، جهة الغرب ، النهر ، المغتسل ، البركة ، الدست أو الطست الكبير ، ومؤنثه « يمتا » وتعني البحرة ، البحرة ، الساقية ، الخليج ، البركة ، الساحل ، الضفة ، وفي القاموس نجد أن اليم تعني البحر ، النهر ، الساحل يملأه الطمي المرشوش بالماء ، الخ : فقد جاء في القرآن الكريم : ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني ... فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ، إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾[9] .

وتجمع المصادر العربية كلها على أن موسى هو ابن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم . يقول الطبري في تاريخه : « ثم أن لاوي بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر فولدت له جرشون ابن لاوي ومرري بن لاوي وقاهث بن لاوي ، فنكح قاهث بن لاوي فاهي ابنة مسين بن بتويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث ومردى ، فتزوج يصهر شميث ابنة بتاديد بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له عمران ابن يصهر وقارون بن يصهر ، فنكح عمران يحيب ابنة شمويل بن بركيا بن يقشان بن إبراهيم فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران »[10] .

فامرأة عمران إذن التي هي أم موسى وهارون ، هي حفيدة يقشان الذي هو ابن إبراهيم من زوجته قطورة كما سبق أن ذكرنا في حلقات سابقة عند الحديث

عن أولاد إبراهيم، وفي هذا دليل آخر على أن عشيرة المصريين التي عاش فيها عمران مجاورة لعشائر بني إبراهيم.

وتتابع التوراة قصة موسى وتخبرنا كيف أن أمه جزعت عليه وأمرت أخته أن تلحق به وتتعرف مصيره بعد أن صار في يد امرأة فرعون التي رقت لحاله وطلبت له مرضعة، فأشارت عليها أخته بواحدة وكانت أم موسى نفسها، فتربى في بيت فرعون وصار يطلق عليه «ابن فرعون». وقد أكد القرآن الكريم تفاصيل سيرة موسى في سورة القصص: وقالت ﴿لأخته قصيه (أي تتبعيه) فبصرت به عن جنب وهم لايشعرون ... وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت (أخته) هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون ... فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن﴾[11].

﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾[12]. ويقول الطبري حول هذه الآية «فلما نظرت إليه آسية (التي هي امرأة فرعون) وقعت عليه رحمتها وأحبته، فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه فلم تزل «آسية» تكلمه حتى تركه لها»[13]. وهكذا فقد نشأ موسى وتربى برعاية السيدة آسية بنت مزاحم التي كانت بإجماع المؤرخين العرب من الموحدين سراً ومن خير نساء العرب، ثم عرف موسى بأنه «مصري» أي من عشيرة المصريين.

وحينما شب موسى، وبينما كان يمشي في مدينة المصريين عثر على رجلين يقتتلان أحدهما من عشيرة المصريين والآخر من عشيرته فوكز موسى المصري بعصاه وقتله و طمره في الرمل، ثم مضى في اليوم التالي فوجد اثنين من عشيرته يتضاربان «فقال للمعتدي لماذا تضرب قريبك، فقال من أقامك رئيساً وحاكماً علينا ... أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري، فخاف موسى، وقال إن الخبر قد ذاع، وسمع فرعون بهذا الخبر، فطلب أن يقتل موسى، فهرب موسى من وجه فرعون. وصار إلى أرض مدين وقعد عند البئر»[14].

وهنا تبدأ المرحلة الجدية من حياة موسى وسيرته، وتبدأ معها رسالته التي بدأها بإخراج أبناء عشيرته من قرية فرعون، ثم محاولاته المضنية في

إرجاعهم إلى عبادة الرب الواحد رب إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب وهذا هو موضوعنا للحلقة القادمة.

قبل الشروع بتتبع سيرة موسى، وخروجه بعشيرة بني إسرائيل «يعقوب» من أرض عشيرة المصريين إلى أرض عشائر الكنعانيين، لابد من أن نعيد إلى الذاكرة صورة التوزع السكاني الأساسية لأبناء إبراهيم كما أكدتها مدونات التوراة وأثبتناها في حلقات سابقة.

تقول التوراة: كان إبراهيم يرعى في أرض بني حث الكنعاني، وهي الأرض التي رغب في أن تكون مقراً ومرعى له ولنسله من بعده، وعده ربه بذلك، وحينما وزع أولاده قبيل موته في الأرض جعل المرعى الذي كان يقيم فيه في أرض كنعان لإسحق وبنيه، أما بنو السراري «أي أبناؤه من هاجر وقطورة» فقد «صرفهم عن إسحق ابنه في حياته شرقاً إلى أرض المشرق»[15]. وأرض «بني المشرق» هذه هي أرض عشيرة الآراميين في آرام النهر في البرية على وادي الفرات «الثرات»، حيث حاران مركز العشيرة[16]. إن أرض بني المشرق الآراميين هي إذن إلى الشرق من أرض الكنعانيين، والمسافة بين مركز العشيرة في حاران وبين أرض الكنعانيين هي قرابة مسيرة يوم واحد فقط على الأقدام كما سبق أن رأينا مع يعقوب ابن إسحق الذي قطع تلك المسافة على قدميه في أقل من يوم حينما أرسله أبوه إلى أخواله في حاران من أجل الحصول على زوجة له من بنات خاله لابان. إن بني السراري إذن، الذين هم، في الدرجة الأولى، الإسماعيليون أبناء هاجر والمديانيون أبناء قطورة، نزلوا إلى الشرق من أرض كنعان التي أبقى فيها إبراهيم ابنه إسحق، وأقاموا مضاربهم مقابل جميع إخوتهم، والصورة الآن أضحت كما يلي: عشائر المصريين والكنعانيين والفلسطينيين في الغرب «وبقي إسحق بين عشائر الكنعانيين» وعشائر الآراميين في الشرق وقد انتقل إليها الإسماعيليون «بنو إسماعيل بن إبراهيم من هاجر» والمديانيون «بنو مدين بن إبراهيم من قطورة» تقول التوراة: «ولبني السراري التي لإبراهيم وهب إبراهيم هبات، وصرفهم عن إسحق ابنه في حياته شرقاً إلى أرض المشرق.. وكانت مساكنهم من حويلة إلى شور التي

تجاه مصر وأنت آت نحو آشور قبالة جميع أخوته نزل »[17] ، وإذا ما علمنا أن « آشور » هو آشور بن ددان بن يقشان بن إبراهيم من زوجته قطورة توضحت لنا حقيقة هذه التسميات كمضارب لهؤلاء البدو الرعاة من أبناء إبراهيم المجاورين لمضارب عشائر أخرى مصرية وكنعانية ، وليست تسميات لبلدان أو لدول كما صارت عليه الصورة في التزوير اليوم .

بعد هذا التوضيح السكاني والمكاني لتوضع تلك العشائر والأسر العربية البدوية في منطقة جد ضيقة من برية العرب عند أعالي الفرات « الثرات » في شبه جزيرة العرب صار في الامكان الآن أن نتابع معاً قصة موسى وخروجه من أرض عشيرة المصريين إلى أرض الكنعانيين .

موسى في أرض المديانيين :

تقول التوراة : بعد أن قتل موسى الرجل المصري وعلم أن الأمر قد ذاع صيته فر إلى أرض مدين ، وقعد عند البئر ، « وكان لكاهن مدين سبع بنات ، فجئن واستقين ، وملأن المساقي ليسقين غنم أبيهن ، فجاء الرعاة وطردوهن ، فقام موسى وأنجدهن ، وسقى غنمهن ، فلما جئن رعوئيل أباهن قال : ما بالكن أسرعتن في المجيء اليوم ؟ فقلن : « ان رجلاً مصرياً خلصنا من أيدي الرعاة وأيضاً استقى لنا وسقى الغنم »[18] ، فدعاه رعوئيل « الذي هو يثرون » وطلب منه أن يقيم معه « فارتضى موسى أن يقيم عند الرجل فزوجه صفورة ابنته ، فولدت ابناً فسماه جرشوم لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة ، ثم ولدت غلاماً ثانياً فسماه اليعازر وقال لأن اله أبي أعانني وأنقذني من يد فرعون »[19] .

وتتابع التوراة : « وكان موسى يرعى غنم « يثرو » حميه كاهن مدين ، فساق الغنم إلى ما وراء البرية حتى أفضى إلى جبل الله حريب فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة ، فإذا العليقة تتوقد بالنار وهي لاتحترق ، فقال موسى أميل وانظر هذا المنظر العظيم ما بال العليقة لاتحترق ، ورأى الرب أنه قد مال لينظر ، فناداه الله من وسط العليقة وقال : موسى ، موسى ، قال هاأنذا . قال : لاتدن إلى ههنا ، إخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذي أنت

قائم فيه أرض مقدسة وقال أنا إله أبيك ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب .. فالآن تعال ابعثك إلى فرعون وأخرج شعبي بني إسرائيل من مصر .. أنا أكون معك ، وهذه علامة لك أني بعثتك : إذا أخرجت الشعب من مصر فاعبدوا الله على هذا الجبل ، فقال موسى لله ها أنا ذا سائر إلى بني إسرائيل فأقول لهم إله آبائكم بعثني إليكم ، فإن قالوا لي ما اسمه ؟ فماذا أقول لهم ، فقال الله لموسى : أنا هو الكائن ، وقال : كذا قال لبني إسرائيل ، الكائن أرسلني إليكم .. فيسمعون لقولك ، وتدخل أنت وشيوخ بني إسرائيل على ملك مصر ، وتقولون له قد وافانا الرب رب بني إسرائيل ، فنسير الآن مسيرة ثلاثة أيام في البرية ونذبح للرب الهنا »[20] .

ولقد أكد القرآن الكريم تفاصيل هذه الرواية في سورتي « طه » و« القصص » :

﴿وهل أتاك حديث موسى ، إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى ، فلما أتاهم نودي يا موسى ، إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى ، إني أنا الله لاإله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾[21] . و﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور ناراً ، فقال لأهله امكثوا ، إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النهار لعلكم تصطلون . فلما أتاهم نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين﴾[22] .

النصوص من الناحية الجغرافية :

لنتوقف قليلاً من أجل دراسة هذه النصوص من الناحيتين الجغرافية واللغوية ، وهذا ما أهمله جميع الدارسين العرب والأجانب حتى يومنا هذا .

1 ـ إن موسى يرعى غنم حميه كاهن مدين في أرض المديانين ، والمديانيون ـكما سبق أن بيّنا من خلال مدونات التوراة ـ هم من أبناء السراري الذين دفعهم إبراهيم شرقاً إلى أرض بني المشرق ، بينما أبقى إسحق في أرض كنعان . إن الأرض التي يرعى فيها المديانيون هي ، إذن ، شرق الأرض التي يرعى فيها إسحق في أرض كنعان ، أي إنها شرق أرض الكنعانيين ، فكيف

يستقيم هذا مع الصورة التي صارت إليها الأمور في التزوير الصهيوني الذي جعل الكنعانيين في فلسطين ، والمديانيين جنوب فلسطين وسيناء كلها ، على حدود مصر وشمال البحر الأحمر !

2- إن موسى كان يرعى في برية مدين قرب جبل « حريب » الذي هو « طور سينا » ، فالطور هو إذن في برية مدين وشرق الكنعانيين ، فكيف يستقيم هذا مع التزوير الذي جعله في جنوب صحراء سيناء ؟

3- وحينما ذكرت التوراة أن الله أمر موسى بأن يذهب إلى فرعون ويخرج بني إسرائيل من أرضه ، ويسيروا مسيرة ثلاثة أيام ليعبدوا الله ويذبحوا له على الجبل فقد حددت بذلك المسافة ما بين أرض المصريين والجبل الذي هو الطور ، آخذين بالاعتبار أن المسيرة هي مسيرة رعوية تشمل الغنم وصغارها كما تشمل النساء والرجال والشيوخ والأطفال ، وهي بالتالي لن تتجاوز الأربعين كيلومتراً في أبعد تقدير .

4- أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم أضاف تفصيلاً آخر على الأرض التي باركها الله ، فذكر لنا أن موسى كان في « وادي طوى » حينما تجلى له الرب على الجبل على شاطىء الوادي الأيمن ، وإن « وادي طوى » هذا يقع شمال العقيق ، ويرفد وادي « كارا » الذي يلتقي بدوره بوادي الفرات « الثرات » شرق غامد وزهران ، وما يزال وادي طوى موجوداً على خارطة المنطقة إلى يومنا هذا ، وليس في الوطن العربي كله أي واد آخر يحمل هذا الاسم غيره .

النصوص من الناحية اللغوية :

لابد أولاً من التذكير بأن الأسماء هي جميعها عربية خالصة ، فـ « رعوئيل » تعني رعى الله ، و« يثرو » تعني المكثر ، المخصب ، ومنها « ميثرا » وتعني أيضاً المكثر ، المخصب ، و« دو ميثرا » تعني الرب المكثر ، المخصب ، و« دي ميثرا » تعني الربة المكثرة ، المخصبة « ويقابلها في العربية اليوم فعل « أثرى » ومشتقاته ، وهما من أسماء ديانة الخصب العربية السورية القديمة .

و« صفورة » في القاموس العربي الكلداني تعني الصباح ، المنيرة ، و« ضهر

صفرا » اسم القرية على الساحل السوري يعني جبل الشروق .. و« جرشوم » تعني الصابر ، المحتمل ، واليعازر تعني « ربي أعان » وهي « ايلي = ربي » ، و« عزر » في العربية القديمة والحديثة ازر ، أعان ، ساعد .

معنى « طور سينا » :

إن « الطور » في القاموس تعني الجبل . وفي العربية القديمة « طورو » تعني الجبل ، أما كلمة « حريب » فلو فتحنا القاموس الكلداني لوجدناها تعني العلّيق ، شجر العليق ، الخرب ، المقفر ، وهذا ما يؤكده النص التوراتي « فساق الغنم إلى ما وراء البرية حتى أفضى إلى جبل الله حريب ، فتجلى له ملاك الرب في لهيب نار من وسط العليقة ، فإذا العليقة تتوقد بالنار وهي لاتحترق ، فقال موسى .. ما بال العليقة لاتحترق .. فناداه الرب من وسط العليقة » . وهذا أيضاً ما أكده القرآن الكريم حيث قال « آنس من جانب الطور ناراً .. فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة » .
لكن التوراة استخدمت عبارة « جبل سينا » في مواضع أخرى[23] . بدلاً من جبل حريب ، كما أن القرآن الكريم استخدم بدلاً من « الطور » تسمية « طور سينين » في سورة الطور فهل كان المقصود بهما جبل في صحراء سيناء حقاً كما هو في التزوير اليوم ؟
لو أننا عدنا إلى النص التوراتي المنقول عن النص السبعيني اليوناني إلى العربية القديمة بكتاباتها المختلفة لوجدنا أن الكلمة هي « طورو سيني » وأن كلمة « سيني » في القاموس الكلداني العربي هي اسم جمع للمذكر والمؤنث وتعني العلّيق ، العوسج ، ولسنا بحاجة للتأكيد على أن دقة التعبير في القرآن الكريم هي جزء من إعجازه اللغوي المذهل ، لقد أورد القرآن الكريم كلمة « سينين » في صيغة الجمع ملحقاً إياها بصيغ الملحقات بجمع المذكر السالم لأن المقصود بها اسم جمع فعلاً وهو العلّيق أو العوسج ، إن « سينين » هي جمع « سينية » و« سينينية » وتعني شجر العليق ، ويندر استخدامها إلا في صيغة الجمع فقط . وهكذا فإن عبارة « طور سينين » القرآنية تعني أيضاً جبل العليق . وليس جبل صحراء سيناء ، كما هو حاصل في التزوير اليوم ، علماً

أن في صحراء سيناء مئات الجبال وليس جبل واحد . إن الجهل بالتاريخ والجغرافيا وباللغة العربية القديمة وبامتدادها في لغة القرآن الكريم جعلت الكثير من الشراح والمفسرين يقعون في أخطاء فادحة .

أما « وادي طوى » فيعني في العربية القديمة والحديثة وادي الصيام أو الصائمين ، وهو في البقعة المقدسة من الأرض التي « بارك الله حولها » قبل إبراهيم وبعد إبراهيم ، وكانت منها مهاجر بني إسماعيل أجداد محمد بن عبد الله إلى مكة في زمن عدنان :

« وأولد الأخباريون عدنان عدداً من الأولاد ، أشهرهم وأعرفهم في نظرهم معدّ وعكّ ، وقد زعم الاخباريون أن معدّاً عاش في أيام بختنصر ، وأن معدّاً خلص إلى حران حينما هاجم ملك بابل أهل حصورا .. أما عدنان والده فلقي بختنصر فيمن اجتمع إليه من حصورا وغيرهم في ذات عرق ، وهزمهم بختنصر ، ومات عدنان في أيامه ، فلما هلك بختنصر خرج معدّ من حران إلى مكة فوجد إخوته وعمومته قد لحقوا بطوائف اليمن (هناك) وتزوجوا فيهم »[24] .

إن حران هي مركز عشيرة العرب الآراميين شرق غامد على وادي الفرات (الثرات) ، وبختنصر هو الوكيل على بابلون المحطة وليس ملك الدولة المركزية في بابل العاصمة ، وتلك الأرض التي هاجر منها عدنان الجد الأكبر لمحمد بن عبد الله وجماعته إلى مكة هي الأرض المقدسة قرب وادي طوى وطور سينا وحيث مبعث جميع الأنبياء العرب قبل الرسول ، وهي التي قيل فيها للرسول محمد بن عبد الله حين الإسراء حينما بلغها « تلك هي أرض مهاجركم » .

معنى « يهوه » :

بقي أن نوضح اللفظة التي ورد بها اسم الله في الأصل وهي « يهوه » ونقلت في ترجمات كثيرة كما هي إلى العربية الحديثة دونما أي إيضاح ، كما نقلت في بعض الطبعات إلى كلمة « الكائن » كما هي في طبعة الكتاب المقدس الصادرة عن دار المشرق عام 1876 .

لقد خضعت لفظة «يهوه» للكثير من الحذلقات والتفسيرات والنظريات المتناقضة، مما أبعدها عن مضمونها اللغوي العربي البسيط، كما تحولت عند الكهنة الذين صنعوا الدين اليهودي السائد اليوم بعد موسى بألف عام إلى اسمٍ لربّ قبليّ خاص باليهود، ورب يقاتل الناس، ويسفك الدماء، ويبيد النساء والأطفال والشيوخ، الغنم والبقر والشجر، رب يخطىء ويعتذر، يكره ويحقد ويغار وينتقم، يأمر بالسرقة ويحاسب المخطىء في بنيه وبني بنيه، ونحن هنا لابد لنا من وقفة قصيرة أمام لفظة «يهوه» لإيضاح مضمونها اللغوي كما هي في زمن موسى، بعيداً عن كل ما أصابها على أيدي الكهنة بعد موسى بألف عام.

من المعلوم أن هذه المنطقة عرفت التوحيد منذ عهد آدم، ومروراً بإدريس، ونوح، وصالح، وهود، ويونس، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب، والأسباط، وكان اسم الله الواحد يتخذ صيغاً مختلفة مثل الرحمن أي المحب، والعلي، والمتلألىء وغيرها، ومن بين هذه الأسماء التي عرفتها اللغة العربية القديمة في تلك المنطقة الاسم «يهوه» أو «يهوا» فماذا تعني كلمة «يهوه»؟

إننا لو فتحنا القاموس الكلداني لوجدنا أن الكلمة مؤلفة من مقطعين هما «يه» بمعنى ظهر، تجلى، اعتز، و«هوا» بمعنى كان، صار، وجد، ومنها «هويو» أي الكائن بنفسه، الجوهر.. ومنها ما تواصل في لغتنا العربية حتى اليوم مثل «هوية» و«ماهية» وغيرها من مشتقات هذه الكلمة.

فيكون معنى اسم الله الحرفي حينما ظهر لموسى وتجلى له في نار العليقة المشتعلة هو تجلي الكائن بذاته، الظهور الإلهي.. وليس في الكلمة أي مضمون آخر قبلي أو عشائري أو «يهودي». فاليهودية لم يكن لها من وجود بعد، ولم تظهر إلا بعد ألف عام من ذلك التاريخ.

أما فيما يتعلق بموضوع خروج موسى ببني إسرائيل من أرض المصريين إلى أرض الكنعانيين وحول فكرة التوحيد التي جاهد موسى جهاداً متواصلاً ومضنياً من أجل إعادتهم إليها، بعد أن كانوا قد تخلوا عنها إلى عبادة البعل وعشتار العربية السورية القديمة، فهذا ما سوف نتناوله حالاً.

تقول التوراة:

بعد أن ظهر الرب لموسى في «طور سينا» في برية مدين وهو يرعى غنم حميه يثرو «رجع موسى إلى يثرو حميه وقال له: إني منطلق فراجع إلى إخوتي الذين بمصر لأنظر هل هم باقون، فقال يثرو لموسى اذهب بسلام.. فأخذ موسى امرأته وولديه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر»[25]، وبعد أن وصل إلى مصر وقابل فرعون وقال له موسى: «نمضي بصبياننا وشيوخنا، وبنينا وبناتنا، وغنمنا وبقرنا لأن لنا عيداً للرب»[26].

وانطلق موسى بالعشيرة من مدينة فرعون إلى سكوت[27]، ولما أطلق فرعون الشعب لم يسيرهم الرب في طريق أرض الفلسطينيين مع أنه قريب لأن الرب قال لعل الشعب يندمون إذا رأوا حرباً فيرجعون إلى مصر، فأدار الله الشعب في طريق برية بحر القلزم»[28]، ولما كانوا قد سرقوا جميع الحلي التي في حوزة جميع نساء مصر «بأمر الرب!» وفروا ليلاً، علم فرعون بالأمر، وتبعهم بجنوده إلى بحر القلزم «فمد موسى يده على البحر، فأرسل الرب على البحر ريحاً شرقية شديدة طول الليل حتى جعل في البحر جفافاً وقد انشق الماء، ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليبس»[29]، وحينما أراد فرعون العبور «مد موسى يده على البحر، فارتد البحر عند انبثاق الصبح إلى ما كان عليه والمصريون هاربون تلقاءه، فغرّق الرب المصريين في وسط البحر»[30]، وابتلعهم البحر ثم ارتحلوا إلى إيليم، ثم إلى برية سين التي بين إيليم وسيناء.

ومن برية سين نزلوا رفيديم[31]، فقال له الرب: «مر أمام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر خذها بيدك وامض ها أنا قائم أمامك على الصخرة في حوريب»[32]، «ثم جاء العمالقة فحاربوا إسرائيل في رفيديم»[33]، «وأتى يثرو حمو موسى وابناه وامرأته إلى موسى في البرية حيث كان نازلاً عند جبل الله»[34]، وهناك يعلمه يثرو أمور القضاء والفصل في الخصومات «وفي اليوم الثالث يهبط الرب أمام جميع الشعب على جبل سينا»[35]، ويلقنه الشريعة.

ثم ارتحل موسى بجماعته من جبل الله إلى حصيروت، ثم نزلوا ببرية فاران[36]، وهناك أمره الرب بأن يرسل رجالاً «يجسون أرض كنعان التي

هو معطيها لهم »[37] فجسوا الأرض من برية صين إلى مدخل حماه » فعادوا وأخبروه بأن « الأرض التي تجسسوها هي أرض تأكل أهلها ، وجميع الشعب الذين رأيناهم طوال القامات .. فصرنا في عيوننا كالجراد ، وكذلك كنا في عيونهم »[38] ، وجبنوا عن دخول الأرض ، فعنفهم موسى وتوعدهم بأن كل من تخاذل لن يرى أرض كنعان ثم « تجبروا » وصعدوا إلى رأس الجبل (حيث عشيرة الآموريين الكنعانية) فنزل العمالقة والكنعانيون المقيمون بذلك الجبل ، فضربوهم وحطموهم إلى حرمة »[39] ، «وأقبل بنو إسرائيل إلى برية صين فأقام الشعب بقادش »[40] . وأنفذ موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم قائلاً : هكذا قال أخوك إسرائيل ، قد علمت بجميع ما نالنا من المشقة .. وهنا نحن في مدينة قادش في طرف تخمك ، دعنا نمر في أرضك ونحن لانميل إلى حقل ولا كرم ، ولا نشرب ماء بئر ، لكنا نسير في الطريق ، لانميل يمنة ولا يسرة إلى أن نجوز تخمك ، فقال له أدوم : لاتجزفي تخمي لئلا أخرج عليك بالسيف .. وأبى أدوم أن يدع إسرائيل يجوزون في تخمه ، فتحول إسرائيل عنه »[41] ، « فكلم الرب موسى وهارون في جبل هور عند تخَم أدوم »[42] ، وسمع الكنعاني ملك عراد أن بني إسرائيل قد جاؤوا على طريق أتاريم فقاتلهم وسبى منهم سبياً[43] ، ثم رحلوا من جبل هور على طريق بجر القلزم ليدوروا من حول أرض أدوم »[44] ، « وبعث إسرائيل رسلاً إلى سيحون ملك الآموريين قائلين : دعني أمر في أرضك ، ونحن لانميل إلى حقل ولا كرم ولا نشرب ماء بئر ، وإنما نسير في الطريق إلى أن نجوز تخمك ، فلم يدع سيحون إسرائيل يجوزون في تخمه »[45] ، ثم تحولوا وصعدوا في طريق باشان فخرج عوج ملك باشان هو وجميع قومه للحرب في أدرعي ، فضربوه هو وبنيه وجميع قومه حتى لم يبق له شريد وورثوا أرضه »[46] . « ثم ارتحل بنو إسرائيل فنزلوا صحراء موآب التي على عبر أردن أريحا »[47] . فمضى شيوخ موآب وشيوخ مديان إلى العراف بلعام بن بعور إلى فاتور التي على النهر من أجل أن يأتي ويلعن بني إسرائيل[48] ، واختلط الإسرائيليون ببنات مدين وزنوا معهن ، فأمر موسى بضرب الاسرائيلي وكزبن المديانية في الخيمة ثم نزلوا بصحراء موآب عند أردن أريحا ، فنزلوا على الأردن .. وهناك كلم الرب موسى

قائلاً : «مر بني إسرائيل وقل لهم إنكم جائزون الأردن إلى أرض كنعان»[49] ، لكن موسى يموت على قمة نبو قبل أن يعبر ، فكلم الرب يشوع ابن نون خادم موسى قائلاً : «إن موسى عبدي قد مات ، والآن قم فاعبر هذا الأردن أنت وجميع هؤلاء الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل .. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات»[50] .

دراسة النصوص :

لنتوقف الآن عند هذه النصوص ، ولندرسها سكانياً وجغرافياً ولغوياً ، لنتعرف على مدى وحجم وفداحة التزوير الذي أحدثه المستشرقون الاستعماريون والصهاينة في التاريخ والجغرافيا العربيين ولو أردنا أن نفرز من بين هذه التسميات التي يفترض أن تكون جغرافية والتي مر بها موسى وجماعته من أرض المصريين إلى أرض الكنعانيين ، لنتخذ منها نقاطاً بارزة في تلك المسيرة لوجدنا الأسماء التالية : سكوت ، أرض الفلسطينيين ، بحر القلزم ، رفيديم ، طور سينا في أرض مدين ، جبل هور أرض أدوم ، أرض سيحون الآموري الكنعاني على الأردن عند أريحا ، أرض كنعان التي هي في عبر الأردن عند أريحا .

● سكوت :

إن أول محطة كانت لبني إسرائيل بعد خروجهم من «مصر» مباشرة كانت «سكوت» فسكوت هذه هي إذن على تخم المصريين لكن إذا كان المقصود بأرض المصريين أرض مصر وادي النيل فكيف يستقيم ذلك مع قول التوراة الذي يجعل سكوت تابعة لسيحون ملك حشبون الآموري الكنعاني الذي ضربوه عند أردن أريحا وورثوا أرضه ؟ تقول التوراة : «وفي الوادي بيت هارام وبيت نمرة وسكوت وصافون بقية مملكة سيحون ملك حشبون على حد الأردن الذي هو تخم لها على طرف بحر كنارت عبر الأردن شرقاً»[51] . علماً أنهم جعلوا بحر كنارت في التزوير بحيرة طبريا ! كيف تكون «سكوت» على تخم مصر وادي النيل جنوب صحراء سيناء وعند أردن أريحا في آن معاً ؟

وكنا قد رأينا فيما سبق كيف أن يعقوب حينما عاد بنسائه وأغنامه من حران حيث خاله لابان في أرض بني المشرق إلى أرض الكنعانيين «بنى له بيتاً وصنع لماشيته مظلات ولذلك سمّى الموضع سكّوت»[52]، فكيف تكون هذه الـ «سكّوت» جنوب صحراء سيناء على حدود مصر وادي النيل، وهي، في الوقت نفسه شرق أرض الكنعانيين المفترض أنها في فلسطين حسب التزوير الصهيوني، ومضرب خيام ومظلة للغنم على الطريق القادم من حران (مركز عشيرة الآراميين شرقاً في برية العرب) إلى أرض كنعان!

● بحر القلزم:

وقد صار في التزوير البحر الأحمر. تقول التوراة إن بني إسرائيل فور خروجهم من سكوت تجنبوا الدخول في أرض الفلسطينيين القريبة لئلا يحاربهم هؤلاء ويجعلوهم يندمون على الخروج من مصر، فداروا حول أرض الفلسطينيين على طريق بحر القلزم، فأي فلسطينيين إذن أولئك الذين هم على حدود مصر وادي النيل وجنوب صحراء سيناء، ثم إنهم في جنوب سوريا وفي فلسطين الحالية، فبحر القلزم إذن عند تخم الفلسطينيين والمصريين.
وتخبرنا التوراة أن بني إسرائيل حينما ارتحلوا من طور سينا إلى برية فاران، وتجسسوا أرض الكنعانيين، ضربهم العمالقة والكنعانيون، ولم يسمح لهم الآدوميون (أدوم هو عيسو أخو يعقوب) بالمرور في تخمهم فارتحلوا إلى جبل هور، فسمع بهم ملك عراد الكنعاني وقاتلهم، ثم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول أرض آدوم[53]، تأملوا معنا هذه الجغرافيا التي لايستطيع هضمها غير العقل الصهيوني الذي يقف خارج العلم والتاريخ والجغرافيا وتحت كل العصور: إن جبل هور هو شمال صحراء سيناء وعلى تخم الكنعانيين الذين يفترض أنهم غربي نهر الأردن، وعلى تخم أدوم الذي هو عيسو أخو يعقوب وعلى البحر الأحمر!
ثم ما هي حقيقة هذا البحر الذي تدعوه بعض طبعات التوراة بحر القلزم وبعضها الآخر «بحر سوف» إذن؟ إننا لو عدنا إلى قاموس اللغة العربية لوجدنا أن كلمة «البحر» تعني الماء الكثير، إنها اسم للماء في حالة اتساعه

وارتفاعه سواء أكان في بحر أم في نهر ومنه جاء الفعل «أبحر» أي ركب الماء سواء في بحر أم في نهر أم في مخاضة، وليس يمكن القول «أنهر» أي ركب ماء النهر، لأن النهر يعني مجرى الماء أو الماء الجاري، أي اسم للماء في حركته ولو كان قليلاً أو ضحلاً، فإذا ما اتسع ماء النهر وارتفع صار بحراً وصار صالحاً للإبحار، أضف إلى هذا أن التوراة ما لبثت أن استخدمت كلمة النهر بعد أن مضت الحادثة وصار زمن ارتفاع مياهه في الماضي، تقول التوراة: «فقال له الرب مر أمام الشعب وخذ معك من شيوخ إسرائيل وعصاك التي ضربت بها النهر»[54]، أما كلمة «القلزم» فهي بالعربية القديمة والحديثة تعني الابتلاع، الاغراق والهلاك، وهي في القاموس من قلزم بمعنى ابتلع، فقد سمي ذلك الماء بهذا الاسم نتيجة للحادثة وفي حينها، ولم يدع البحر الأحمر طيلة فترة وجوده وتاريخه بهذا الاسم علماً أنه لم يكن في يوم من الأيام نهراً، أما كلمة «سوف» فتعني في القاموس الكلداني الهلاك، وهي من «سف سوفو» اي باد، فني، هلك، وفي محيط المحيط، ساف = هلك، واساف هلك، والسواف الموت والهلاك.

● رفيديم:

لقد فسرت الكلمة بمعنى «الرافدين»، وصارت في التزوير الاستشراقي والصهيوني تعني نهري الدجلة والفرات، ثم أطلقت الكلمة على العراق الحالية التي صار يطلق عليها اليوم إحدى التسميتين التوراتيتين: ما بين النهرين، وأرض الرافدين.

فلنتأمل معاً مثل هذه الجغرافيا الصهيونية: رفيديم هي في برية مدين حيث طور سينا وهي أرض العراق الحالية!

أما الحقيقة فهي أننا لو فتحنا القاموس الكلداني لوجدنا أن كلمة «رفيديم» تعني البياعين، الكيالين، وهي من «رفيدو» وتعني الميزان، القبان، ميزان الأشياء الثقيلة، وكان يقصد بهم جماعة من المديانيين على خط قوافل التجارة الدولي الذي يمر قرب العقيق، فيبيعون تلك القوافل احتياجاتها من الزاد والمؤن لسفراتها الطويلة، وقد اشتهروا بجشعهم واستغلالهم. ومن الكلمة

جاءت الرفادة والسقاية في الحج.

ثم إن أولئك الجماعة من المديانين هم أصحاب الأيكة من أهل مدين الذين ذكرهم القرآن الكريم، وأرسل الله لهم شعيباً ليهديهم وليضع حداً لجشعهم ولاستغلالهم لحاجات الآخرين.

«والى مدين أخاهم شعيباً، قال ياقوم اعبدوا الله، ما لكم من إله غيره، قد جاءتكم بينة من ربكم، فأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين»[55]، ﴿والى مدين أخاهم شعيباً، قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان، إني أراكم بخير، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾[56]، و﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين، إذ قال لهم شعيب ألا تتقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون، وما أسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين، أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾[57].

إن أولئك المديانيين البياعين (رفيديم) هم إذن في أرض مدين بن إبراهيم عند طرف جبل سعير حيث طور سينا (جبل العليق) عند وادي طوى قرب العقيق شرق غامد وزهران من شبه جزيرة العرب، ولم تعرف العراق تسمية «بلاد الرافدين» أو «ما بين النهرين» طيلة تاريخها، ولم تكن في يوم من الأيام كياناً منفصلاً منذ أن أسس سرجون أول دولة عربية في المنطقة منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ومروراً بالعهد البابلي والآشوري، وبعهد الملكة العربية زنوبيا، ثم بالدولة العربية الكبرى بمرحلتيها الأموية والعباسية وصولاً إلى عصر التجزئة الاستعمارية- عصر سايكس بيكو الاستعماري الحديث.

أما «طور سينا» و«الأردن» و«أرض كنعان» فقد سبق أن شرحناها في حلقات سابقة.

بعد هذا، وقبل أن نختتم حديثنا في هذه الحلقة، نود أن نلفت الأنظار إلى الحقائق الثابتة التالية:

1 - إن مسرح حركة تلك العشائر لم يكن ليتعدى تلك البقعة الضيقة من أعالي وادي الفرات (الثرات) على طرف البرية شرق غامد من شبه جزيرة العرب وفي الوقت الذي عاشت فيه وتحركت تلك العشائر كانت الدولتان العربيتان السورية البابلية ودولة وادي النيل الوحيدتين على سطح هذا الكوكب بالمفهوم الحقوقي والاقتصادي والاداري والسياسي والعسكري للدولة ، وقد بلغتا شأواً بعيداً في مضمار تقدمهما الحضاري حتى باتت إنجازاتهما في حقول الفلك والهندسة والطب والرياضيات والزراعة ، والري ، والعمارة ، والزخرفة ، والكتابة ، والملاحة ، والتعدين وغيرها مثار ذهول ودهشة العالم اليوم ، وأضحى ذلك كله أساس التمدن البشري الذي قامت عليه حضارة كل العصور اللاحقة .

2- إن عشائر بني إسرائيل موضوع البحث ، كانت أكثر العشائر البدوية العربية تخلفاً وأقلّها شأناً في المنطقة ، فلم تتخط مرحلة الرعي في البراري ، ولم تعرف مساكن غير الخيام أو المغاور حتى ما بعد عهد من دعتهم التوراة ملوكاً »[58] ، وإن هذه العشيرة كانت أكثر العشائر البدوية تخلفاً في تلك المنطقة ، حتى أنهم في زمن « الملك » شاول و« الملك » داود لم يكونوا يملكون أي نوع من الأسلحة التي يمتلكها غيرهم حتى من أبناء عمومتهم الاسماعيليين والمديانيين ، وكان المديانيون قد أتقنوا فن الحدادة وصناعة الأدوات حتى صاروا يدعون بـ « القينيين » أي الحدادين ، كما كانت عشيرة الفلسطينيين تجيد ذلك أيضاً . تقول التوراة : « فلما حان وقت الحرب لم يوجد سيف ولا رمح في أيدي جميع الشعب الذين مع شاول ويوناتان ما خلا شاول ويوناتان ابنه »[59] ، وحين خروجهم مع موسى وعطشوا وهم في البرية تقول التوراة إن زعماء بني إسرائيل حفروا بئراً بعصيهم وليس بأدوات أخرى[60] ، أما تلك الأرقام التي دونها كتبة أسفار التوراة بعد موسى بما ينوف عن ألف عام عن عدد بني إسرائيل فهي من صنع مخيلتهم ولا تمت إلى الواقع بأية صلة .
بعد أن تحدثنا عن « خروج » موسى بعشيرة بني إسرائيل من أرض عشيرة المصريين إلى أرض عشائر الكنعانيين ، وشرحنا بعض أهم مفردات تلك

الرحلة ، كان يفترض أن نتابع حركة تلك العشيرة بين منازل الكنعانيين بقيادة يشوع بعد موسى لولا أن استوقفتنا بعض المفردات الأخرى التي أخذت حيزاً كبيراً في عملية التزوير التاريخي والجغرافي للمنطقة العربية ، هذه المفردات المعنية هنا هي : قادش ، عردا ، صميرا ، حمتا ، وما قد يحيط بها من مفردات أخرى .

● « قادش » بين الحقيقة والتزوير :

ومن أجل أن تبقى الصورة جلية في ذهن القارىء ، غير مشوشة ، لابأس من أن نستعيد أسماء عشائر كنعان كما هي في مدونات التوراة تقول التوراة :
« وولد كنعان صيدون بكره ، وحثا ، واليبوسي ، والعموري ، والجرجاشي ، والحويّ ، والعرقي ، والصيني ، والعرادي ، والصماري ، والحمتي »[61] .
وقد صار معروفاً لدينا أن إبراهيم ، وكذلك ابنه اسحق من بعده ، كان يرعى في أرض بني حث الكنعاني ، وقد اشترى مغارة المكفيلة من عفرون الحثي الكنعاني ليدفن فيها امرأته سارة ، وذلك المرعى هو الذي كان يحلم به لأن يبقى مستقراً له ولنسله من بعده .
وحينما عاد موسى بعشيرة بني إسرائيل من أرض المصريين ، حيث كان فرعون قد أذلهم هناك واستعبدهم لأعماله ، وجاء يقصد الأرض التي كان قد عاش ورعى فيها إبراهيم وإسحق ويعقوب اصطدم ببعض أولاد كنعان واحداً بعد آخر وقد تحولوا هم بدورهم إلى عشائر . وليس من شك في أن جميع أولاد كنعان الذين اصطدم بهم موسى كانوا في الطريق إلى تلك البقعة التي هي أرض بني حث الكنعاني حيث كان يرعى إبراهيم من قبل ووعده بها الرب ، والدليل على ذلك أن موسى كان يطلب من زعماء تلك العشائر أن يأذنوا له ولجماعته بأن يمروا في تخومهم مجرد مرور « وبعث إسرائيل رسلاً إلى سيحون ملك العموريين قائلين : دعني أمر في أرضك ، ونحن لانميل إلى حقل ولا كرم ولا نشرب ماء بئر ، وإنما نسير في الطريق إلى أن نجوز تخمك »[62] ، « وسمع الكنعاني ملك عراد أن بني إسرائيل قد جاؤوا على طريق أتاريم فقاتلهم وسبى منهم سبيا »[63] ، إن الحلم بالعودة هو إذن ليس إلى

كل أرض الكنعانيين، بل إلى المرعى في أرض عشيرة بني حث الذي هو ثاني أولاد كنعان حيث كان إبراهيم وإسحق ويعقوب، وحيث ماتوا ودفنوا. نعود بعد هذا التوضيح إلى «قادش»[64].

تقول التوراة: «وأقبل بنو إسرائيل إلى برية صين فأقام الشعب بقادش»، إن قادش هي إذن في البرية التي ينزل بها «صين» ثامن أولاد كنعان كما هو ظاهر فيما ذكرنا أعلاه. «وأنفذ موسى رسلاً من قادش إلى ملك أدوم قائلاً: هكذا قال أخوك إسرائيل، قد علمت بجميع ما لنا من المشقة، وها نحن في مدينة قادش، في طرفي تخمك، دعنا نمر في أرضك»[65]، إن قادش هي، إذن، في تخم أدوم، وأدوم هو عيسو الذي هو أخو يعقوب (إسرائيل) ومن هنا كان الخطاب موجهاً إلى عشيرة أدوم بهذه الصيغة «هكذا قال أخوك إسرائيل» ولم يعد خافياً الآن أن جميع هذه التسميات كغيرها من معظم التسميات التوراتية ليست تسميات لمدن أو مناطق جغرافية بل هي تسمية لأشخاص أرباب أسر أو زعماء عشائر.

ولما لم يسمح لهم أدوم بالمرور «كلم الرب موسى وهرون في جبل هور عند تخم أدوم»[66]، «ثم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول أرض أدوم»[67]، إن ذلك يؤكد بمالا يبقي أي مجال للشك أن قادش وصين وأدوم وجبل هور وبحر القلزم إنما هي جميعاً في بقعة واحدة ضيقة تتحرك بها عشيرة ضئيلة بنسائها وأطفالها وشيوخها وأغنامها، وهي جميعاً والأرض التي ينزل بها عمورا الكنعاني وعردا شقيقه الكنعاني الآخر في بقعة واحدة تقاربت فيها منازل تلك العشائر.

فلنتأمل معاً الصورة التي أضحت عليها تلك «المسميات» العشائرية في التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني اليوم: عشيرة صين بن كنعان صارت نهر السن في سورية، وبحر القلزم صار البحر الأحمر، وأدوم عند البحر الأحمر، وقادش التي هي في برية صين صارت أطلال جبل النبي مند على العاصي جنوبي حمص، وعشيرة عردا الذي هو تاسع أولاد كنعان والذي هو على تخم أدوم، صار جزيرة أرواد السورية، وصميرا بن كنعان صار اليوم تل الكزل جنوب طرطوس، وحمتا بن كنعان صار مدينة حماه السورية!

● «قادش» والفتوحات المصرية المزعومة لسوريا :

يقول فيليب حتي نقلاً عن غيره حول «فتوحات» تحوتمس المزعومة في سوريا «واجتاح تحوتمس البلاد كلها بدون مقاومة كبرى ، ووصل الفرات الأعلى «بلاد الرافدين» (نهارين) ... وقد استلفت الفرات الذي يجري باتجاه معاكس لمجرى النيل أنظار المصريين كأمر غريب أما تحوتمس الثالث فقد قام بحملته الأولى ، واصطدم بحلف مؤلف من 350 أميراً كان الهكسوس الذين طردوا من مصر حديثاً يشكلون العمود الفقري لهذا الحلف الذي كان أمير قادش على العاصي رئيسه .. وفي خلال حملته الخامسة استولى على أرواد .. وقد استخدم فرعون في بيانه الحربي الرسمي الذي أعلن فيه سقوط هذه المدينة .. العبارات التالية : «انظر ! إن جلالته قهر مدينة أرواد وما فيها من قمح ، وقطع جميع أشجارها الجميلة . انظر ! لقد كان فيها محاصيل كل بلاد زاهي . لقد كانت جنائنهم ملأى بثمارها وخمورهم كانت في معاصرهم كالمياه الجارية ، وحبوبهم على الجلول كانت أكثر من رمال الساحل ، وقد غمر الجيش بالحصة التي نالها» .

«وقد أصاب «سميرا» جارة أرواد المصير نفسه ، أما قادش التي كانت مصدر الاضطراب الرئيسي فقد استولى عليها تحوتمس أخيراً ..

وقد وضع الكهان هذه الكلمات التالية على لسان الإله آمون حامي تحوتمس بشكل أغنية للنصر :

«لقد عبرت المنحنى العظيم لنهارين
في النصر والقوة اللذين منحتهما لك ..
لقد أتيت لأجعلك تدوس زعماء زاهي
إنني أطرحهم تحت قدميك في البلاد كلها»[68]

ثم لا ينسى فيليب حتي أن ينقل لنا عن غيره أيضاً أن زاهي كانت تطلق على فينيقيا وفلسطين[69] .

إن دراسة تاريخية ، جغرافية ، سكانية ، منطقية ، لغوية ، بيئية واقتصادية تجعلنا نضع اليد على الحقائق التالية :

1 - إن اسم « زاهي » لم تعرفه سوريا الطبيعية ، ولم يطلق على أي جزء منها عبر تاريخها الطويل كله ، وإطلاقه عليها كلاً أو جزءاً كان من جملة التخمينات الخاطئة الكثيرة التي افترضها المستشرقون الاستعماريون ثم لم يقف في وجهها أحد من الباحثين أو الدارسين العرب .
2 - إن مما يستلفت نظر القارىء لهذه النصوص هو غياب أي ذكر لأي من المدن التاريخية الكبرى في المنطقة والتي حافظت على بقائها منذ الألف الثالث قبل الميلاد على الأقل وحتى اليوم أمثال : صور ، دمشق ، حمص ، حماه ، طرطوس ، حلب وغيرها ، فهل كان يعقل أن يجتاح فاتح من وادي النيل كل هذه الأرض الممتدة إلى الفرات شمال سوريا دون أن نسمع بذكر أي من المدن أو المواقع الجغرافية الشهيرة في ذلك الزمن .. ثم تقتصر النصوص على بعض تسميات مبهمة يجهد الباحثون في افتراض أن تكون هي أطلال هذا التل المندثر أو ذاك دونما أي مستند آثاري يؤكد صحة أي منها ! وأكثر من هذا نقول : بل في الوقت الذي تدحض فيه كل المكتشفات الآثارية هذه الافتراضات جميعاً !
3 - ولو أننا عمدنا إلى دراسة هذه المسميات كلاً على حدة دراسة حقيقية لتبين لنا الآتي :

● **أرواد :**

إن التسمية كما عثر عليها في الأصل هي Ardata ، وقد أثبتها في هذه الصيغة جميع الباحثين ، ونقلها فيليب حتي كما هي هكذا[70] من الجزء الأول من كتابه نفسه ، وهي في النص السبعيني اليوناني للتوراة Ardatos أي « عردا » أو « عردة » ، فهل المقصود بها إذن « عردا » التوراتية مقرّ عشيرة « عردا » بن كنعان عند أعالي الفرات (الثرات) من أرض زهران في شبه جزيرة العرب ؟ نقول : بالتأكيد نعم .
إن التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني في تفسير جغرافيا الأحداث التوراتية هو الذي أحدث كل هذا الركام البشع من التلفيقات التي تتنافى مع أبسط فهم لعلم التاريخ والجغرافيا والمنطقة ، إنهم حينما جعلوا من عشيرة المصريين مصر وادي النيل ، ومن عشيرة الحثيين الكنعانية المجاورة شعباً

« هند وأوروبياً » مزعوماً على الفرات في شمال سوريا ، تحول بذلك كل صدام بين تينك العشيرتين إلى حرب بين دولتين إحداهما دولة مصر وادي النيل التي كان لقب حاكمها « الملك » ولم تعرف لقب « فرعون » لواحد من ملوكها عبر تاريخها الطويل كله ، وصاروا يفترضون أن فرعون عشيرة المصريين هو مرة تحوتمس وأخرى رعمسيس حسب ما يعتقدونه موازياً في الزمن لتلك الأحداث الدائرة بين ملوك العشائر على طريق القوافل التجاري الدولي شرق غامد وزهران من شبه جزيرة العرب ، والثانية « دولة الحثيين » المزعومة في شمال سوريا ، والتي دحض فرضية وجودها علم التاريخ والجغرافيا والآثار واللغات والمنطق وغيرها ..

ولقد كنا قد بينا في حلقات سابقة كيف أن ذلك الصراع المزعوم بين دولتين إنما كان بين ملوك وزعماء ووكلاء على المحطات في طريق القوافل ذاك ، وكما كان لدولة وادي النيل وكلاؤهما فقد كان للدولة السورية وكلاؤهما على تلك المدن المحطات ، يختارون من بين زعماء العشائر المحلية ، ويلقبون أنفسهم ، أحياناً ، بأسماء سادتهم من الملوك التابعين لهم ، ويزودون بكل أسباب القوة الكفيلة بتأدية مهامهم في حماية أمن القوافل من سطوات وغارات جماعات البدو الضاربين في برية العرب على تخوم ذلك الشريان الحيوي الضروري لاقتصاد العالم القديم ، والذين كانت تعاني منهم الدولتان الشيء الكثير مما كان يضطر إحداهما أو كلاهما إلى الإيعاز لملوك المحطات بتجريد حملات تأديبية ضد زعماء أولئك الأعراب ، وهذا ما وجد له انعكاساً في كثير من السجلات والوثائق المكتشفة في قصور بابل وآشور وفي مدينة أخناتون (تل العمارنة) . وكانت المهمة الثانية تأمين السلع الضرورية مما يجوز في ذلك الخط وجباية الأتاوات الباهظة من الذهب والفضة عن كل بضاعة تجوز عبر تلك المحطات . وكتابة التقارير الدورية إلى ملوك الدولتين .

وإن « عردا » التي نحن بصددها الآن ما تزال قائمة في أرض زهران على وادي عردة الذي ما زال قائماً على الخارطة حتى اليوم .

هذا من الناحيتين التاريخية والجغرافية ، أما من حيث المنطق ، فإن مما يثير العجب والسخرية معاً هو أن هذا الوصف المدون لهذه المدينة لم يستوقف

أحداً من الباحثين العرب عامة والسوريين خاصة الذين يفترض أنهم يعرفون جزيرة أرواد السورية . إن أرواد السورية هي جزيرة صخرية منذ أن وجدت ، يعيش أهلها على صناعة السفن والملاحة وصيد البحر ، ولم تكن في يوم من الأيام أرضاً زراعية ، ولم تكن ذات بساتين وأشجار جميلة ليقطعها فرعون ، وليدمر حقول القمح فيها وجنائنها الملأى بالثمار ، وليستولي على خمورها التي في معاصرها كالمياه الجارية ، وعلى حبوبها التي على الجلول (أي في الأراضي المزروعة المحددة والمتدرجة في الارتفاع) .

● صميرا :

إنها في الأصل عشيرة الصميري أو الصماري (لأن الكتابة كانت بدون صوتيات) الذي هو ابن كنعان المجاورة لعشيرة العرادي . وقد تصدى ملك هذه العشيرة -كما سبق أن رأينا- لمحاولة عشيرة الاسرائيليين المرور في تخمه من أجل أن يصلوا مقر إبراهيم في أرض عشيرة الحثيين أبناء كنعان في المنطقة نفسها .

ولما كان التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني قد طبق قسراً أسماء تلك العشائر على المدن والمواقع الآثارية التاريخية الكبرى في المنطقة الممتدة من الفرات إلى النيل تثبيتاً « لحق تاريخي » مزعوم ، وتمهيداً لتوسع صهيوني جديد في المنطقة ، فقد سارعوا إلى القول بأن أطلال « تل الكزل » الأثري جنوب مدينة طرطوس إنما هو « صميرا » التوراتية ، علماً أن مكتشفاته تعود إلى الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد ، وما تزال أعمال الحفر والاستكشاف جارية فيه حتى الساعة . والمفجع في الأمر هو أن البعض في مديرية الآثار السورية قد تلقف ما افترضه بعض المغرضين من بعثة الاستكشاف وأسرع في تحويله إلى حقيقة تاريخية مسلم بها ، عممت بسرعة « مثالية » على الكتاب الجامعي وعلى مؤسسات الإعلام في سوريا ، ولم يجشم هذا « البعض » نفسه مرة عناء التحري عن الجهة التي أقحمت هذه التسمية التوراتية على « تل الكزل » حتى قبل أن يتم استكشافه وما هو الأساس الذي اعتمدته ، وما هي الأغراض التي تكمن خلف مثل هذا التزوير ! علماً أن جميع علماء الآثار في العالم قد صاروا

مجمعين اليوم على أن جميع الأحداث التوراتية لاوجود لها آثارياً سواء في سوريا الطبيعية ككل أو في فلسطين، وأن مكتشفات «تل الكزل» ليس فيها أية إشارة إلى هذه الـ «سيميرا» التوراتية!

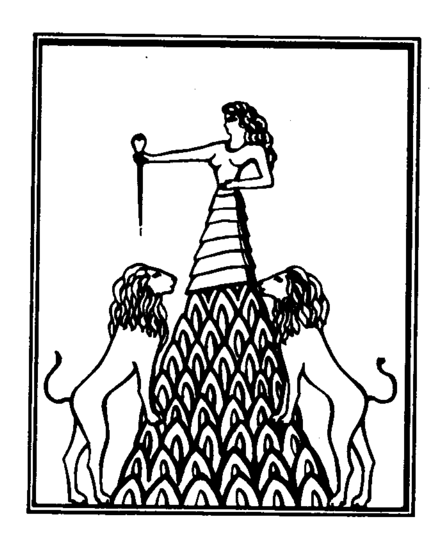
● نهارين:

لقد ترجمت الكلمة، كما رأينا في بداية النص، إلى «بلاد الرافدين» و«ما بين النهرين» و«أعالي الفرات»، في سطر واحد، كما ترجمت إلى «النهرين» و«الأنهار» في مواضع أخرى. ولم يجد المزورون أي مقابل لهذه الكلمة على الأرض العربية غير الدجلة والفرات رغم كل الارباكات الجغرافية والسكانية والتاريخية التي يحدثها مثل هذا التزوير. لقد وردت في النصوص التي أوردناها عبارة «المنحنى العظيم لنهارين» وليس هناك منحنى عظيم واحد لنهري الدجلة والفرات في شمال سوريا. إن العبارة تدل صراحة على الأنهار المنحدرة بقوة من الجبال. ويقول النص إنها في بلاد «زاهي» وإن أحد هذه الأنهار الذي هو الفرات هو نهر مقلوب بالنسبة للمصريين أي أنه يجري بعكس الاتجاه الذي يجري فيه نهرهم. فإذا كان المقصود بأولئك المصريين سكان وادي النيل فعلاً فإن نهر الفرات في الشمال السوري ليس هو النهر المقلوب تماماً بالنسبة لنهر النيل، وإن سكان مصر وادي النيل حينما يقدمون إلى سوريا سوف يجدون في طريقهم نهر الأردن كأول نهر مقلوب حقيقة بالنسبة لنهر النيل. والحقيقة كنا قد أوضحناها، وهي أن المقصود بالنهرين إنما هما نهر مصريم (المصريين) الذي ينحدر من الجبال في زهران إلى الغرب، ونهر الفرات (الثرات) الذي ينحدر منها إلى الشرق عبر برية العرب.
ثم إن بلاد «زاهي» افترضوا تعسفاً أن المقصود بها فينيقيا وفلسطين[71]، فكيف يمكن أن تضم إذن (نهارين) التي جعلوها الدجلة والفرات؟ إن بلاد زاهي هي زهران الحالية في أعالي الفرات (الثرات) في شبه جزيرة العرب، وهي مؤلفة من (ز ه) وتعني بالكلدانية الشمس، المشرق الساطع، و(رن) وتعني الشمس، الناظر، العين، الراني، البصير، فيكون معنى الكلمة بلاد الشمس المشرقة أو «شمس رنيا» و«شمس رنيا» كانت أكبر الأرباب في تلك

المنطقة ، وقد جعلت الشاهد الرئيسي على المعاهدة التي أبرمت ما بين فرعون المصريين وملك الحثيين الكنعانيين في المنطقة نفسها ، هذه المعاهدة التي عج كثيراً وضج حولها ونفخ فيها المستشرقون الاستعماريون الألمان ، وقد حولوها إلى معاهدة ما بين دولة مصر وادي النيل وما دعوه بـ « دولة الحثيين » المختلقة والمزعومة على الفرات في شمال سوريا ، وجعلوها « هندو أوربية » أي « آرية » ليتخذوا منها ذريعة تاريخية لاحتلال واستعمار المنطقة ، أضف إلى ذلك أن في منطقة زهران نفسها على الخارطة ما تزال حتى يومنا هذا مدينة رنيا وجبل رنيا ، ووادي رنيا الذي يلتقي بوادي الفرات (الثرات) ويشكلان قبيل التقائهما منطقة (ما بين النهرين) التوراتية ، حيث كانت « بابلون » الكلدان على نهر « كفار » (الكافر) التي هجرها إبراهيم هرباً من نمرود بن كوش بن كنعان إلى مركز عشيرته الآراميين في حران في عبر النهر ، ثم إلى أرض الحثيين الكنعانيين في زهران .

كانت هذه وقفة اعتراضية عند تلك المفردات التوراتية التي أخذت أمكنة بارزة في عملية التزوير الكبرى لتاريخنا العربي القديم ، سنتابع بعدها حديثنا عن تحرك عشيرة الاسرائيليين بين مضارب وقرى العشائر الكنعانية في غامد وزهران في أعالي الفرات (الثرات)من شبه جزيرة العرب .





الحلقة الثامنة

قصة يشوع ودخول أرض الكنعانيين

تقول التوراة :

«وكان بعد وفاة موسى عبد الرب أن الرب كلّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً : إن موسى عبدي قد مات ، والآن قم فاعبر هذا الأردن أنت وجميع هؤلاء الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لبني إسرائيل .. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين»[1] .

«ثم جزتم الأردن ، ووافيتم أريحا ، فحاربكم أهل أريحا ، والآموريون ، والكنعانيون ، والفرزيون ، والحثيون ، والجرجاشيون، والحويون ، واليبوسيون ، فأسلمتهم إلى أيديكم»[2] .

دخل يشوع بجماعته أريحا «وأبسلوا جميع ما في المدينة من رجل وامرأة وطفل وشيخ حتى البقر والغنم بحد السيف»[3] ، وهكذا فعل بالعي قرب أريحا ، ثم ضرب مقيدة وفعل بها مثلما فعل بأريحا والعي .

ثم ضرب الكنعانيين والآموريين والحثيين والفرزيين واليبوسيين الذين يسكنون الجبل على مياه ميروم[4] .

«وهذا من ضربه يشوع وبنو إسرائيل من ملوك الأرض في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الممتد إلى سعير ، وأعطى أرضه لأسباط إسرائيل إرثاً على حسب أقسامهم .. أراضي الحثيين والآموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين»[5] .

لنتوقف قليلاً عند هذه النصوص ، ولندرسها دراسة جغرافية وسكانية :

1 ـ نذكر القارىء الكريم بأن جميع هذه الأسماء التي تعددها هذه النصوص هي أسماء عشائر الكنعانيين ، تقول التوراة : «وولد كنعان صيدون بكره ، وحثاً ، واليبوسيين ، والآموريين ، والجرجاشيين ، والحويين ..»[6] .

2 ـ تؤكد هذه النصوص صراحة أن جميع هذه العشائر هي في غرب اليردن (المخاضات) . ولو أننا تجاوزنا كل الحقائق وأخذنا بالتفسير الصهيوني المزور الذي جعل من اليردن نهر الأردن فإن هذا يجعل هؤلاء الكنعانيين غرب الأردن ، والسؤال الآن موجه إلى مديرية الآثار السورية : ما دامت كل الآثار المكتشفة في سوريا الطبيعية كلها ومن ضمنها فلسطين لم تأت مرة

واحدة على ذكر الكنعانيين ، ولم تشر إلى أي وجود لهم ، وما دام هؤلاء الكنعانيون حتى في التفسير الصهيوني المزور ، هم غرب الأردن ، فكيف تعمم مديرية الآثار ما اصطلح عليه المستشرقون التوراتيون والصهاينة الذين جعلوا كل ما هو في سوريا القديمة كنعانياً ، ومن النيل إلى الفرات ، كي يتلاءم مع المخطط الاستعماري المتذرع دائماً بأن أرض كنعان هي « أرض الميعاد » المزعومة ! كيف تذعن مديرية الآثار لمثل هذا التزوير الفادح والآثار نفسها تدحضه وتنفيه ! كيف يجري طمس هوية الشعب العربي السوري صاحب هذه الأرض ومبدع هذه الحضارة منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد على الأقل لتحل محله تلك العشائر العربية الكنعانية التي لاذكر لها خارج مدونات التوراة في الوقت الذي يعترف فيه العرب والأجانب على السواء أن هذه التسمية لم تعرفها أية دولة أو جماعة في تاريخ سوريا القديم ، وأنها ، حسب تعبير موسكاتي ، مصطلح اتفق عليه العلماء وأخذوا به « ومن المستحسن أن يعالج في المستقبل تاريخ سوريا وفلسطين ، أو « سوريا » بمعناها الواسع ، وهو اصطلاح موفق أخذ به الجغرافيون على أنه موضوع واحد دون أية حدود صناعية .. وهنا لاحاجة به إلى إصطلاحات كلفظ الكنعانيين »[7] ، ويؤكد لنا الدكتور علي أبو عساف في كتابه « آثار الممالك القديمة في سوريا » قائلاً : « والواقع أن أياً من هذه الدول لم تصف نفسها بالكنعانية أو الآمورية »[8] ، وفي الوقت الذي وضع فيه سانخو نياتن كتابه « تاريخ فينيقيا » في تسعة أجزاء في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد أي في زمن موسى ولم يذكر فيه « كنعان » و« كنعانيين » ، وفي الوقت الذي نرى فيه هيرودوت يتحدث عن « السوريين » أو الفينيقيين ولم يورد ذكر « كنعان » مرة واحدة ، نجد مديرية الآثار تعمم الافتراضات الاستشراقية الاستعمارية والصهيونية الحديثة وحدها على الكتاب الجامعي ومؤسسات الإعلام والثقافة لتتحدث عن مدن كنعانية وحضارة كنعانية ، ولغة كنعانية وغيرها !

3- إن يشوع يقف على ضفة الأردن ، وينظر إلى الغرب عند أريحا ، فيرى الأرض أمامه من لبنان إلى نهر الفرات ! فتصوروا معنا هذه الجغرافيا الصهيونية : البقعة التي تمتد من لبنان إلى نهر الفرات تقع غربي نهر الأردن ،

وتحديداً عند أريحا ! إن مثل هذه « الشعوذة » الاستعمارية الصهيونية لم يستطع « هضمها » حتى أحد أركان الاستشراق الاستعماري والصهيوني وأشدهم تعصباً ضد العرب وحقداً على تاريخهم ، وهو المستشرق الاستعماري الانكليزي أو . ر . جارني الذي كان يعتبر أحد أدوات الاستعمار البريطاني الأساسية في المنطقة والذي لم يستطع إلا أن يتوقف عند هذه المسألة ، فكتب يقول « وهذا الأمر ليس له معنى ، فالبلاد بين لبنان والفرات لم تكن واقعة عبر الأردن بالنسبة للاسرائيليين »[9] ، غير أن نزعته الاستعمارية الصهيونية جعلته ، بدلاً من أن يرفض التفسير الصهيوني المزور لأحداث التوراة وجغرافيتها أو يشكك في صحته ويطلب إعادة النظر في هذا التفسير ، فقد لجأ إلى رفض النص التوراتي وأبقى على التفسير الصهيوني الاستعماري له نفسه حتى ولو لم يتوفر له أي نص آخر يستند عليه . تصوروا هذه « العلمية » و« الموضوعية » لدى أولئك المؤرخين الاستعماريين ! إنهم يتمسكون بالتفسير وينكرون النص ! فأي شيء يفسرون إذن ؟ ليس مهماً ، المهم أن يكتبوا لنا تاريخنا كما تمليه عليهم نزعاتهم الاستعمارية وأطماعهم .

أما كلمة « الأردن » فهي في الأصل « يردن » ، وهي جمع « يردا » وتعني المخاضة ، الساقية ، مجمع الماء ، البركة ، وصارت في التزوير نهر الأردن ، وكنا قد شرحناها في حلقة سابقة .

4 - أما « لبنان » فهي في النص السبعيني اليوناني للتوراة « ليفانوس » وتعني الصنوبر أو شجر الكندر ، وهي في العربية القديمة والحديثة « اللبان » ، وقد انتقلت الكلمة من اليونانية القديمة ، التي هي العربية الفينيقية ، إلى الفرنسية والروسية والإنكليزية ، وقد اكسبت مضموناً جغرافياً يطلق على جزء من سوريا ، وقد لاحظنا كيف استخدمت في النصوص الواردة أعلاه في عبارتي « جبل لبنان » و« بقعة لبنان » وتعني جبل الصنوبر أو بقعة الصنوبر . وكلمة « لِبَنَنْ » في العربية القديمة هي جمع « لبن » أي الصنوبر .

وقد انتشرت هذه التسمية في عدة أنحاء من بلاد العرب من اليمن جنوباً إلى منطقة غامد وزهران إلى ضواحي مكة حيث يوجد قرب مكة « لبنان » وهما جبلان لبان الأعلى ولبان الأسفل ، وكان يكتب في العربية القديمة بدون

صوتيات «لبن».

ثم إن قول التوراة «من البرية ولبنان هذا ..» يؤكد لنا التخصيص إذ لابد من وجود أكثر من جبل أو بقعة بهذا الاسم في المنطقة ذاتها. وتذكر لنا التوراة أن عشيرة «آشوريم» (الآشوريين) الذين هم أبناء ددان بن يقشان بن إبراهيم من زوجته قطورة كانت تسكن تلك البقعة الكثيرة الشجر والماء[10]، وفوق هذا كله فإن جبال لبنان السورية لاتقع غرب الأردن أبداً، مما يترك كل التفسيرات الاستعمارية والصهيونية هائمة فوق كل أرض المنطقة دونما جغرافيا!

5- أما «أريحا» التوراتية فهي «أورحا» وتعني الطريق أو الاستراحة أو المعبر، وليس المقصود بها مدينة «أريحا» في جنوب سوريا، المدينة العريقة التي تحدد عمر أسوارها بواسطة الكربون المشع بما ينوف عن تسعة آلاف سنة، فضلاً عن أن أريحا هذه ليست على نهر الأردن، ولا تمكن رؤيتها من ضفة الأردن، بينما نرى أن «أريحا» التوراتية هي على المخاضة مباشرة[11]، وهي في الصحراء[12] وهذا كله ينفي أن يكون المقصود بها أريحا السورية. وفضلاً عن ذلك كله فإنه ينبغي التمييز دائماً بين مفهوم كلمة «المدينة» عند جماعة بدائية تسكن المغاور والخيام كعشيرة بني إسرائيل حيث تطلق هذه الكلمة على المسكن سواء أكان في خيمة أو مغارة أو كوخ، وبين مفهومها لدى الزراعيين الذين يعيشون في جماعات كبيرة مستقرة، فيبنون ويشيدون المدن والأبراج والحصون والقلاع، ويخلفون لنا الآثار، وكلا المفهومين صحيح لغوياً، لكن على المؤرخ وحده يقع عبء تحديد الوسط البيئي والاجتماعي لهذه الجماعة أو تلك الذي من خلاله يتحدد مضمون هذه الكلمة «المدينة» وكلمات أخرى مثل «ملك»، وهذا ما سوف نذكره لاحقاً بشيء من التفصيل.

6- أما الجبل الأقرع (ويترجم أحياناً «الجبل الأملس») وسعير فقد أوردتهما التوراة كاسمين لحد واحد من جانب واحد في بقعة واحدة في قولها: «وهذا من ضربه يشوع وبنو إسرائيل من ملوك الأرض في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الممتد إلى سعير ..» وهما غرب الأردن

وكذلك الجبل الأقرع وسعير ، وتنحصر الأرض التي ضربها يشوع غرب الأردن بين بقعة لبنان والجبل الأقرع ، فكيف يستقيم الأمر إذن مع التزوير الاستعماري الصهيوني الذي جعل من لبنان هذا الجزء الكبير من سوريا ، ومن الأقرع جبل الأقرع شمال اللاذقية ، ومن جبل سعير جبل أدوم عند البحر الأحمر ! لقد كنا قد رأينا في حلقة سابقة كيف أكدت التوراة على أن جبل سعير هو جبل أدوم ، وأدوم هو عيسو أخو يعقوب ، ومسكنه عند برية صين قريباً من جبل حريب الذي هو طور سينا (جبل العليق) عند وادي طوى شمال العقيق وليس في جنوب صحراء سينا على حدود مصر كما صار في التزوير اليوم ، ومرة أخرى تأملوا معنا هذا الجغرافيا الصهيونية : الأرض التي ضربها يشوع غرب الأردن هي : من بعل جاد في بقعة لبنان (السوري) إلى الجبل الأقرع في شمال اللاذقية ، هذا الجبل الأقرع الذي يمتد إلى سعير عند البحر الأحمر على حدود مصر !

إن محنتنا نحن أبناء هذا الجيل ليست في هذه « الشعوذة » التاريخية والجغرافية الساقطة تلقائياً لو لم تتوفر لها الأرضية التي تقوم بها وعليها ، والتي تتمثل في الأساتذة العرب ، الذين ، في معظمهم ، عطلوا عقولهم أو أعاروها لأولئك « السادة » الاستعماريين القابعين خلف حدود الوطن العربي ، يصنعون لنا تاريخنا بما تمليه عليهم مصالحهم وأغراضهم ، ثم يتكفل البعض من أولئك السادة الأساتذة بنقله كما هو ، ودون أدنى حد من الشك أو التفكير ، إلى أجيالنا العربية المتعاقبة ، إن هذا التاريخ الذي يهيم فوق أرضنا العربية دون جغرافيا ليس له أرضية يقف عليها غير هذا البعض من « الأساتذة » الذين تحولوا إلى أدوات لنقل التزوير وترسيخه في أذهان الأجيال العربية على مدى هذا القرن الاستعماري الذي اسمه القرن العشرون من تاريخنا الحديث .

عشيرة بني إسرائيل بين الكنعانيين :

لم يعد خافياً اليوم أن هذه الجماعة التوراتية التي يطلق عليها « بنو إسرائيل » إنما هي عشيرة عربية بدوية ضئيلة متخلفة ، تعيش على رعي الغنم وتكافح من أجل الخروج من البرية ، حيث الجوع في المراعي ، إلى أرض عشيرة

الحثيين العربية الكنعانية في منطقة غامد حيث كان يرعى إبراهيم وإسحق ويعقوب، ولم يأذن لها أي من تلك العشائر بأن تجوز في مناطق رعيها، مما اضطرها إلى أن تسطو على بعض منازل الكنعانيين ومساكنهم فتقتل وتنهب منساقة بتوق زعمائها الشديد إلى الانتقال بهم من حياة الرعي المتنقل إلى الاستقرار في الأرض، بعد أن خبر موسى طعم حياة الاستقرار في كنف السيدة آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون عشيرة المصريين في منطقة زهران.

أما وضع تلك الجماعة السكاني في أرض الكنعانيين فإن في إمكاننا تحديد ملامحه من خلال الخطوط الرئيسية التالية:

1- إن جميع التسميات التوراتية ليست تسميات لمواقع جغرافية معتبرة أو لمدن عامرة كما نفهمها اليوم، وإنما هي، في معظمها، تسميات لأشخاص وأرباب أسر أو خيام أو مغاور أو مراع للأغنام، فبعد أن ضرب يشوع وجماعته مساكن بعض الكنعانيين التي دعتها التوراة مدناً لم يسكنوا تلك «المدن» بل ظلوا يسكنون الخيام، تقول التوراة: «والآن فقد أراح الرب إلهكم إخوتكم كما وعدهم، فانصرفوا الآن واذهبوا إلى خيامكم وأرض ملككم.. وباركهم يشوع وصرفهم فانطلقوا إلى خيامهم»[13].

2- بعد أن تم الاستيلاء على بعض مراعي الكنعانيين ومساكنهم وقسمها يشوع على عشائر بني إسرائيل كانت الحدود هي حدود مراع للأشخاص أو العشائر، مثال على ذلك: «والجنوب لافرائيم وحدّهما ينتهي إلى أشير شمالاً وإلى يساكر شرقاً»[14] ومن المعروف أن أشير ويساكر هما اثنان من أولاد يعقوب الإثني عشر.

3- أما تفصيلات تلك الحدود فهي «ميكروسكوبية» وآنية، مثل شجرة البطم أو البلوطة أو غيرها: «وخرجت القرعة السادسة لبني نفتالي بحسب عشائرهم، فكان تخمهم من البلوطة عند صعننيم..»[15].

4- أما مكان اجتماع العشيرة فكان في «شيلو» وقد بقيت هذه الكلمة كما هي في النقل إلى جميع اللغات دون ترجمة مما أكسبها صفة العلمية، والحقيقة هي أننا لو فتحنا القاموس الكلداني لوجدنا أن «شيلو» تعني المغارة.

5- لقد ضرب الاسرائيليون بقيادة يشوع بعض مساكن الكنعانيين ونهبوها،

وهذا هو كل ما أنجزوه على الأرض ، ثم ما ان مات يشوع حتى تعود التوراة لتؤكد لنا أنهم استعبدوا لجميع العشائر العربية الأخرى في تلك المنطقة ، ومن بينها عشيرة العموريين الكنعانيين وعشيرة الفلسطينيين ، وعشيرة المديانيين الذين هم من أبناء عمومتهم من أولاد إبراهيم .

تقول التوراة : « واشتد غضب الرب على إسرائيل وباعهم إلى يدكوشان رشعتائيم ملك آرام النهرين ، وتعبّد بنو إسرائيل لكوشان ثماني سنين »[16] ، وكنا قد أوضحنا في حلقات سابقة كيف أن المقصود بآرام النهرين عشائر الآراميين على نهري رنيا والفرات شرق غامد ، وليس الدجلة والفرات كما هي الحال في التزوير السائد اليوم . « وتعبّد بنو إسرائيل لعجلون ملك مو آب ثماني عشرة سنة »[17] و« صنع بنو إسرائيل الشرفي عيني الرب فدفعهم الرب إلى أيدي مدين سبع سنين .. فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين »[18] ، « واشتد غضب الرب على إسرائيل فباعهم إلى أيدي الفلسطينيين وإلى أيدي بني عمون ، فظلموا بني إسرائيل وداسوهم منذ تلك السنة إلى ثماني عشرة سنة جميع بني إسرائيل الذين كانوا في عبر الأردن في أرض العموريين »[19] .

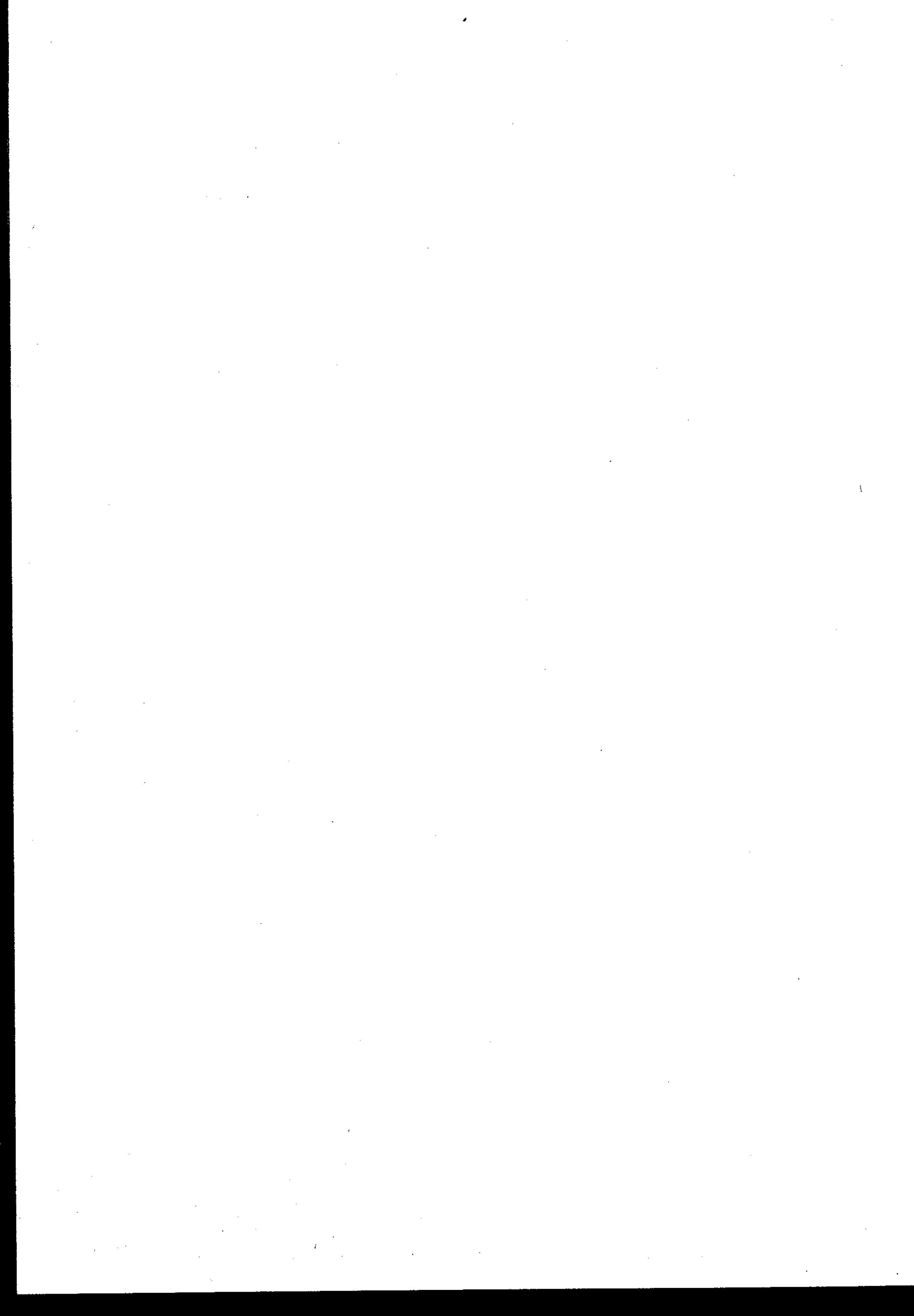
تلكم ، إذن ، هي حقيقة أوضاع عشيرة بني إسرائيل التاريخية والجغرافية في أرض كنعان ، وعبثاً يحاول الصهاينة اليوم أن يجعلوا من تلك الأحد اث البدوية الأسرية والعشائرية الهامشية أحداثاً تاريخية كبرى في زمن كان فيه حديث الملكة العربية السورية سميراميس يطبق الآفاق ، وتفخر بأنها بذت أسلافها من الأقيال العرب السوريين العظام إذ جمعت في قبضتها كل الأرض الواقعة وسط البحار الأربعة من البحر الأعلى (الأسود) إلى البحر الأدنى (بحر العرب) ، كما أنه صار من العبث إقناع العالم بأن غرب اليردن (المخاضات) تعني غرب نهر الأردن ، وأن غرب نهر الأردن يعني من لبنان إلى الفرات . ولابد من أن ننبه هنا إلى أن ذلك الزمن ، زمن موسى ويشوع ، لم يعرف ذلك الشيء الذي دعي فيما بعد بـ « اليهودية » وأن كل ما فعله موسى هو أنه جاهد جهاداً دؤوباً في تلك العشيرة من أجل إقناعهم بالعدول عن عبادة البعل وعشتار إلى عبادة الرب الواحد ، رب إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب ،

ووعدهم بإرجاعهم إلى الأرض الطيبة بين عشيرة الحثيين الكنعانيين ، فيسكنون ويستقرون مثل بقية عشائر الكنعانيين والمصريين الذين نشأ موسى وتربى بين ظهرانيهم وعرف حلاوة الاستقرار بالمقارنة مع التنقل وشظف العيش في البراري . لكن موسى مات قبل أن يتمكن من تحقيق شيء ، ثم حاول يشوع أن يؤمن لهم الدخول بالقوة إلى أرض الكنعانيين ، وطلب منهم أن يعاهدوه بألا يعبدوا غير الرب الواحد رب إبراهيم « فقالوا نحن شهود .. فقطع يشوع للشعب عهداً في ذلك اليوم ، وجعل لهم رسماً وحكماً في شكيم ، وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله ، وأخذ حجراً كبيراً وأقامه هناك تحت البلوطة عند مقدس الرب »[20] .

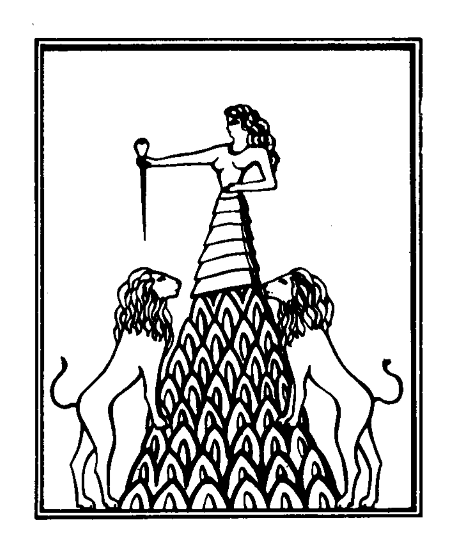
لكنه ما أن مات يشوع حتى « نشأ جيل آخر لايعرف الرب .. ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب على إسرائيل ، فدفعهم إلى أيدي المنتهبين فانتهبوهم ، وباعهم إلى أيدي أعدائهم الذين حولهم ، ولم يقدروا بعد أن يثبتوا في وجوه أعدائهم .. فأقام الرب عليهم قضاة ليخلصوهم من أيدي المنتهبين ، ولقضاتهم أيضاً لم يسمعوا ، بل فجروا باقتفائهم آلهة أخرى وسجدوا لها ، ولم يلبثوا أن حادوا عن الطريق التي سلكها آباؤهم على طاعة وصايا الرب ، ولم يفعلوا مثلهم[21] .

ثم انتهى زمن القضاة ، وجاء زمن من دعتهم التوراة « ملوكاً » . فما هي حقيقة أولئك « الملوك » ؟ وهل أقام بنو إسرائيل حقاً « مملكة » أو « دولة » في جنوب سوريا أو في أي مكان آخر من الأرض العربية ؟

هذا ما سنجيب عنه في بحثنا للحلقة القادمة .

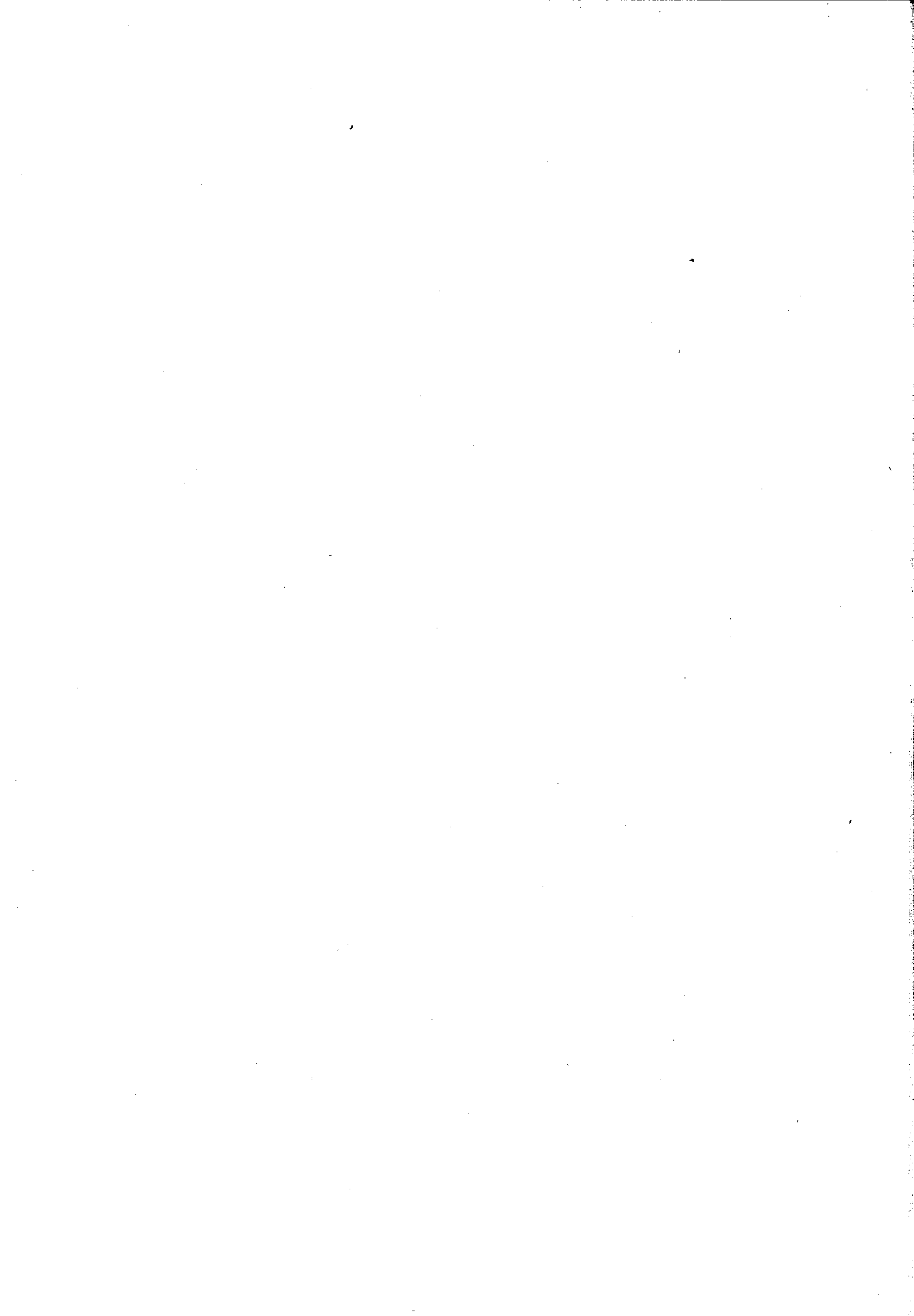






الحلقة التاسعة

عشيرة بني اسرائيل و«الدولة» المزعومة في التاريخ القديم



لأن مقولة «الدولة العبرية» في تاريخنا القديم، أو ما يدعونه أحياناً بـ «مملكة داود وسليمان» قد أخذت حيزاً كبيراً في عملية التزوير الكبرى التي أخضع لها تاريخنا، واستخدمت، وما تزال تستخدم اليوم، ذريعة استعمارية صهيونية من أجل تهجير اليهود من شتى الأعراق والأجناس في هذا العالم إلى الأرض العربية «لتجسيد» هذه البدعة الصهيونية الوهم، فإننا، ومنذ هذه اللحظة، سوف نؤكد كذب هذه المقولة وبطلانها تاريخياً وجغرافياً، منطقياً ووثائقياً، سكانياً وآثارياً، آملين، بعد ذلك، من القائمين على المؤسسات الثقافية والإعلامية، العلمية والتعليمية في سوريا أن تضطلع بدورها الحقيقي من أجل إزاحة كابوس هذا الجهل المريع، الذي ينيخ بثقل القرن العشرين كله على صدر وعقل وذاكرة الأمة من المحيط إلى الخليج في كل مؤسساتها، ويحول دون نهوض حقيقي في العقل الشبابي العربي الجديد.

المفهوم اللغوي والسكاني لكلمة «ملك» في التوراة

ثمة مجموعة كبيرة من الكلمات في اللغة ذات الطابع السكاني والاجتماعي بدأت بمدلولات ومضامين معينة، ثم أخذت تتسع أفقياً وعمقاً مع تقدم هذه الجماعة أو تلك في هذه المرحلة التاريخية أو تلك من مرحلة أدنى إلى مرحلة أعلى في مضمار التطور الاجتماعي، وأبرز مثالين على ذلك كلمة «مدينة» وكلمة «ملك».

فكلمة «مدينة» جاءت من الفعل «مَدَن» أي أقام في المكان واستقر، واجتماعياً تعني ترك حياة التنقل إلى الاستقرار، من الرعي البدوي المتنقل إلى تربية الحيوان والزراعة المستقرة، سواء أكان هذا الاستقرار في كهف أو مغارة، أو خيمة، أو كوخ، أو مجموعة منها، وهي وكلمة «قرية» متساويتان في المدلول اللغوي والمضمون الاجتماعي إذ أن «قرية» هي من فعل «قر» أي أقام واستقر، ولقد استخدم القرآن الكريمة «القرية» و«المدينة» لمسمى واحد مؤكداً وحدتهما في المضمون اللغوي والاجتماعي عند الحديث عن قرية لوط[1].

أما كلمة «ملك» فهي من الفعل «مَلَك» أي احتوى عليه وصار قادراً عل

التصرف به والاستبداد به، ومن هنا فقد كانت الكلمة في المجتمعات العشائرية البدائية تطلق على رب الأسرة، أو الخيمة، أو المغارة، أو العشيرة، أو قطعة الأرض أو المرعى، كما صارت تطلق فيما بعد، وفي المجتمعات المتقدمة التي انتقلت من مرحلة المدينة الزراعية المستقرة إلى مرحلة بناء الدولة بمفهومها الحقوقي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، على سيد هذه الدولة. وإن على العالم باللغة أو بالتاريخ أو بعلم المجتمع أن يحدد مضمون هذه الكلمة من خلال تحديد المرحلة التاريخية التي تمر بها هذه الجماعة البشرية أو تلك، وألا يخلط بين مضامين الكلمة الواحدة بين مراحل تاريخية مختلفة، لأن في ذلك ضرباً من ضروب التزوير للحقيقة التاريخية لهذه الجماعة أو تلك أو لهذا الشعب أو ذاك. وفي ضوء مثل هذا النهج العلمي الدقيق وحده علينا أن ننظر إلى مضمون كلمة «ملك» عند تلك العشائر العربية البدوية السارحة في برية العرب، ومن بينها عشيرة بني إسرائيل، في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، ونميز بينها وبين المضمون الاجتماعي والسياسي الذي بلغته الكلمة في الدولتين العربيتين الكبريين السورية البابلية ودولة وادي النيل.

فما هي حدود مضمون كلمة «ملك» التوراتية»؟

1 - مفهوم كلمة «ملك» زمن إبراهيم:

تقول التوراة:

«وفي السنة الرابعة عشرة أقبل كدر لاعومر والملوك الذين معه فضربوا الرفائيين في عشتاروت قرنيم، والزوزيين في هام، والأيميين في شوى قريتائيم، والحوريين في جبلهم سعير إلى سهل فاران الذي عند البرية، ثم رجعوا وجاؤوا إلى عين مشفاط وهي قادش فضربوا كل أرض العمالقة وأيضاً الآموريين المقيمين في حصاصون تامار، فخرج ملك سدوم، وملك عمورة وملك أدمة، وملك صبوئيم، وملك بالع وهي صوعر، فصافوهم للحرب في غور السديم مع كدر لاعومر ملك عيلام وأمرافال ملك شنعار، وأريوك ملك

الأسار ، أربعة ملوك مع الخمسة ، وفي غور السديم آبار حمر كثيرة ، فانهزم ملكا سدوم وعمورة ، فسقطا هناك ، والباقون هربوا إلى الجبل ، فغنموا جميعاً أموال سدوم وعمورة ، وجميع ميرتهم ومضوا ، وأخذوا لوطاً ابن أخي إبرام وماله ، ومضوا .. فجاء من أفلت وأخبر إبرام وهو مقيم عند بلوطات ممرا الآموري أي أشكول وعايز وهما حلفاء إبرام ، فلما سمع إبرام أن أخاه قد أسر ، جرد حشمه المولودين في بيته .. وجدّ في إثرهم إلى دان ، وتفرق عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم واتبعهم إلى حوبة التي عن يسار دمشق ، فاسترجع جميع المال ولوطا أخاه وماله وزدهما والنساء وسائر القوم .. وقال ملك سدوم لإبرام أعطني النفوس ، والمال خذه لك . فقال إبرام لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماوات والأرض ، ولا أخذت خيطاً ولا شراك نعل من جميع مالك لئلا تقول أنا أغنيت إبرام ، ما خلا ما أكله الغلمان ونصيب القوم الذين مضوا معي عايز وأشكول وممرا فإنهم يأخذون نصيبهم »[2] .

إن مضمون النص واضح : مجموعة من « الملوك » البدو الرعاة يغزون مضارب رعاة آخرين ، فينهبون مواشيهم ومقتنياتهم ، ويأخذون نساءهم ويفرون ، فيأتي « إبرام » ويجمع رعاته وثلاثة رجال من عشيرة « عمورا » الكنعاني وهما عايز وأشكول وممرا وقد كان يرعى بينهم . ويلحق بأولئك « الملوك » إلى عند « دمشق » ، فينتزع منهم ما سلبوه ويهزمهم ويعود إلى خيمته تحت بلوطات ممرا في أرض عشيرة العموريين الكنعانيين .

إن كلمة « ملك » هنا ليست بحاجة إلى إيضاح ، فكل من تملك أو تحكم باثنين أو أكثر فهو ملك ، وكل من تزعم بيته في خيمة فهو ملك ، وإلا فكيف يصح أن إبرام الشيخ وجملة من رعاته يطارد « جملة من الملوك » فيهزمهم وينتزع منهم ما سلبوه في مثل تلك السهولة !

ولو نظرنا إلى مفردات هذا النص وكيف تحولت في التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني وفي كتب التاريخ المتداولة اليوم لأصابنا الدوار : إن الآموريين صارت تعني في التزوير سكان سوريا والعراق ، وإن سدوم وعمورة صارتا عند البحر الميت ، وإن صوعر ، التي هي المغارة التي لجأ إليها لوط أولاً عند انقلاب سدوم ثم غادرها إلى مغارة أخرى أعلى منها في

الجبل نفسه[3] ، صارت قرية عند البحر الميت ، وعيلام صارت عربستان بين العراق وإيران ، وشنعار في جنوب العراق ، ودمشق صارت دمشق المدينة التاريخية الشهيرة ! أما قادش التي يقول النص إنها عين مشفاط فقد تحولت إلى أطلال جبل النبي مندو جنوبي حمص على العاصي ، والحوريون الذين هم في جبل سعير صاروا دولة « هندو أوروبية » في شمال سوريا !
ولما كنا قد شرحنا جميع هذه المفردات في حلقات سابقة ، فإننا سوف نتوقف هنا عند « دمشق » فقط .

● « دمشق » التوراتية :

إن الكلمة في النص السبعيني اليوناني الذي هو أول نص للتوراة هي : « دومشكو » وتعني حرفياً صاحب الخراج أو الجزية ، والمقصود به الوكيل الآرامي على محطته في طريق القوافل التجاري الدولي في أعالي الفرات (الثرات) شرق غامد وزهران ، وقد اشتكى منه كثيراً وكيل دولة وادي النيل ، وتحالف عدة مرات مع عشيرة الحثيين الكنعانيين وعشيرة آشوريم (الآشوريين) أبناء ددان بن يقشان بن إبراهيم وضرب عشيرة الإسرائيليين في المنطقة نفسها في محاولات كثيرة من أجل السيطرة على تلك المحطات والاستبداد بدخول كل البضائع التي تجوز فيها وبالأتاوات التي تفرض على كل بضاعة تجوز
ولو فتحنا القاموس الكلداني لوجدنا أن « دو » تعني رب ، صاحب ، وهي « ذو » في العربية اليوم ، و« مشكو » تعني الجزية ، الخراج ، العشر ، أما « دي » فتعني ربة ، صاحبة ، ومنها كانت الكلمة العربية القديمة التي سبق شرحها في حلقة سابقة « دوميترا » = الرب المخصب ، المكثر ، و« دي ميترا » = الربة المخصبة ، المكثرة ، وهذا هو بالضبط ما يفسر ورود الكلمة في الرسائل التي كان يبعث بها إلى أخناتون ملك وادي النيل وكيله على تلك المحطات مرة بصيغة « دومشكا » وأخرى « دي مشكا »[4] ، أي صاحب الخراج أو صاحبة الخراج حسبما يكون الوكيل على تلك المحطة الآرامية رجلاً أو امرأة . ومن « ذو » جاءت الكلمة الفرنسية Dieu = رب ، إله .

أما « دمشق » المدينة التاريخية العريقة فقد كان اسمها في تلك العصور القديمة « دومشتا » أو دمستا وتعني القبة ، الدار ، القصر ، الهيكل ، وقد كان فيها أشهر قبة أو هيكل للرب السوري « حدد » الذي ما تزال أعمدته ظاهرة حتى اليوم في سور ومداخل الجامع الأموي فيها ، وقد سميت المدينة باسمه . وإن « الديماس » القرية المجاورة لدمشق تعني أيضاً القصر ، الدار ، البناء (انظر « دومشتا » و« ديماس » في القاموس الكلداني) .

ومن المعروف أن التوراة وضعت لأول مرة باليونانية في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد زمن بطليموس ، ولما كانت قد وردت كلمة « دومشكو » (صاحب الخراج) الآرامية في منطقة الآراميين على وادي الفرات (الثرات) شرق غامد وزهران في عدة مواقع من التوراة ، ثم ترجمت في العصر الروماني إلى السريانية ولغات أخرى ، فقد جرى الخلط بين « دومشكو » المحطة الآرامية على طريق القوافل في شبه جزيرة العرب وبين « دومشتا » المدينة التاريخية العريقة (دمشق الحالية) كما جرى الخلط بين « بابلون » المحطة الكلدانية في المنطقة نفسها وبين بابل عاصمة الدولة السورية القديمة ، وصارت « دومشتا » طيلة العصر البيزنطي تسمى « دومشكوس » التي حلت كتسمية محل الاسم « دومشتا » القديم قدم هذه المدينة التي تعود إلى عدة آلاف من السنين قبل الميلاد ، ثم أعمل العرب إبدالهم الشائع بين الكاف والقاف وألغوا النهاية اليونانية فصارت دمشق ، والحقيقة هي أن « دومشتا » هي التسمية الأصل و« دومشكو » هي اسم محطة عربية آرامية في شرق غامد وزهران ، فكلا التسميتين عربيتان ، أحل البيزنطيون إحداهما محل الأخرى ، وهذا كل ما في الأمر .

أما من الناحية المنطقية ، فلو أننا عدنا إلى أية فقرة من فقرات ذلك النص التوراتي ، ولتكن الفقرة التي تتحدث عن مطاردة إبرام لأولئك « الملوك » ، لوقفنا أمام اللوحة التالية : إن راعياً هو إبرام ، يرعى مواشيه في بقعة ما من أرض فلسطين - كما هي الحال في التزوير الصهيوني اليوم - أو عند البحر الميت ، يطارد مجموعة من « الملوك » الغزاة إلى قرب دمشق ، فيهزمهم ، وينتزع منهم ما سلبوه ، ثم يحمل هذه الأسلاب ويعود بها إلى خيمته تحت بلوطات ممرا

في فلسطين! كيف نصف مثل هذه «الشعوذة» في المنطق والتاريخ والجغرافيا؟ إن في إمكان أي منا أن يتصور مثل هذه المطاردة بين طرفين حتى في ضاحية من ضواحي دمشق أو بين قرية وقرية مجاورة، إذ يكفي لطرف منهما أن يغير طريقه، أو يعوج شمالاً أو يميناً، أو في دغل، أو كهف، أو واد، أو أجمة لينتهي مثل ذلك الطراد. علماً أن من يركض على قدميه ما بين فلسطين ودمشق سوف يجد نفسه مضطراً لأن يقضي كثيراً من الليالي والأسابيع في النوم والاستراحة. فكيف يمكن أن يبقى أولئك المطاردون الفارون قدامه وأمام عينيه، ينامون حيث ينام، ويستريحون حيث يستريح في الليل والنهار!

2- مفهوم كلمة «ملك» بين الاسرائيليين أنفسهم:

ذكرنا في الحلقة السابقة كيف أن عشيرة بني إسرائيل حاولت بقيادة يشوع الوصول إلى الأرض المرعى التي كان يرعى بها إبراهيم وإسحق ويعقوب وهي الأرض التي وعد بها الرب إبراهيم بين عشائر الكنعانيين في جبل غامد ما بين نهر عشيرة المصريين ونهر الفرات اللذين ينبعان من بقعة واحدة، فيتجه أحدهما غرباً والآخر شرقاً، وتمكنوا من أن يضربوا بعض مساكن تلك العشائر هناك، ثم ما لبثوا أن استعبدوا، بعد يشوع، لجميع تلك العشائر، وارتدوا إلى عبادة البعل وعشتار، وتفرقت كلمتهم، ثم استعبدهم المديانيون، وهم أبناء مدين بن إبراهيم من زوجته قطورة، وأذلوهم، فأحسوا مرة أخرى بحاجة ماسة، إلى شخص ما، تتوفر فيه بعض الصفات التي تؤهله لأن يملك عليهم أمرهم، ويقودهم، ويجعل لهم شأناً مثل بقية العشائر المتناثرة من حولهم، فكان يربعل الذي لقب بـ «جدعون»، وابنه أبيمالك أول من أضفوا عليه هذا اللقب «ملك» في عشيرة بني إسرائيل في زمن القضاة.

تقول التوراة: «وصنع بنو إسرائيل الشر في عيني الرب، فدفعهم الرب إلى أيدي مدين سبع سنين، وقويت أيدي مدين على إسرائيل فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم المغاور التي في الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين»[5].

«فذل إسرائيل جداً أمام مدين، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب»[6]، «وجاء

ملاك الرب وجلس تحت البطمة التي في عفرة »[7] . وقال لجدعون : « أنا أكون معك وستضرب مدين كرجل واحد »[8] ، « فأخذ جدعون ثلاثماية رجل وكانت محلة مدين دونهم في الوادي »[9] ، « وذل مدين أمام بني إسرائيل ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم .. وصار لجدعون سبعون ابناً خرجوا من صلبه لأنه تزوج نساء كثيرة ، وولدت له أيضاً سريته التي في شكيم ابناً وسماه أبيمالك »[10] ، « فانطلق أبيمالك بن يربعل إلى شكيم إلى أخواله ، وكلمهم وجميع عشيرة بيت أبي أمه قائلاً : تكلموا على مسامع جميع أهل شكيم أن أي الأمرين خير لكم : أن يتسلط عليكم سبعون رجلا ، جميع بني يربعل ، أم يتسلط عليكم رجل واحد ؟ واذكروا أني أنا عظمكم ولحمكم ، فتكلم أخواله عنه على مسامع كل أهل شكيم بجميع هذا الكلام ، فمالت قلوبهم نحو أبيمالك لأنهم قالوا إنه أخونا ، وأعطوه سبعين من الفضة من بيت بعل بريت ، فاستأجر بها أبيمالك رجالاً بطالين أشقياء فتبعوه ، فجاء بيت أبيه في عفرة ، وقتل إخوته بني أبيه يربعل سبعين رجلاً على صخرة واحدة ، وبقي يوتام أصغر بين يربعل لأنه اختبأ ، واجتمع كل أهل شكيم وجميع بيت ملو ، ومضوا فأقاموا أبيمالك عليهم ملكاً عند شجرة البلوط التي في شكيم »[11] .

وهل تحتاج هذه النصوص التوراتية إلى دراسة ! إن أية نظرة بسيطة وعادية يلقيها أي إنسان عليها سوف يضع اليد على الحقيقة العشائرية ، بل والأسرية ، البدوية الضيقة . وإن أحداثها هي من الهامشية والتفاهة بمكان يجعلها خارج أي حدث يمكن أن نطلق عليه اسم « التاريخي » ، ولو كان على علم التاريخ أن يهتم بتقصي وتتبع سلوك وتصرف كل فرد أو رب أسرة من أولئك البدو الرعاة ضمن عشائرهم ومراعيهم لبطل كونه علماً ، إذ هي أحداث يومية هامشية تافهة لاأثر لها على مجرى الأحداث التاريخية في خطوطها العريضة الحضارية الكبرى والتي كانت تقود مسيرتها في ذلك الزمن دولتان عربيتان كبريان هما الدولة العربية السورية البابلية ودولة مصر وادي النيل .

ذلكم كان أبيمالك بن جدعون أول « ملك » في عشيرة بني إسرائيل ، فهل كان واقع تلك العشيرة ومن جاء بعده مباشرة من « الملوك » وهما شاول وداود ، مختلفا حقاً ؟

لقد رأينا كيف فشلت عشيرة بني إسرائيل (يعقوب) في تحقيق الحلم الذي كان يمنيّها به زعماؤها باسم الرب ، وهو الوصول إلى الأرض المرعى ، حيث كان يرعى إبراهيم وإسحق ويعقوب في أرض بني حث وعمورا الكنعانيين عند أعالي الفرات (الثرات) من منطقة زهران في شبه جزيرة العرب ، إذ كانت العشائر الأخرى ، سواء من بين المستقرين كعشائر الكنعانيين والفلسطينيين ، أو من أنصاف المستقرين من أبناء إبراهيم الآخرين كالاسماعيليين والمديانيين والآشوريين أبناء آشور بن ددان بن يقشان بن إبراهيم تحول دون حدوث مثل هذا العبور الجماعي لعشيرة رعوية متنقلة ، سواء في المراعي أو عبر الأراضي المزروعة . ولقد ولد ذلك في عقلية تلك الجماعة البدوية المتخلفة تناقضاً حاداً بين ما جرى تلقينها إياه في صيغة « وعد الرب » من جهة ، وبين استحالة إنجاز ذلك « الوعد » عملياً على الأرض من جهة أخرى ، مما وجد له انعكاسات حادة على واقع تلك العشيرة الذهني والنفسي والحياتي سرعان ما تمحور في اتجاهين : الاتجاه الأول ويمثله بعض الأفراد أو الكهنة من عشيرة لاوي الذين حرصوا على التمسك بوصايا موسى وبعبادة الرب الواحد ، وأخذوا يعزون كل تلك الاخفاقات التي منيت بها الجماعة إلى انحرافها عن طريق الرب واتباع عبادة البعل وعشتار ، والاتجاه الثاني ، وتمثله غالبية تلك العشيرة ، ويبرز في النزعة إلى الانضواء تحت زعامة واحدة قوية تقود العشيرة في عمليات للغزو والسطو والنهب ، ثم تجد من خلال ذلك مكاناً لها ، واعترافاً من بقية العشائر العربية الأخرى المنتشرة أو السارحة في تلك البقعة عند خط القوافل ما بين أطراف برية العرب وسفوح جبال غامد وزهران ، وهكذا بدأت تلك العشيرة الزمن الذي دعي في التوراة بزمن الملوك .

« الملك » شاول و« الملك » داود في التوراة :

تحدثنا التوراة كيف أن بني إسرائيل أخذوا يطالبون الكاهن صموئيل بأن يجعل عليهم ملكاً كسائر العشائر في تلك المنطقة.وليس عسيراً علينا أن نستشف كيف كان الكاهن ، وهو الممثل للتمحور الآخر ، يخبىء شعوراً بالخوف من أن انتصار مثلَ هذا التوجه الجديد سوف يكون على حساب نفوذه الروحي

الذي يهيمن من خلاله على العشيرة، فأخذ يحذرهم من تبعة ذلك قائلاً لهم: إن الملك سوف «يأخذ عبيدكم وإماءكم، وشبانكم الحسان، وحميركم، ويستعملهم في شغله ويعشر ماشيتكم وأنتم تكونون له عبيداً»[12]، ولما لم يُجْدِ كلامه لهم نفعاً «سمع صموئيل كلام جميع الشعب، وتكلم به على مسامع الرب، فقال الرب لصموئيل» اسمع لصوتهم، ووَلِّ عليهم ملكاً»[13].

وبينما كان شاول بن قيس، وهو من سبط بنيامين، يبحث عن أتن (حمير) أبيه الضائعة في البرية مع واحد من الغلمان ثم لم يجداها قررا الذهاب إلى صموئيل الكاهن عله يدلهما عليها. وما أن رأى صموئيل شاول حتى أعجب بطوله «وأخذ قارورة من الدهن وصب على رأسه وقبله وقال: إن الرب قد مسحك قائداً على ميراثه[14]. «ثم إن صموئيل استدعى الشعب إلى الرب في المصفاة ثم قدم صموئيل أسباط إسرائيل، ثم قدم سبط بنيامين بعشائره.. وطلب شاول فلم يوجد، فسألوا الرب هل يأتي الرجل إلى هاهنا، فقال الرب: هو ذا اختبأ بين الأمتعة، فأسرعوا فأخذوه من هناك، فوقف بين الشعب، فإذا هو يزيد طولاً على الشعب كافة من كتفه فما فوق، فقال صموئيل لجميع الشعب، أرأيتم الذي اختاره الرب لانظير له في جميع الشعب، فهتف الشعب كلهم وقالوا: يحيى الملك»[15].

واجتمعت عشيرة فلستيم (الفلستيين) و(نقلت وعممت بصيغة «الفلسطينيين») لمحاربة عشيرة بني إسرائيل «فلما رأى رجال إسرائيل أنهم في ضنك لأن الشعب تضايقوا، اختبأ الشعب في المغاور والغياض والصخور والأبراج والآبار»[16]. ولم يكن يوجد في كل إسرائيل حداد لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل بنو إسرائيل سيفاً أو رمحاً[17]، «فلما حان وقت الحرب لم يوجد سيف ولا رمح في أيدي جميع الشعب الذين مع شاول ويوناتان، ما خلا شاول ويوناتان ابنه»[18] «وندم الرب على أنه ملك شاول على إسرائيل»[19].

صموئيل يمسح داود «ملكاً»:

وذهب صموئيل إلى بيت يسى «فأجاز يسى سبعة بنيه أمام صموئيل.. فقال

له قد بقي الصغير وهو يرعى الغنم . فقال صموئيل ليسى أرسل فجئنا به »[20] ، فلما جاء داود أخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه من بين إخوته . فسمع شاول وأنفذ رسلاً إلى يسى وقال له : ابعث إلي داود ابنك الذي مع الغنم ، فلما جاءه داود جعله شاول حامل سلاحه وعازفاً على الكنارة بين يديه . « وكان داود يذهب ويرجع من عند شاول ليرعى غنم أبيه »[21] . وخرج الفلسطينييون لقتالهم مرة أخرى « وتصاف إسرائيل والفلسطينييون صفاً بإزاء صف »[22] ، وخرج جليات الفلسطيني للمبارزة « فلما رأى جميع بني إسرائيل الرجل هربوا من وجهه وخافوا جداً »[23] ، لكن داود القم مقلاعه حجراً وضرب به جليات من بعيد فأصابه في جبهته وصرعه فحصل بذلك على ميكال ابنة الملك شاول زوجة له ، واكتسب شعبية في العشيرة مما أثار غيرة شاول وحقده ، فأخذ يطارد داود من مغارة إلى مغارة ، ومن صير غنم إلى آخر . « وهرب داود إلى مغارة عدلام »[24] ، فلما سمع إخوته وجميع بيت أبيه نزلوا إليه إلى هناك ، واجتمع إليه كل من كان في ضيق ، وكل من كان عليه دَيْن ، وكل من كان في مرارة نفس ، فقام عليهم رئيساً[25] ، « فقال جاد النبي لداود لا تقم في الحصن ، انطلق وادخل أرض يهوذا . وكان شاول مقيماً بجبع تحت شجرة الأثلة .. وجميع عبيده قائمون بين يديه »[26] .

« ونزل داود في البرية في المغاور . وأقام في الجبل في برية زيف ، وكان شاول لايفتر عن طلبه »[27] ، « وشخص داود من هناك ونزل مغاور عين جدي »[28] ، فأخبر شاول بذلك « وسار في طلب داود وأصحابه على صخور الوعول وأتى حظائر الغنم التي في الطريق ، وكانت هناك مغارة فدخل شاول المغارة لحاجته . وكان داود وأصحابه جالسين في باطن المغارة »[29] .

وقاتل الفلسطينيون إسرائيل ، فانهزم رجال إسرائيل من وجه الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل الجلبوع ، وقتل شاول وثلاثة من بنيه وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم .[30] .

وانقسمت العشيرة إلى قسمين : قسم مع إشبوشت بن شاول ، ووقف بنو يهوذا مع داود . واجتمعوا للقتال على جانبي بركة جبعون[31] . فذهب داود إلى حبرون ، ثم « سار الملك ورجاله إلى أورشليم إلى اليبوسيين سكان الأرض

فكلموا داود وقالوا: إنك لا تدخل إلى ههنا، فأخذ داود حصن صهيون وهو مدينة داود. وأقام داود في المغارة وسماها مدينة داود »[32].

« وأدخلوا تابوت الرب وأقاموه في مكانه في وسط الخيمة التي ضربها له داود »[33].

« وضرب داود هدد عازر بن رحوب ملك صوبة، وقد كان ذاهباً ليسترد سلطته على نهر الفرات »[34]، وسمع توعي ملك حماه فأرسل ابنه يورام إلى داود الملك ليقرئه السلام ويباركه » لأن هدد عازر كانت له حروب مع توعي[35].

وطمع أبشالوم بن داود في أن يكون هو الملك فأرسل أبشالوم جواسيس إلى جميع أسباط إسرائيل وقال: إذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك أبشالوم في حبرون. وسار مع أبشالوم مئتا رجل من أورشليم[36]. فجاء إلى داود مخبر. وقال: إن قلوب رجال إسرائيل قد تعلقت بأبشالوم فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم قوموا بنا نهرب لأنه لايكون لنا مفر من وجه أبشالوم، بادروا بالمسير لئلا يسرع ويدركنا.. فخرج الملك وجميع بيته مشاة وخرج الملك وجميع الشعب معه مشاة، ووقفوا في بيت على بعد »[37].

« وصعد داود عقبة الزيتون، وكان يصعد باكيا ورأسه مغطى وهو يمشي حافياً وجميع الشعب الذين معه غطوا كل واحد رأسه، وصعدوا وهم يبكون »[38]، « وأما أبشالوم وجيمع الشعب رجال إسرائيل فأتوا أورشليم... فلما دخل حوشاي الأركي صديق داود على أبشالوم قال حوشاي لأبشالوم: ليحيى الملك ليحيى الملك »[39]، « فضربت لأبشالوم خيمة على السطح، ودخل أبشالوم على سراري أبيه على مشهد جميع إسرائيل »[40]، وحدث قتال بين جماعة أبشالوم وجماعة داود أبيه. « وكان أبشالوم راكباً على بغل، دخل البغل تحت أغصان بلوطة عظيمة ملتفة، فتعلق رأسه بالبلوطة، فرفع بين السماء والأرض، ومر البغل من تحته »[41] ورآه عبيد داود فقتلوه، وهرب جميع إسرائيل. كلٌ إلى خيمته[42]، وناح داود على ابنه أبشالوم نوحاً عظيماً « واتفق أنه كان هناك واحد من رجال بليعال اسمه شابع بن بكري من بنيا مين. فنفخ في البوق، وقال: ليس لنا نصيب مع داود، ولا لنا ميراث مع ابن يسى. كل رجل إلى خيمته يا إسرائيل »[43]، فارتد جميع إسرائيل عن

داود ، واتبعوا شابع بن بكري ، أما بنو يهوذا فلازموا ملكهم[44] ، وأقام داود مرة أخرى في مغارة عدلام . وكان لديه ثلاثة رجال يقود كل منهم ثلاثين . « ونزل أولئك الثلاثيون الثلاثة من الرتبة الأولى ، وأتوا داود أوان الحصاد في مغارة عدلام . وكان جيش الفلسطينيين نازلاً في وادي الجبابرة وداود حينئذ في الحصن »[45] .

وبعث الرب وباء في إسرائيل[46] فذهب داود إلى أرونا اليبوسي ، واشترى منه البيدر وبقراً بخمسين مثقالاً من الفضة ليبتني على البيدر مذبحاً للرب ويقدم له من أجل ذهاب الوباء[47] .

وشاخ داود وطعن في السن . فنشب الصراع بين العشيرة ، إذ بعضها يريد أن يملك أدونيا بن داود من امرأته حجيت ، وآخرون يريدون ابنه سليمان من امرأته بتشابع التي أخذها من زوجها أوريا الحثى الكنعاني بعد أن تخلص منه .

إن نظرة بسيطة واحدة نلقيها على هذه النصوص من شأنها أن تكشف لنا الحقائق البارزة الأساسية التالية :

1 - إن هذه النصوص تتحدث عن واقع بدوي عشائري متخلف هو واقع عشيرة بني إسرائيل زمن الملك شاول والملك داود ، هذه العشيرة التي يعيش أفرادها على رعي المواشي . ويسكنون إما الخيام في البرية أو المغاور في الجبال . وإن كلمة « ملك » المستخدمة ليست إلا النموذج البدائي المتخلف الذي يعكس واقع تلك الجماعة ويحمل مضمونها الاجتماعي هي ، إذ من الواضح من خلال النصوص ، أن الكلمة كانت تطلق على كل من كان يتزعم هذا الفصيل من العشيرة أو ذاك ، أو سكان هذه المغارة أو تلك كما هي الحال مع داود الذي تزعّم بني أبيه ومجموعة من البطالين في مغارة عدلام . وتلك كانت هي حال أبيمالك بن يربعل جدعون الذي ملك قبله بعد أن دفع له أخواله مالاً يستأجر به مجموعة من البطالين والأشقياء كما مر في النصوص السابقة . إننا أمام نماذج من ملوك الأسر أو العشائر أو المغاور أو الخيام ، ولسنا أمام نماذج من ملوك الدول كما صارت عليه الحال في التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني الحديث الذي جعل من الملك داود زعيماً لدولة

مزعومة تسيطر على جنوب سوريا وتمتد بنفوذها حتى الفرات في الشمال.
ولقد كنا قد نبهنا في حلقتنا السابقة إلى ضرورة التمييز بين الحالتين. ولفتنا النظر إلى أن استخدام كلمة «ملك» وإن كانت صحيحة لغوياً في كلتا الحالتين إلا أنها مختلفة بمضمونها السياسي والاجتماعي ما بين شكل اجتماعي متدن كالعشيرة أو القبيلة وبين شكل أعلى في التطور أو مرتبة أعلى بلغت بها هذه الجماعة البشرية أو تلك شكل الدولة بمفهومها الحقوقي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي وغيره، كما نبهنا إلى أن عملية الخلط بين المفهومين، واستخدام أحدهما بمضمونه السياسي والاجتماعي المتقدم مكان الآخر البدائي المتخلف هو ضرب من ضروب التزوير في التاريخ، وهو بالتحديد أحد الأساليب التي استخدمها الاستشراق الاستعماري والصهيوني في تزوير تاريخنا العربي القديم.
ولقد كان الرسول العربي محمد قد أوضح لنا منذ ما يقرب من ألف وخمسمائة عام هذا الفارق بين المضمونين للكلمة الواحدة حينما سئل عن المقصود بالعبارة القرآنية ﴿وجعلكم ملوكاً﴾ والمتعلقة ببني إسرائيل، ففي الحديث الشريف «أن ابن أبي حاتم ذكر عن لهيعة عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: كان بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادم ودابة وامرأة واستؤذن عليه كتب ملكاً»[48].
2- أما عشيرة فلستيم (الفلستيين) = المحاربين، التي تحولت في التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني الحديث إلى شعب هندو أوروبي غريب عن المنطقة زعم مرة أنه قدم من جزيرة كريت ومرة أخرى من بحر إيجه، وجرى إلصاقه جغرافياً بجنوب سوريا، فقد كنا تحدثنا عن حقيقة تلك العشيرة في إحدى حلقاتنا السابقة، وأثبتنا أنها إحدى العشائر العربية المجاورة لعشائر الكنعانيين العرب في منطقة غامد وزهران وموجودة منذ زمن إبراهيم وأن سكان جنوب سوريا كسكان شمالها لم يكونوا في يوم من الأيام غير سكانها العرب الأصليين العموريين والفينيقيين. ولم يكن لما يدعى اليوم «فلسطين» أي كيان خاص أو منفصل عن كيان الدولة العربية السورية قبل جغرافيا سايكس - بيكو الاستعمارية الحديثة، وعبثاً يحاول الاستشراق

الاستعماري والصهيوني جعل سكان هذا الجزء من سوريا غرباء عن المنطقة والجغرافيا والتاريخ.

3- أما تلك التسميات التوراتية الأخرى التي أخذت حيزاً كبيراً في عملية التزوير الصهيوني لتاريخ وجغرافيا المنطقة مثل «أورشليم» و«صهيون» وغيرهما فسيكون لنا معها وقفة مطولة.

«مملكة داود» عشيرة في مغارة

استعرضنا في الحلقة السابقة النصوص التوراتية المتعلقة بسيرة وأخبار داود الذي «ملك» على عشيرة بني إسرائيل حيناً، وعلى بيت من العشيرة أحياناً إلى أن شاخ ومات. وبدأنا بدراسة تلك النصوص، وبينا، أولاً، كيف أنها لم تخرج عن نطاق الحديث عن عشيرة بدوية رعوية ضئيلة هي عشيرة بني إسرائيل لم تتعد في سكناها الخيام في البرية أو المغاور في الجبال. وشرحنا، ثانياً، كيف أن كلمة «ملك» التوراتية كانت تطلق على كل من تزعم بيتاً، أو خيمة، أو مغارة أو عشيرة أو جزءاً من العشيرة، أو مجموعة من الأفراد. وكانت النقطة الثالثة التي توقفنا عندها هي أن عشيرة فلستيم «الفلسطينيين» هي عشيرة عربية زعيمها أو شيخها أبيمالك منذ عهد إبراهيم وإسحق، أي قبل مئات السنين من الزمن الذي يفترض فيه ظهورهم الاستشراق الاستعماري والصهيوني الذي جعل الفلسطينيين جماعة من شعوب البحر غزت الشواطئ السورية ودمرت مدنها في 1200/ق. م فدحضنا بذلك هذه الفرضية الاستعمارية كما دحضتها كل الدراسات التاريخية الجادة التي أكدت جميعاً أن علم التاريخ والآثار ينفيها كلية، وأن الدمار الذي حل بمدن الشاطئ الشرقي للمتوسط في تلك الفترة إنما حدث بفعل كوارث طبيعية وزلازل تكررت عدة مرات في فترات متقاربة، علماً أن سوريا لم تعرف في تاريخها القديم كله اسم «فلسطين» وقد بقي سكانها طيلة فترة ما قبل المسيح عرباً سوريين أموريين وفينيقيين، ونتابع الآن دراستنا لتلك النصوص لنتبين واقع عشيرة بني إسرائيل في عهد «الملك» داود، وحقيقة ما صار يدعى في التزوير اليوم

بـ « مملكة داود » في تاريخنا القديم .

داود « ملك » على مغاور :

تقول التوراة : « وانصرف داود من هناك ، وهرب إلى مغارة عدلام ، فلما سمع إخوته وجميع بيت أبيه نزلوا إليه إلى هناك ، واجتمع إليه كل صاحب ضيق ، وكل من كان عليه دين ، وكل من كان في مرارة نفس ، فقام عليهم ملكاً »[49] ، فالنص يقول صراحة إن داود ملك في مغارة ، ولما كان على فهم هذه الحقيقة الساطعة يترتب فهم الحقيقة التاريخية لعشيرة بني إسرائيل سكاناً وبيئياً ، لغوياً واجتماعياً ومنطقياً ، فقد آثرنا أن نتوقف عندها في شيء من الشرح والتفصيل .

1 - إن داود ملك في مغارة هي مغارة عدلام ، والمغارة ، لغة ، هي من الفعل غاريغور ، أي دخل فيه عميقاً ، وهي في القاموس الكلداني « معارا » و« معارتا » أي المغار والمغارة . والمغار ما ينحت في الجبل شبه المغارة ، فإذا اتسع قيل كهف جمع أغوار . والمغارة والمغار الكهف والمغار المتسع الجوف ، وقد يكون لها عدة مداخل . والغور أيضاً المغارة الواسعة والكهف .

2 - لقد قرنت التوراة في كل المواضع تقريباً ما بين المغارة والحصن ككلمتين لهما مدلول واحد هو المغارة[50] ، فالحصن الذي أقام فيه داود حينما ترك أبويه عند ملك موآب هي مغارة عدلام ، كما يؤكد النص الأول ، والمغارة التي كان مقيماً فيها مع رجاله حينما دخلها الملك شاول لحاجته ولم يفطن إلى وجود أحد في جوفها هي أحد حصون عين جدي كما يؤكد النص الثاني .

أما الحصن فهو ، لغة ، كل مكان محمي ، محرز ، لايوصل إلى جوفه .

فالحصن هو المغارة الواسعة المنيعة في الجبال العميقة الجوف .

3 - إن التوراة أطلقت اسم « مدينة » على المغارة أو الحصن .

وهذا صحيح لغوياً ، فقد كنا قد شرحنا في إحدى حلقاتنا السابقة كيف أن لكلمة « مدينة » مدلولاً لغوياً واحداً بصرف النظر عن مرحلة تطور هذه الجماعة أو تلك ، فهي تطلق على الخيمة ، أو المغارة ، أو الحصن كما تطلق على القرية أو المدينة الكبيرة بمفهومها الواسع كما نفهمها اليوم ما دامت كل تلك

الموضوعات أماكن إقامة، إلا أن لها مضموناً اجتماعياً مختلفاً باختلاف مرحلة التطور التاريخي التي تقف عليها هذه الجماعة السكانية أو تلك، فإن كانت الخيمة مدينة في مجتمع رعوي بدائي فإنها في مجتمع متقدم بلغ شكل الدولة مجموعة من الأحياء والحارات التي تنتظمها حياة اقتصادية واجتماعية مستقرة غنية ومتطورة.

وعلى الباحث في التاريخ أن يعرف كيف يميز بين المضمونين.

4 - لقد ملك داود، إذن، على جماعة من البطالين في مغارة هي مغارة عدلام.

فماذا كان بعد ذلك؟

تخبرنا التوراة أنه لما مات «الملك» شاول كان داود مقيماً في مغارة صقلاج التي أعطاها له أكيش ملك جت في البرية من أجل أن يسطو منها على الرعاة ويسلبهم مواشيهم ومقتنياتهم ويأتي بها إلى سيده أكيش[51]، ثم سأل داود الرب إن كان يصعد إلى حبرون، فقال له الرب: اصعد.

فصعد دواد إلى حبرون مع كلتا امرأتيه والرجال الذين معه، فأقاموا بحبرون «وأتى رجال يهوذا، ومسحوا هنالك داود ملكاً على بيت يهوذا»[52].

ولا بد أن نعلم أن «حبرون» هذه إنما هي إحدى المغاور المجاورة لمغارة عدلام. وكانت مؤلفة من أربع مغاور متصلة يسكنها «أربع» وهو رجل من بني عناق وثلاثة من بنيه هم شيشاي واحيمان وتلماي، كل منهم في واحدة، وقد كان «ملكها» مع «ملك» عدلام و«ملك» أورشليم بين جملة الملوك الواحد والثلاثين الذين ضربهم يشوع غرب أريحا فور عبوره المخاضات «يردن» ما بين بقعة لبنان «الصنوبر» والجبل الأقرع: وهذا من ضربه يشوع وبنو إسرائيل من ملوك الأرض في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع... ملك أورشليم واحد، ملك حبرون واحد... ملك عدلام واحد... جميع الملوك واحد وثلاثون»[53].

(لاحظ الجغرافيا المستحيلة في التزوير الصهيوني حيث أن أورشليم التي صارت مدينة القدس، وحبرون التي صارت مدينة الخليل تقعان بين لبنان والجبل الأقرع!).

ولا يخفى على الدارس الحصيف أن مجرد اقتران مغارة عدلام بحبرون

وأورشليم في مثل هذا النسق المتساوي بالأهمية في نص واحد إنما يجعلها جميعاً متساوية في الحال والواقع، وليس يعقل أن يدمج كاتب النص ملك مغارة مع ملك مدينة كبرى كالقدس المتميزة بعمرانها منذ الألف الثالث قبل الميلاد على الأقل.

وتخبرنا التوراة أن حبرون أعجبت كالب، وهو أحد رجال يشوع، فطلبها لنفسه، فباركه يشوع، وأعطاه حبرون «لذلك صارت حبرون لكالب بن يفنا القنزي ميراثاً»[54]. «فطرد كالب من هناك بني عناق الثلاثة شيشاي وأحيمان وتلماي»[55]، ثم دعيت المغارة بعد ذلك باسم «كالب». ثم جعلت مغارة حبرون مدينة ملجأ للقاتل من بني هرون، كما جعلت مغارة شكيم مدينة ملجأ للقاتل من بن لاوي، ومغارة جولان مدينة ملجأ للقاتل من سبط منسى، ومغارة قادش للقاتل من سبط نفتالي[56]، فتأمل كيف أن تلك المغاور التي حددت التوراة موقعها جميعاً في غربي الأردن وأريحا[57]، وقد تحولت في التزوير الصهيوني لتصبح: حبرون- مدينة الخليل في فلسطين، وقادش- أطلال النبي مندو جنوب حمص، وجولان- إقليم الجولان السوري كله!

«تلك كانت مدن الملجأ لجميع بني إسرائيل وللغريب النازل فيما بينهم حتى يهرب إليها كل قاتل نفس سهواً، فلا يموت من وليّ الدم إلى حين وقوفه أمام الجماعة»[58]، ولقد اشتهرت منطقة جبال السراة في شبه جزيرة العرب، كما اشتهرت المنطقة الجبلية المطلة على البحر الأحمر من الغرب منذ القدم بمثل هذه الكهوف والمغاور التي بقيت ملاجىء للفارين من وجه القبيلة أو العدالة أو المجتمع على مدى آلاف من السنين وحتى اليوم.

وتتسع الواحدة منها لمجموعات كبيرة من السكان مع مؤنهم ومواشيهم، وما تزال مأوى لكثير من عصابات اللصوص والقتلة والمهربين العصيّة على الأمن في كلا القطرين.

● «صهيون» والحقيقة التاريخية:

لما كانت هذه الكلمة قد أخذت حيزاً كبيراً في عملية التزوير الكبرى التي أخضع لها تاريخنا العربي وصارت هي و«أورشليم» رمزاً لأبشع وجه ظهر فيه

الإنسان المتمدن على مدى التاريخ البشري كله ، وسيبقى ذكرى وشاهداً على قبح الداخل لإنسان الغرب الاستعماري إلى الأبد ، فإننا سوف نتوقف عندهما لنكشف حقيقة كل منهما بعيداً عن التزوير الاستشراقي الاستعماري والصهيوني الحديث .

لقد كنا قد بينا في إحدى الحلقات السابقة ، وصار معلوماً لدينا الآن ، أن «مطلق كلمة نهر ، أو موصوفاً بالكبير ، في كل أسفار الكتاب المقدس إنما المقصود بها نهر الفرات » (انظر شروحات الكتاب المقدس ، قسم نبوءة إرميا ، طبعة دار المشرق 1876) . وهذا النهر هو نهر الفرات (الثرات) الذي كان كبيراً جداً فعلاً .. تتفجر مياهه غزيرة من مغاور عميقة في صخور جبال غامد العالية المكللة بالثلوج على مدار السنة ، وينحدر شرقاً إلى البرية بعد أن يرفده وادي رنيا ويشكل معه منطقة ، «ميسو فوطاميا » (ما بين النهرين) التوراتية .

وتؤكد لنا التوراة أن مياه هذا النهر تنبع من « بيت المقدس » ومن تحت عتبة البيت نحو الشرق ، «والمياه تنزل من تحت إلى جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح »[59] ، ثم يمتد شرقاً غزيراً كالبحر «يقف على هذا البحر الصيادون من عين جدي إلى عين عجلائم ، فيكون مبسطاً للشباك ، ويكون سمكه على أصنافه كسمك البحر العظيم كثيراً ، أما مستنقعاته وبركه فلا تشفى بل تجعل ملحاً »[60] فأي نهر ، وأي « فرات » هذا الذي ينبع من بيت المقدس في القدس في فلسطين ويتجه شرقاً إلى برية العرب كالبحر العظيم !

ومع تقدم عصر الجفاف والتصحر ، الذي ما يزال مستمراً منذ حوالي 14000 ق . م وحتى اليوم ، جفت كثير من ينابيع النهر ، وتحولت إلى مغاور عميقة في جوف صخر الجبل ، ما لبثت أن امتدت إليها يد الإنسان وحولتها إلى مساكن وملاجىء ، وتلك هي حال « صهيون » التي لجأ إليها داود وسماها مدينة دواد بعد أن منعه سكان أورشليم من الدخول .

أما من حيث موقع « صهيون » فتؤكد لنا التوراة في عدة مواضع أنها حصن في رأس الجبل منيع يصعب الوصول إليه[61] ، فماذا تقول لنا اللغة ؟

إن كلمة « صهيون » في القاموس الكلداني تعني حرفياً ما يلي :اليابس ،

الناشف ، العطشان ، الفرات وقت نقصانه ، وهي من الفعل صهي - صهيو = عطشان ، ناشف ، يابس ، جاف ، خال من الماء . وإن في إمكان القارئ أن يلاحظ كيف قرن القاموس الكلداني هذه اللفظة بمعانيها تحديداً بالفرات . والكلدانيون هم أقرب الناس إليه إذ كان مركزهم في بابلون على نهر كفار (الكافر) الذي يرفده في منطقة ما بين النهرين رنيا والفرات ، وليس في بابل عاصمة الدولة . ولقد حافظت لغتنا العربية على هذا المعنى حتى اليوم في « الصهو » و« الصهوة » ، إذ نجد في القاموس ، أن الصهو والصهوة البرج يتخذ في أعلى الرابية جمع صهى ، وكالغار في الجبل فيه ماء جمع صهاء .

وهكذ تتضح لنا حقيقة « صهيون » التوراتية جغرافياً ولغوياً ، فهي المغارة أو الحصن في الجبل بعد أن نشفت فيها منابع نهر الفرات ، والتي لجأ إليها داود مع رجاله ودعاها مدينة داود ، ثم نصب في وسطها خيمة « واصعد داود وجميع آل إسرائيل تابوت الرب بالهتاف وصوت البوق ... وأدخلوا تابوت الرب وأقاموه في وسط الخيمة التي ضربها له داود »[62] .

وإن كلمة « يبوس » هي المرادفة لـ « صهيون » وتعني ساكن المغارة التي يبست وجف ماؤها ، وهو أحد أولاد كنعان العشيرة العربية المقيمة في جبال غامد والتي كانت تقدس « رنيا » أي الشمس ربة الخصوبة إلى جانب البعل وعشتار ، فأطلقت اسمها على الجبل المطل على الشرق وعلى النهر الذي ينبع منه ويرفد الفرات ، وكانت جميع معابرهم تتجه إلى الشرق إلى الشمس ، قبل أن تدخلها عشيرة داود ، ومن أهم هذه المعابد « حوراشليم » وتعني مغارة المتعبدين .

● « أورَشليم » المغارة بين الحقيقة والتزوير :

تخبرنا التوراة أن داود لم يملك حتى على بنيه ، فبينما كان مقيماً في مغارة صهيون ، ورجاله في أوراشليم الملاصقة ، « أرسل أبشالوم (ابن داود) جواسيس إلى جميع أسباط إسرائيل وقال : إذا سمعتم صوت البوق فقولوا قد ملك أبشالوم في حبرون . وسار مع أبشالوم مئتا رجل من أورشليم . فجاء مخبر إلى داود وقال إن قلوب رجال إسرائيل قد تعلقت بأبشالوم .

« فقال داود لجميع عبيده الذين معه في أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس

لنا نجاة من وجه أبشالوم ... وخرج الملك وجميع الشعب معه مشاة ... وصعد داود عقبة الزيتون، كان يصعد باكياً ورأسه مغطى ويمشي حافياً، وجميع الشعب الذين معه غطى كل واحد رأسه وصعدوا وهم يبكون»[63].

وقبل أن نتعدى هذا المكان إلى غيره نرى أن لابد من الوقوف طويلاً عند هذه الـ «أورشليم» التوراتية التي تحولت بفعل التزوير الاستعماري والصهيوني إلى أكبر كذبة في التاريخ.

آ- من ناحية الموقع والجغرافيا:

1- إن «أورشليم» المقصودة في التوراة هي على قمة جبل منيع:

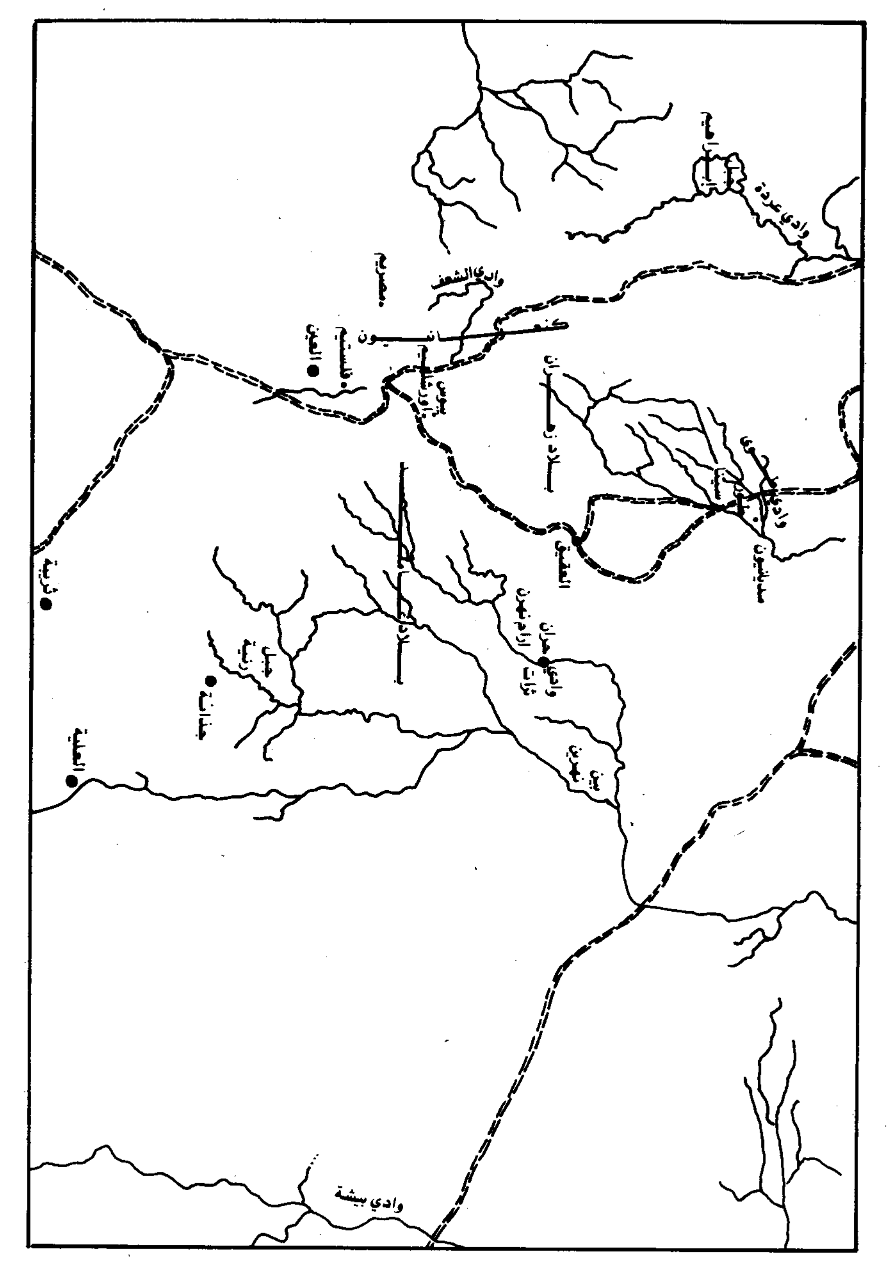
«فتقدم بنو عمون وموآب إلى اليفانيا وقالوا له: إن بني إسرائيل لايتكلون على الرمح والسهم، ولكن الجبال تزرهم، والتلال التي بين الهوى تحصنهم، فالآن حتى تظفر بهم بلاقتال أقم أرصاداً على الينابيع لئلا يستقوا منها فتقتلهم بغير سيف، أو يلجئهم ما يصيرون إليه من الضنك أن يسلموا مدينتهم التي يعدونها منيعة من أجل أنها على رأس الجبل»[64]. «وكتب الياقيم الكاهن إلى جميع الساكنين قبالة يزرعيل التي حيال الصحراء الكبرى إلى جانب دوتان وإلى جميع الذين يمكن أن يجاز في أراضيهم أن يضبطوا مراقي الجبال التي يمكن أن تسلك إلى أورشليم، ويحفظوا المضائق التي يمكن أن يجاز منها بين الجبال»[65]، ودخل الملك إلى جبل صهيون فرأى الموضع حصيناً»[66].

وهذا الكلام جميعه لايمت بأية صلة إلى مدينة القدس في فلسطين التي لا تقع على رؤوس الجبال المنيعة ولا تجاور الصحراء الكبرى أو تطل عليها!

2- ومن أورشليم التوراتية ينبع النهر الكبير (نهر الفرات) وينحدر شرقاً إلى البرية[67]، فلنتأمل المواقع!

3- ومنها تخرج «ينابيع مياه حية» نصفها يتجه إلى البحر (النهر) الشرقي ونصفها إلى البحر (النهر) الغربي[68].

وهذه الجغرافيا لأورشليم التوراتية لاتمت إلى القدس في فلسطين بصلة، ولا تنطبق ينابيعها هذه إلا على الينابيع التي تتفجر من مغاور الجبل في غامد والتي يصب بعضها في الفرات شرقاً وبعضها في وادي عردة غرباً.



منطقة الأحداث التوراتية في غامد وزهران من جبال السراة في شبه جزيرة العرب .

4- وحينما يعود « المسبيون » من بابل إلى أورشليم نجد أنهم يسلكون طريقاً بين الموقعين لايحيد عن مجرى الأنهار التي تربط ما بينهما :
« هاأنذا أعيدهم من أرض الشمال ، وأجمعهم من أطراف الأرض .. وفيهم الأعمى والأعرج ، الحبلى والوالدة جميعاً ... فأسيرهم لدى أنهار المياه في طريق مستقيم حيث لا يعثرون »[69] .
وهذا برهان آخر على أن أورشليم التوراتية هي حيث منابع الفرات ورنيا في جبل غامد ، وأن بابل التوراتية هي بابلون الكلدان على نهر كفار الذي يرفد الفرات قبل التقائه برنيا في شرق غامد .

ب- « أورشليم » من الناحية اللغوية :

إن أول نص ذكر فيها « اسم أورشليم » هو النص السبعيني للتوراة الذي وضع لأول مرة باليونانية في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد .
والاسم مؤلف من كلمتين « حورا » وتعني المغارة و« شليم » وتعني المعزولين ، المنعزلين ، المتوحدين ، المتعبدين ، وهي جمع « شليو » .
أما « حورا » فهي في القاموس الكلداني : كهف ، مغارة ، حفرة عميقة ، ثقب ، نقب ، ومنها « حرا » أو « حراء » وهو الغار أو الكهف العميق ، ومنه كانت تسمية « غار حراء » لتميزه . كما أن الطور تعني الجبل ، وصار يدعى جبل الطور لتميزه .
ولقد كانت الأبجدية العربية الفينيقية (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ...) هي الأبجدية التي استخدمها اليونانيون كما هي زمناً طويلاً دون تغيير ، أي منذ أن دخلت مع العرب السوريين بلاد اليونان زمن قدموس في حوالي 1400 ق . م . وكان العرب السوريون في تلك البلاد هم وحدهم الذين يقرأون ويكتبون ، وهم أصحاب الفكر والفن والأدب والأسطورة على مدى عدة مئات من السنين وحتى ما بعد عصر بركليس . ثم جرى تغيير بعض الأصوات الحلقية في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد فتحولت « الحاء » واسمها بالفينيقية « حيطا » أي حائط ، إلى « ايتا » فتحول بذلك لفظ كثير من الأسماء العربية الفينيقية في بلاد اليونان مثل « حيرا » زوجة « زيو » التي يعني اسمها في

العربية الحديثة	اللاتينية	اليونانية القديمة	العربية الفينيقية	رأس الشمرة
ء	A	A	𐤀	𐎀
ب	B	B	𐤁	𐎁
ج	C G	Γ	𐤂	𐎂
د	D	Δ	𐤃	𐎄
هـ	E	E	𐤄	𐎅
و	F V	Y	𐤅	𐎆
ز	...	I	𐤆	𐎇
ح	H	B	𐤇	𐎈
ط	...	⊗	𐤈	𐎉
ي	I	S	𐤉	𐎊
ك	...	K	𐤊	𐎋
ل	L	LΛ	𐤋	𐎍
م	M	M	𐤌	𐎎
ن	N	N	𐤍	𐎐
س	X	Ξ	𐤎	𐎒
ع	O	o	𐤏	𐎓
ف	P	Γ	𐤐	𐎔
ص	...	...	𐤑	𐎕
ق	Q	Ϙ	𐤒	𐎖
ر	R	P	𐤓	𐎗
س ش	S	Σ	𐤔	𐎌
ت	T	T	𐤕	𐎚

الأبجدية العربية الفينيقية هي الإغريقية القديمة وهي أصل الكتابة في الغرب كله .

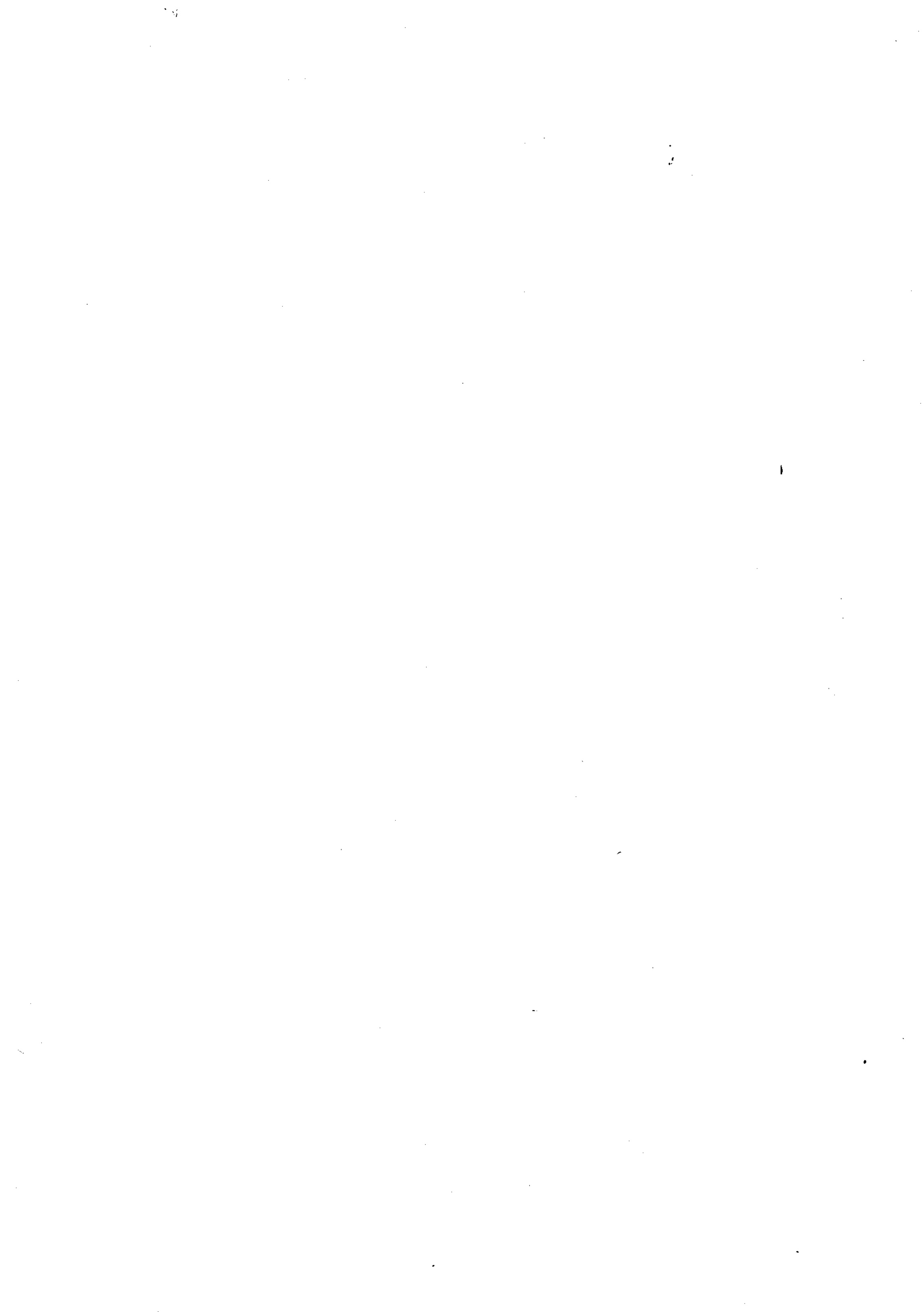
العربية الفينيقية الحرة ، الشريفة ، الحسيبة ، بنت الأصل ، بنت النسب ، وصار يكتب باليونانية المتأخرة « ايرا » وانتقل بهذه الصيغة إلى الفرنسية واللغات السلافية عن اليونانية مباشرة ، بينما صار يكتب ببعض اللغات الأوروبية الأخرى « هيرا » وهي « هيرا بيضاء الذراعين » في آلياذة هوميروس . وكذلك الأمر مع الكلمة الفينيقية « حوراي » التي صارت باليونانية « أوراي » وتعني الحوريات .

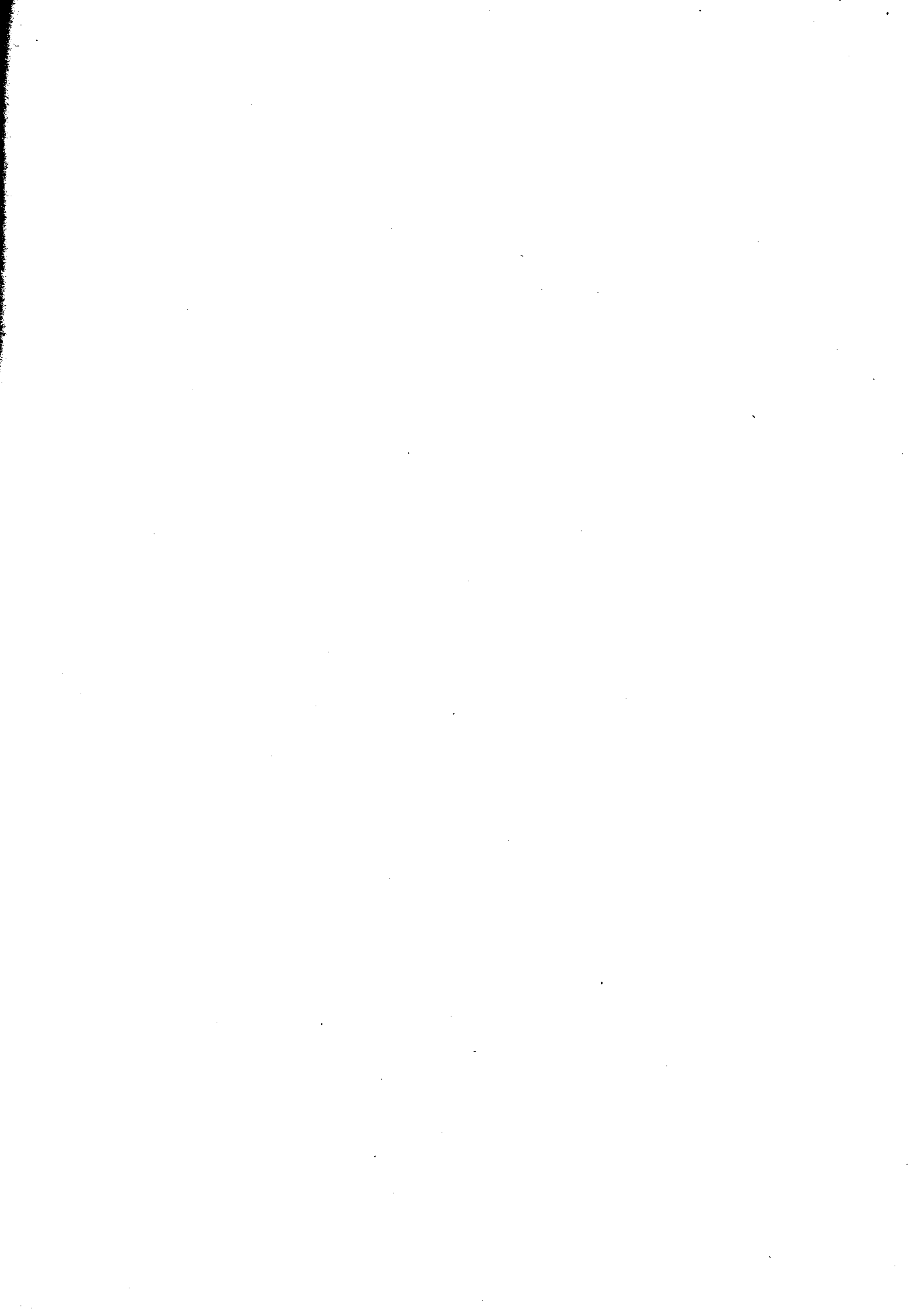
أما « أورى شليم » فعند نقل التوراة من السبعينية اليونانية إلى السريانية انتقل الاسم كما هو دون إرجاعه إلى أصله العربي ، وصار يكتب « أورشليم » و« أورى شليم » .

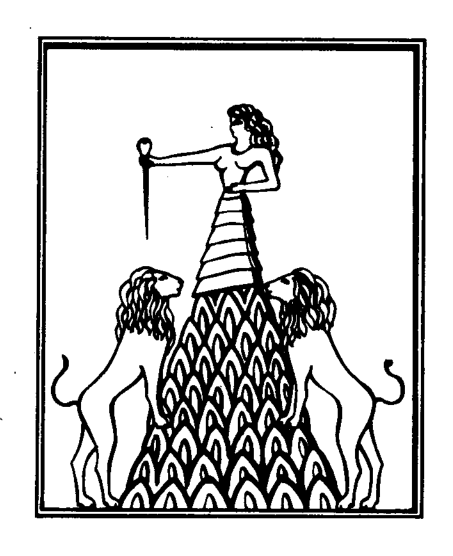
أما « شليم » فهي جمع شليو ، وتعني المنعزل ، المعتزل ، المتوحد ، وهي في القاموس الكلداني من شلي - شليو ، شلوو = اختلى ، اعتزل ، توحد ، تعبد ،... وكلمة « شليو » تعني الكهف ، المغارة ، و« شيلوه » في التوراة هي المغارة التي كانت محلة ، يجتمع فيها بنو إسرائيل لمناسباتهم المقدسة زمن « القضاة »[70] . وقد نقلت الكلمة من اليونانية إلى باقي اللغات دون ترجمة كما هي .

تلكم هي حقيقة « أوراشليم » أو « أورشليم » التوراتية .

إنها « حوراشليم » وتعني كهف المتعبدين ، وقد خضعت للتزوير في عدة مراحل من التاريخ .





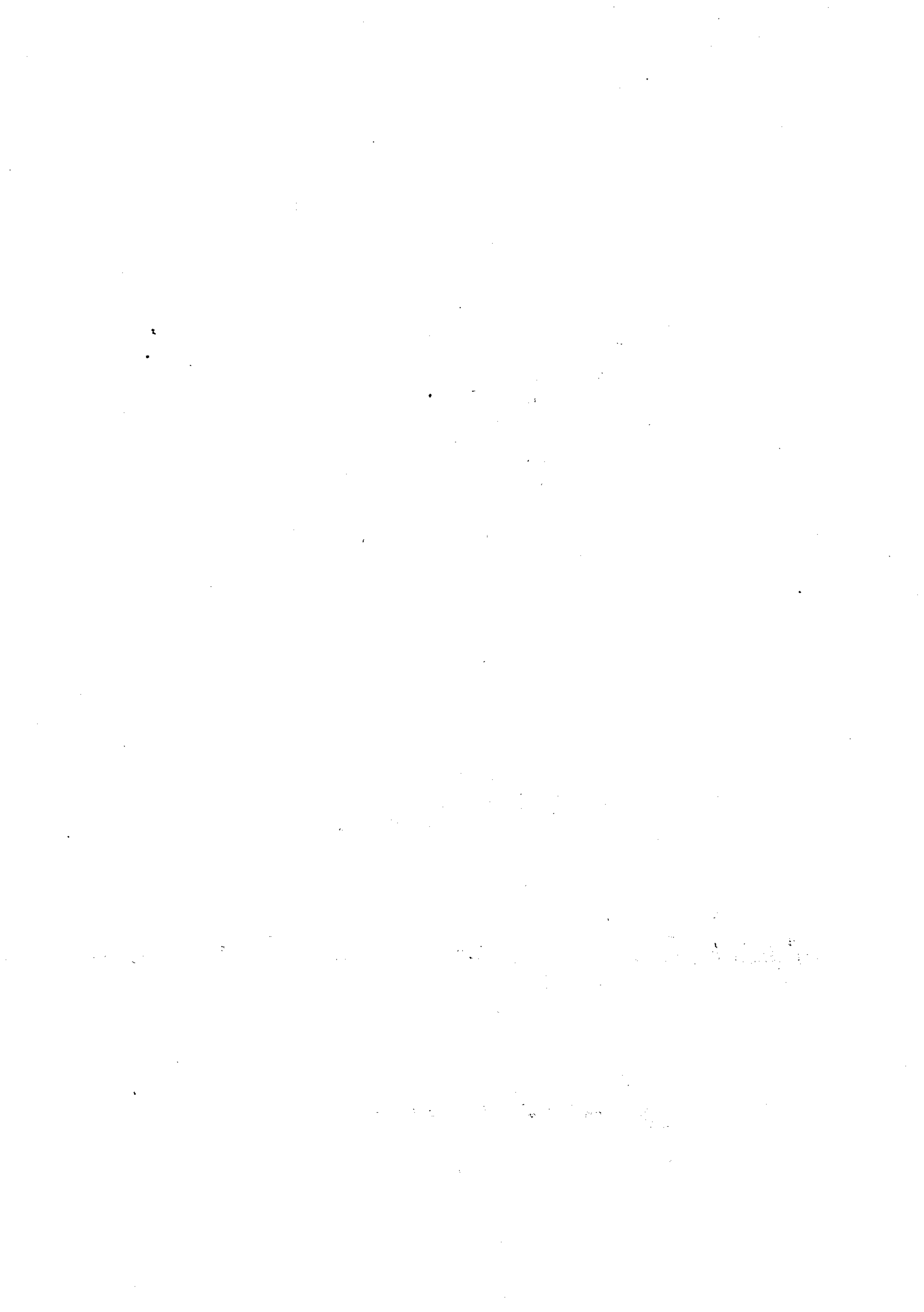


الحلقة العاشرة

«اورشليم»

مغارة المتعبدين في غامد

من عهد عشتار



بعد أن تحدثنا عما دعي بـ «مملكة داود» وبينا من خلال مدونات التوراة ذاتها، وهي المصدر الوحيد لدى العالم كله عن تلك «المملكة» المزعومة، كيف أن داود الراعي البدوي «ملك» على جزء من عشيرته في مغارة، وقبل أن نتعرف على حقيقة «حروب» داود، وعلى واقع ما دعي بـ «مملكة سليمان» من بعده، وحرصاً على متابعة الحديث الذي بدأناه حول أورشليم التوراتية، ومن أجل إزاحة كل ما لحق بهذه التسمية من تزوير تاريخي وجغرافي فتظهر لنا الحقيقة التاريخية لأورشليم خاصة، وللمنطقة العربية عامة، نرى أن من الضروري الآن الوقوف عند النقاط الأساسية التالية:

1- يجمع علماء التاريخ والجغرافيا الأقدمون أن جزيرة العرب، أو بلاد العرب، كانت تشمل كل الرقعة الممتدة من البحر الأعلى (الأسود) شمالاً إلى البحر الأدنى (بحر العرب) جنوباً، وقد تمتعت هذه المنطقة بوحدة سكانية ولغوية وحضارية منذ أقدم العصور.

2- لقد كانت جزيرة العرب بمثابة القلب من حزام الخصب أو ما دعي بـ «الحزام الحي» عند انتهاء آخر عصر جليدي مرت به الكرة الأرضية في حوالي 14000 ق. م، فكانت أخصب بقعة على سطح الكوكب، وأكثرها ملاءمة لحياة الإنسان والحيوان والنبات ولنشوء الحضارة، وكان يغطي صحراء الربع الخالي بحر من المياه العذبة ما تزال بقاياه قائمة حتى يومنا هذا في أربع بحيرات متصلة جوفياً عمق إحداها 400 قدم، وكان وادي بيشة الذي يتحد بوادي الرمة وتثليث ورنيا والفرات (الثرات) والدواسر يخترقها من الغرب إلى الشرق موزعاً الخصب على ضفتيه، وكانت أمطارها موزعة على جميع فصول السنة (انظر: تشايلد، «الشرق القديم»).

3- كانت جبال غامد تمثل خزان المياه العذبة التي تتفجر من أعماق مغاور جوفية كبيرة في صخور تلك الجبال، فينحدر قسم منها إلى الشرق ليكون وديان الفرات (الثرات) ورنيا وكارا، وقسم إلى الغرب ليكون وديان عردة وديان ورمى، فمثلت بذلك بقعة غامد «سرة» ذلك الجسد الحي، ومركز ينابيع الخصب، وموطن القداسة في التاريخ العربي القديم، فدعيت بـ «موطن

الأرباب » وأرض النجاة أو الخلاص أو السلام أو المخلّص أو المنقذ ، كما دعيت الأرض التي تحيط بها بالأرض المباركة ، وتخبرنا قصة الطوفان البابلية والسومرية كيف أن أرباب الخصب هربوا من الطوفان وتجمعوا في مرتفعات حانو (آنو) عند منابع الأنهار ، فنجوا بأنفسهم من الهلاك ، وأن جبال غامد وحدها هي المرتفعات التي تتفجر منها ينابيع تلك الأنهار ، وبالتالي لابد أن تكون هي المقصودة بعبارة « عند منابع الأنهار » .

4- إن ذلك كله يبرر لنا القول مع القائلين بأن جزيرة العرب ، بما توفر لها من شروط ملائمة في العصور السحيقة ، شهدت أول انقلاب زراعي في العالم ، وتعكس لنا هذه الحقيقة قصة الصراع بين ولدي آدم هابيل الراعي وقابيل الزراع ، كما تعكسها قصة التنافس على حب « أنانا » ما بين تموز الراعي وأنقيمدو الفلاح التي ورثها العرب السومريون عن أسلافهم العبيديين علماً أن آخر الدراسات التاريخية تؤكد أن السومريين هم أحفاد العبيديين الذين كانوا يمارسون الزراعة ويستوطنون الجزء الشرقي من شبه جزيرة العرب . (انظر التفاصيل في الحلقة الأولى) .

5- وفي « تاريخ فينيقيا للمؤرخ السوري سانخونياتن يحدثنا عن بعض أرباب (سادة) الخصب الأقدمين (قبل إيل الذي سمى آدم أبناءه باسمه : هابيل وقابيل) ومنهم أورانو (الراني ، العين ، البصير ، الشمس) وزوجته « جيا » التي يعني اسمها في القاموس الكلداني : المتعظمة ، المرفهة ، المنعمة ، المتكبرة ، المفتخرة ، المزهوة ، الأرض .

6- ومن الناحية اللغوية : إن « غامد » تعني أرض النجاة ، أرض الخلاص أرض المخلِّص ، وهي مؤلفة من « جيا = أرض و« ميديو » = ناج ، مخلص ، منقذ ، أو المنجّي ، المخلّص ، المنقذ ، وهي في القاموس الكلداني من مدا- مديو = نجا ، أفلت ، تخلص ، نجّى ، خلّص ، أنقذ . ومن الكلمة كانت تسمية « أندروميدا » بطلة الأسطورة العربية السورية القديمة التي صارت تعتبر اليوم إغريقية ، واسمها مكون من كلمتين « أنديرا = النذيرة ، المنذورة للتضحية ، العزيزة ، الغالية ، وميدا = الناجية ، المخلّصة ، التي نجت ، وهذا هو مضمون قصتها فعلاً ، إذ عثر عليها « فارس » (باريشو) مقيدة إلى جذع شجرة تنتظر

الاحتفال بتقديمها ضحية لوحوش النهر ، ففك قيدها وخلصّها وقاتل القبيلة وانتصر ، ومن الكلمة كان اسم بطلة الأسطورة السورية الأخرى « ياشون وميديا » وقد جعلت هي الأخرى إغريقية أيضاً ، ومعنى الاسمين اليائس والمنقذة ، إذ أن « ميديا » هي التي أنقذت حبيبها ودلته على طريق الهرب والخلاص من انتقام قبيلتها المتوحشة على ضفاف البحر الأسود الشمالية .

وتدل جغرافيا أحداث القصتين في الشاطىء الإفريقي وعلى الشاطىء الشمالي للبحر الأسود على حدود النفوذ العربي السوري من البحر الأعلى (الأسود) إلى البحر الأدنى (بحر العرب) .

وفي « غامد » التي هي أرض الخلاص أو المخلص كان خزان المياه العذبة ، مياه الحياة والخصب التي تتوزع شرقاً وغرباً ، مما جعلها مركز تقديس أرباب الخصب من الآباء العرب الأوائل في جميع بلاد العرب . إن « أنكي » السومري ، الذي هو رب الماء النقي والصفاء والحكمة ، هو « أنقي » وإن « أبسو » هو « أفصيو » والكلمة في القاموس الكلداني من فصي- فصيو = خلص ، أنقذ ، نجى ، وفصيو = خلاص ، نجاة . وهكذا فإن أفصيو (أبسو) هي أرض الخلاص . وهي « غامد » نفسها . أما « بوسيدون » الذي انتقل مع العرب السوريين إلى بلاد اليونان ليعبد هناك كرب للماء والأنهار والبحار فهو « فوصيدون » ومعناها مفجر الماء والينابيع والكلمة في القاموس الكلداني من فصد- فوصيدو = فصد ، شق ، فتح الأرض لتجري ماء ، وفوصيدو = غدير ، ماء ، عين ماء ، بركة ، جدول ، نهر . أما « أيا » الذي هو « أنكي » نفسه عند العرب السومريين رب الماء والحكمة والمعرفة فهو « حيا » ويعني في القاموس الكلداني : المحيي ، المنقذ ، المعلم ، والكلمة من الفعل « حيا » = خلص ، نجا ، انبعث ، و« حيا » = الماء العذب الصافي الجاري ، و« حيو » = خلاص ، نجاة ، و« حوي » = دل ، أخبر ، علم ، أبدع ، اخترع ، وهو الذي أخبر رجل الطوفان بالطوفان قبل حدوثه ، ودله وعلمه على طريقة صنع السفينة فأنقذه ونجاه ومن معه .

وبهذه المناسبة ينبغي ألا يغيب عن ذهن الباحث اللغوي تحول بعض الأصوات من العربية القديمة ، إلى اللغات الأوروبية المتأخرة ، إن حرف الفاء كان يلفظ





«فوصيدون» «بو زيدون» رب مياه الأنهار والبحار السوري على عملة من صور واخرى من أرواد .

في العربية القديمة P وانتقل مع العرب السوريين إلى بلاد اليونان وإيطاليا بلفظه العربي القديم ، فامبراطور روما الفينيقي «سفيرو» كان يلفظ بالفينيقية «سبيرو» ويعني المعلّم ، الحاذق ، البليغ ، الخبير . «وصافونو» (صابون) صارت بالإنكليزية Soap ، كما تحولت في بعض الأحيان إلى «باء» عادية مثل «فيوتا» = جمال ، حسن ، صارت بالانكليزية beauty .. وأن الصاد تحول إلى S ، والحاء تحول إلى حرف الهمزة .. والقاف والكاف تحول باللاتينية إلى tc إذا ما وقع قبل الأصوات y,e,i . ولما كان الدارسون العرب المحدثون قد اقتصروا في عملهم على نقل تاريخنا عن اللغات الأوروبية فقد نقلوا كل أسمائنا العربية القديمة بلفظها وكتابتها الأوروبيين دون محاولة البحث في أصولها العربية وإرجاعها إلى هذه الأصول .

7 - لما كانت جبال غامد في نظر العرب الأقدمين زمن الخصب هي السرة ، وهي المركز فقد صارت كلمة «ميدي» تعني المركز والوسط أيضاً وانتقلت إلى اللغات الأوربية . وهي مجمع أرباب الخصب وأرض الخلاص ، ولما كانت الشمس هي أحد قطبي الخصب التي تدفىء التربة وتطلع الزرع وتنضج

المحاصيل، فقد كانت جميع المعابد تتجه نحو الشرق حيث تستقبل الشمس إبان طلوعها، فالشمس هي ربة النهار أو الأنوار «دي نهرو» وكان على العربي أن يستقبل الشرق بوجهه أثناء الصلاة، كما صار كل ما على يساره يدعى الشام أي اليسار أو الشمال، وكل ما على يمينه يدعى اليمن أي اليمين أو الجنوب، ولما كانت المنطقة هي أرض «سر» (أي السيد) وهو أحد الآباء العرب الأقدمين المقدسين فقد دعيت الجبال باسمه «سرات» وأبناؤه دعوا «سرن» أي سوريين أو سريان، واللهجة العربية الجبلية (السريانية) هي التي عمت وانتشرت بفضل كهنة ديانة الخصب في التاريخ العربي الحضاري القديم، وتؤكد جميع المصادر العربية أن كلاً من آدم وإدريس (أخنوخ)، ونوح، وإبراهيم وغيرهم تكلموا جميعاً العربية السريانية، كما صارت هي العربية الرسمية في عهود الدولة العربية السورية بمراحلها الثلاث الآكادية والبابلية والآشورية، وكانت هي نفسها اللغة التي تكلم بها السيد المسيح. وإن العرب الأقدمين حينما كانوا يعظمون ويقدسون بعض آبائهم، المتفوقين لم يكونوا يجعلون من أولئك الآباء آلهة كما يزعم المؤرخون اليوم، إن هذا ما أكده المؤرخ السوري سانخونياتن في كتابه «تاريخ فينيقيا» (حوالي 1400 ق.م) حينما كتب يقول: «وكان لهم أبناء ذوو عظمة وسيادة بارزة وقد أعطوا أسماءهم للجبال التي كانوا حكاماً لها». وهذا أيضاً ما شرحه فيلون الجبيلي في تعليقه على كتاب سانخونياتين بعد أن نقله إلى اليونانية حيث كتب يقول: «إن الفينيقيين والمصريين الذين كانوا كمرشدين لجميع الناس الآخرين كانوا يرون أن الأرباب الكبار هم أولئك الذين حققوا اكتشافات لمساعدة وجودنا، أو الذين عمموا الخير مهما تكن طبيعته بين الشعوب، وقد دعي هؤلاء محسنين بسبب أعمال الخير الكثيرة التي يدين لهم الناس بها»[1]..

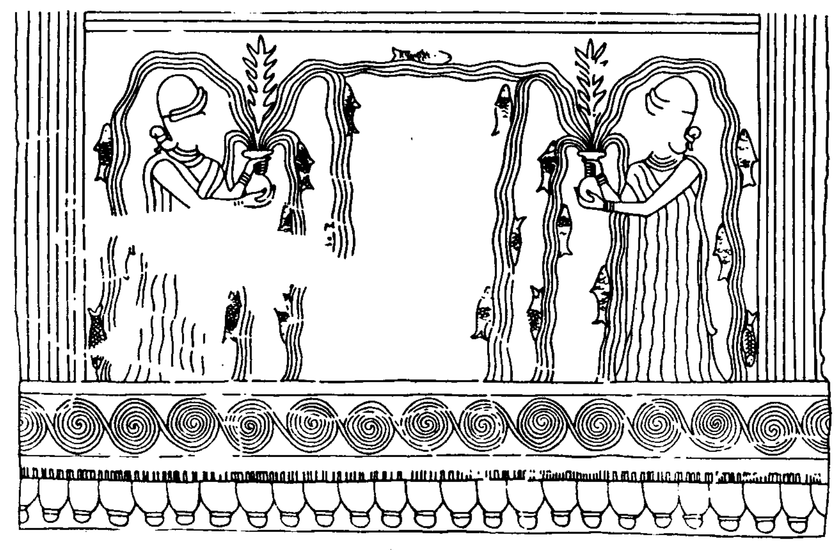
من أرض الخلاص هذه «غامد» انطلقت تعاليم عقيدة الخصب الزراعية، فحملها العرب السوريون رجالاً ونساءً ليبشروا بها وينشروها في أرجاء العالم القديم كله حتى كنت تجدهم — على حد تعبير المؤرخين القدامى — تحت كل سماء وفوق كل أرض، وحملوا معهم تقديس الأم السورية الكبرى

« عشتار » باسمائها والقابها المختلفة : انانا ، نينا ، أوجاريت ، أفروديت ، السيرة ، السيدة العذراء ، باعتبار أن ربة الخصب ينبغي أن تبقى عذراء كيلا تنتقص خصوبتها . ودعيت المغارة المقدسة في جبل غامد التي تتفجر منها ينابيع الأنهار أو مياه « حيا » منذ عدة آلاف من السنين قبل الميلاد باسم « حورانينا » أي كهف السيدة العذراء .

من « حورانينا » (أورنينا) إلى « حوراشليم » (اورشيلم)

1 - يؤكد ل . ديلابورت في كتابه « ميسو فوطاميا » (ومعناه بالعربية القديمة وسط الخصب وسط الأنهار) أن « نينا » هي السيدة وهي عشتار » . ولقد قدس العرب السوريون تلك المغارة ذات الينابيع منذ أقدم العصور ، وقرنوها بالخصب وبربة الخصب . وكانت تتفجر من تلك المغاور ستة أنهار ، كما أسلفنا ، ثلاثة منها تنحدر إلى الشرق وثلاثة إلى الغرب . واستمر تقديسها في سوريا القديمة كلها عند السومريين والأكاديين والبابليين والأشوريين والفينيقين ، وكانوا يمثلونها بالسيدة العذراء (عشتار) تحمل بين يديها إناء تتدفق منه المياه على ثوبها المخطط والمرمز برموز تمثل تلك الأنهار وتتخللها سمكات في خطوط المياه ، ولقد عثر لها في آثار مدينة ماري السورية على عدة تماثيل أطلق عليها اسم « ربة الينبوع » أو « أورنينا » أما « أورنينا » فهي حورانينا » وتعني كهف السيدة الذي فيه ماء ، وما تزال تسمية « كهف السيدة » تطلق على كل كهف يتدفق منه الماء في شتى أرجاء سوريا الطبيعية ، ولقد حول العرب السوريون نبع السيدة هذا إلى شعار ورمز مقدس ، مثلوه بإناء يتدفق منه مجريان رئيسيان يضم كل منهما ثلاثة مجار أو أنهار ، وقد عثر في حفائر ماري على لوح ظهر فيه نقش لزمري ليم آخر ملوك ماري مع ربتين تحمل كل منهما بيدها نفس الاناء الفوار ، وقد فسره الدارسون خطأ بأنه رمز لنهري الدجلة والفرات ، مفترضين أن العرب الأقدمين كانوا يعتقدون أنهما ينبعان من منبع واحد[2] .

والحقيقة هي أن العرب الأقدمين بحضارتهم المذهلة التي توصلوا إليها في شتى ميادين العلوم لا يمكن أن يجهلوا أن الدجلة والفرات ينبعان من مصدرين

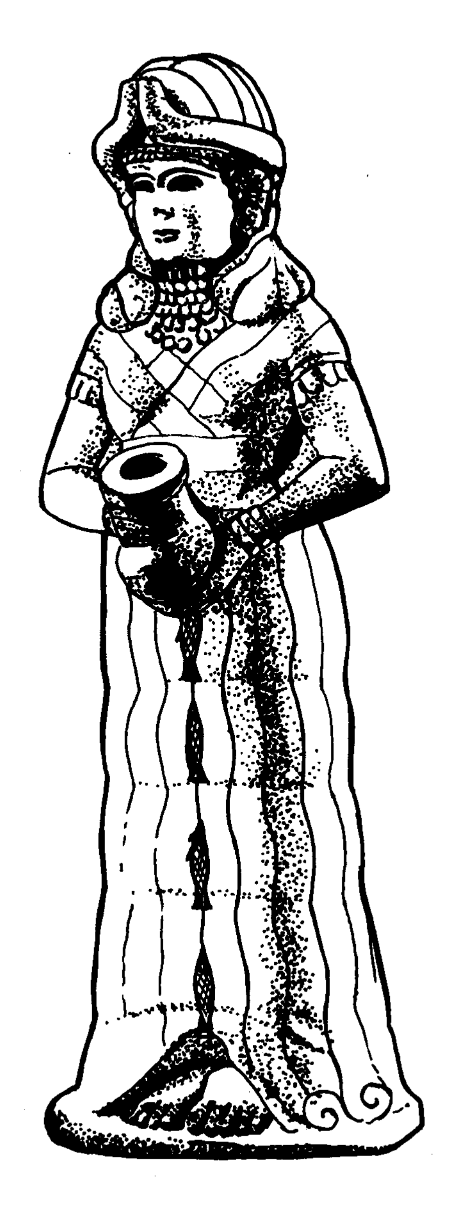


ينابيع كهف السيدة « حورانينا » . مشهد من لوحة جدارية كبيرة في القاعة رقم 106 من قصر زيمري ليم في ماري . الألف الثالثة قبل الميلاد .

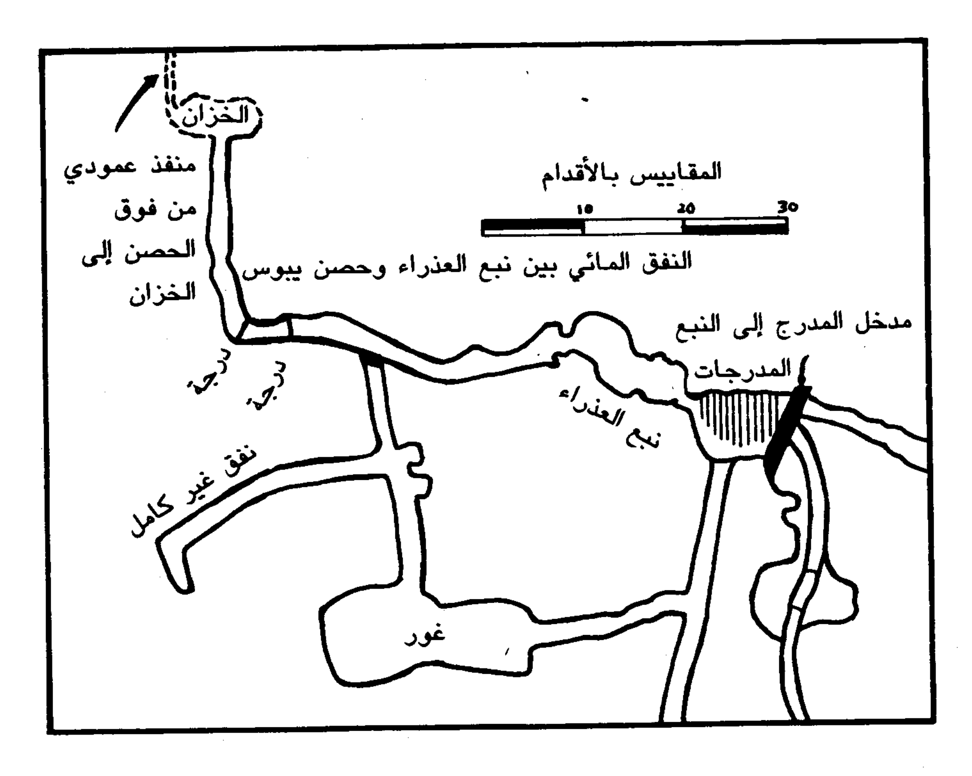
مختلفين ويلتقيان في نقطة واحدة هي في الأرض العربية ، أي على العكس تماماً مما يصوره الشعار الرمز الذي يتضمن ستة أنهار تنبع من مصدر واحد وتنقسم ثلاثة منها إلى الشرق وثلاثة إلى الغرب ، وليس في الأمر أي مجال للخلط بينها وبين الدجلة والفرات .



الكأس الذي اتخذه السوريون رمزاً للحضارة المقدسة حيث منابع مياه الأنهار التي تسقي جنة عدن في سفوح جبال غامد .



«حورانينا» (أورنينا) وتعني كهف السيدة، كما صورها السوريون القدماء، وكانت المياه تتدفق من الكأس أو الجرة التي هي رمز لخصب السيدة.



مصور ينابيع «حورانينا» و«حوراشليم» عن التوراة.

2- ومع تقدم عصر الجفاف واستمرار التصحر أخذت تلك الكهوف حيث منابع الأنهار تشح وتنضب، لكنها حافظت على قداستها عند العرب الأقدمين جيلاً بعد جيل، فتحولت «حورانينا» (كهف السيدة) إلى كهف للمتعبدين من أتباع «إيل»، وصارت تدعى «حوراشليم» (أورشليم = كهف المتعبدين)، وبقيت كذلك إلى أن شغلها اليبوسيون من أبناء عشيرة كنعان ودخلها داود مع رجاله، كما أنها بقيت محافظة على كل مواصفاتها القديمة في زمن أحداث التوراة، لنقرأ في «نبوءة حزقيال» من التوراة ولنقارن:
فكما كان «بيت المقدس» القديم أو العتيق كهفاً في رأس الجبل نجده في سفر حزقيال كذلك: «هذه شريعة البيت الذي على رأس الجبل، إن جميع تخومه على محيطه هي قدس أقداس»[3].



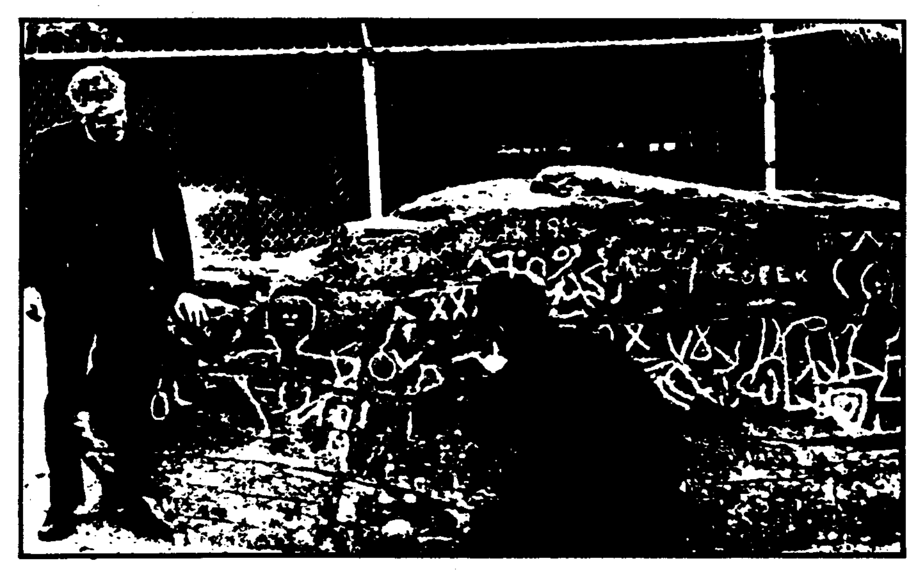
كأس سورية في اليونان ، عليها صورة ترمز إلى حورانينا (كهف السيدة)
حيث السيدة عشتار وعلى ثوبها تصعد سمكة رمز الماء ، وتوزع الخصب
على الجانبين حيث الزوبعة رمز الرغبة والاخصاب .

وكما كان باب بيت المقدس يتجه إلى الشرق زمن عشتار كذلك نجده في التوراة أيضاً « ورجع بي إلى باب المقدس الخارجي المتجه نحو الشرق وكان مغلقاً »[4] .

وكما تنبع من البيت العتيق مياه وتخرج إلى الشرق كذلك نجد في أورشليم التوراتية « وزجع بي إلى مدخل البيت فإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت نحو الشرق لأن وجه البيت نحو الشرق والمياه تنزل من تحت من جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح »[5] .

وكما تنبع من البيت العتيق مياه « حيا » (أيا) رب الماء العذب والحياة والمعرفة وتتوزع قسم منها إلى الشرق وقسم إلى الغرب مكونة ثلاثة أنهار تنحدر شرقاً وثلاثة أنهار تنحدر غرباً فإننا نجد الأمر ذاته في أورشليم التوراتية « ومنهاتخرج ينابيع مياه حية نصفها يتجه إلى البحر الشرقي ونصفها إلى البحر الغربي »[6] ولا يغيبن عن الذهن كيف أن « مياه حيا » نقلت في الترجمة العربية إلى « مياه حية » .

إن ذلك كله لا يمت بأية صلة إلى مدينة القدس التي صار يطلق عليها اسم « أورشليم » على أيدي المستشرقين الاستعماريين والصهاينة ، ومع هذا فقد صارت مغارة المياه العربية المقدسة هي نفسها مدينة القدس العامرة منذ ما لايقل عن خمسة آلاف من السنين !



صخرة ديكتون في أمريكا الشمالية وكتابات فينيقية .

الأرض العربية و« الأرض المقدسة » في التراث

تحدثنا عن طبيعة جزيرة العرب زمن الخصب ، وبينا كيف أن بلاد غامد التي تتفجر منها ينابيع الأنهار لتوزع الحياة والري والخصب شرقاً وغرباً ، إنما كانت بالنسبة للعرب الأقدمين الذين أنجزوا أول ثورة زراعية في العالم وأبدعوا معها عقيدة الخصب منذ ما يقرب من اثني عشر ألف سنة قبل الميلاد ، بمثابة المركز أو السرة أو القلب من الجسد الحي الذي يضخ الفكر والعقائد كما يضخ ماء الحياة .

وإذا كانت مساحة انتشار تلك المياه محدودة في المكان والزمان ، خاصة بعد أن تراجعت وتلاشت مع تقدم عصر الجفاف عبر آلاف السنين ، فإن العقائد والأفكار التي أبدعها إنساننا منذ أقدم العصور ، وفي فترات تاريخية متصلة ومتعاقبة ، لم تغط ساحة الوطن العربي القديم كله فحسب ، بل تجاوزته شرقاً إلى حوض السند وغرباً عبر شواطىء المتوسط الشمالية والجنوبية إلى الأطلسي ، بل تعدته إلى الشواطىء الأمريكية التي وصلها السوريون وخلفوا

النص الفينيقي المكتشف على صخرة « بارايبيا » في البرازيل وترجمته إلى العربية الحديثة . يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد ، أي إلى ما يقرب من ألفي سنة قبل كريستوف كولومبس .

ممّا جاء في النص : « ... وبفضل مقاومة الرجال في البحر تمكّنا في عشرة مراكب من أن ندور حول أرض حام (أفريقيا) لمدة سنتين ، لكن عاصفة من يد بعل فرقتنا ، ولذلك انفصلنا عن رفاقنا ، وجئنا إلى هنا ، ونحن اثنا عشر رجلاً وثلاث نساء إلى ساحل جديد بإشرافي أنا الأميرال . ونرجو من الآلهة أن يترأفوا بنا (أن ينعموا علينا) » .

فيها آثارهم ومسمياتهم قبل كريستوف كولومبوس بما ينوف على ألفين وخمس مئة عام[7] وقبل أن نباشر الحديث عن « الأرض المقدسة » التي كانت مركز هذه العقائد والأفكار في التراث العربي نعود لنذكر مرة أخرى بالنقاط المهمة التالية :

1 - إنه لا يمكن لأي دارس أن يتعرف على الحقيقة التاريخية للشعب العربي إذا لم يتعرف ، وعن كثب ، على اللغة العربية القديمة والحديثة بكل كتاباتها

ولهجاتها، هذه اللغة التي بقيت وحدها لغة الحضارة الإنسانية على هذا الكوكب منذ الالف الثاني عشر قبل الميلاد، وحتى عصر النهضة الأوروبية الحديث.

2- أما النقطة الثانية التي يجهلها أو يتجاهلها عمدا كتبه تاريخنا العربي من الأجانب، فهي وحدة هذا التاريخ أرضاً، وسكاناً، وثقافة وفكراً، وديناً، ولغةً، وحضارةً. وبدون فهم هذه الحقيقة التي ما تنفك المكتشفات الآثارية تؤكدها يوماً بعد يوم، وبدون الإقرار بها، يستحيل على الباحثين أو الدارسين فهم كل هذه المظاهر الحضارية الثرة المتراكمة على الأرض العربية الشاسعة والتي تملأ أكثر من ثمانين في المئة من أكبر متاحف بلدان العالم اليوم.

3- والنقطة الثالثة والأخيرة هنا هي أن شبه جزيرة العرب كانت، منذ عهود الخصب الأولى، بمثابة المركز الذي أعطى البشرية عقيدة الخصب الأولى، كما أعطاها عقيدة التوحيد الأولى، مما جعلها تحتضن «الأرض المقدسة» منذ العصور الأولى الموغلة في القدم وحتى اليوم.

ومن أجل أن تتكشف أبعاد هذه المسألة نرى أن لابد من أن نتوقف عندها قليلاً في استعراض تاريخي موجز، نتلمس من خلاله موقع «الأرض المقدسة» عبر مراحل التاريخ العربي بصورة صحيحة نهائية حاسمة، فتظهر لنا حقيقة هذه الأرض عربية المنشأ والجذور، السكان واللغة، الدين والتاريخ والمعتقد، لم تستعر شيئاً من أحد، بل أفاضت بعطائها حتى غمرت ثلاثة أرباع العالم القديم والحديث، ونسقط مرة واحدة وإلى الأبد عملية التزوير في التاريخ والجغرافيا، هذه العملية التي تتكرر اليوم للمرة الثالثة، وكانت في كل مرة تتخذ ذريعة واهية وباطلة من قبل القوى الأجنبية الطامعة باحتلال الوطن العربي والتحكم بمقدراته.

آ- عقيدة الخصب و«الأرض المقدسة»

لقد ورث العرب السومريون عقائدهم عن أسلافهم من العرب العبيديين وغيرهم من العرب الآخرين سكان شبه الجزيرة العربية. فاعتقدوا أن الحياة في الأزمان

الغابرة كان يكتنفها الصراع بين طرفين متناقضين : أحدهما الماء العذب والآخر الماء المالح فالأول مصدر الحياة والخصب والنماء ، والثاني مصدر الفوضى والعدم والعقم والموت .
وأطلقوا على الأول اسم « افصيو » « أبسو » وتعني الخلاص ، الحياة ، النجاة ، وعلى الثاني اسم « تهامت » وهي في القاموس الكلداني تهومات وتعني الغور ، القعر ، اللجة ، الهوة ، العمق ، وفي محيطالمحيط هي « التهمة » وتعني خبث الريح ، والزهومة ، والركودة ، والهوة ، والأرض المتصوبة إلى البحر ، وقد مثلوا الماء العذب تصويراً بمجموعة كبيرة من النوافير في قاع الأعماق تؤلف من فوقها حوض « أفصيو » تحت الجبال الذي ما يلبث أن يتفجر ينابيع وعيون ماء غزيرة من كهوف في الجبل أهمها « حورانينا » (كهف السيدة) ويوزع ماء الحياة شرقاً وغرباً في مجموعة الأنهار التي تنشر الري والشبع والخصب على الضفاف ، وكنا قد بينا كيف أن جغرافية هذه المنطقة لا يمكن أن تكون إلا في جبل غامد (أرض المخلص) من السراة في شبه جزيرة العرب ، وقد أصبح ذلك الكهف النبع القائم في رأس الجبل منذ العهود السحيقة مسكناً لأرباب الخصب ، ومقامهم ، ومزارهم ، كما صار هو المعبد المقدس وفيه سرة الأرض « والحجور » (ايجور) أي غرفة الرب ، المنصة المحجورة ، الممنوعة ، الصخرة وهي مركز الأرض ، والكلمة في القاموس الأكادي تعني الحجرة ، الغرفة ، المحجورة ، الممنوعة ، الدائرة ، كرة الأرض ، الصخرة ، وهي قدس الأقداس ، واسمه أيضاً المعبد الأقصى كما سوف نرى فيما سوف يلي من النصوص .
يقول صموئيل كريمر في كتابه « من ألواح سومر » ما يلي : «كان الناس يعتقدون في أولئك الأرباب أنهم يعيشون فوق الجبل .. في الموضع الذي تشرق عليه الشمس ... ومن الأرباب الذين يقومون على رأس المجموعة « أنقي » الموكل بمياه العمق التي تسمى في السومرية « أبسو »[8] .
وتصف النصوص السومرية ذلك الكهف « حورا » (ويكتب باللغات الأجنبية « أورا ») الذي اعتقد الدارسون الأجانب خطأ أن المقصود به مدينة « أور » العبيدية في جنوب العراق كما يلي :

«لقد أتى إلى «حورا» إلى المزار
أنكي ملك أبسو يقرر مصيره قائلاً :
أيتها «المدينة» الموفورة الزاد، العميمة المياه، القائمة كالثور القوي الثابت
أنت منصة خير البلاد، أنت خضراء كالجبل
أنت غابة الكافور ذات الظلال الوارفة
أيتها «المدينة» التي قدّر مصائرها أنكي
يا «أور» (حورا) أيها المزار، عساك أن ترتفع إلى عنان السماء»[9]

وتقول الروايات السومرية إن الربة «أنانا» عشتار حينما اعتزمت أن تزيد من خيرات مدينة أوروك شدت الرحال إلى «أرديو» حيث يسكن الرب «أنكي» سيد الحكمة «والذي يقطن في مسكنه المائي في مياه الـ «أبسو»»[10]. إن «أريدو» هنا ليست إذن هي مدينة «أريدو» في جنوب العراق كما يفترض المستشرقون، وإنما هي -كما هو واضح وصريح- من النص بيت الماء حيث يسكن «أنقي». وهي في القاموس الكلداني «رديو» وتعني الماء، الينبوع، الجدول، المجرى، المني، الزرع، الرحم، التعليم، التهذيب، التطهير. وليس من شك في أن حوض «أرديو» الذي يتكرر ذكره في النصوص السومرية ليس إلا حوض التطهير في مياه «أنقي» المقدسة، وقد استخدم من أجل التطهير والتعميد والوضوء منذ أيام العرب العبيديين والسومريين، ومروراً بزمن يوحنا المعمدان، واستمر في طقوس المسيحية حتى اليوم.

يقول ل. ديلابورت في صدد حديثه عن الديانة السومرية :
«والاسم السامي لـ «إيا» ثالث إله في الثالوث الأعظم معناه «بيت الماء» أما اسمه السومري فهو «أنكي» وكانت مملكته الـ «أبسو» هي المياه التي تحمل أرض المعبد وتحيط بها .. وهو الذي أنقذ البشر من الهلاك زمن الطوفان، وكشف عن صناعات مختلفة للإنسان ومنح الذكاء للملوك، وساعد الكهنة على تأدية وظائفهم المقدسة، وخاصة في الطقوس التي كان يستعمل لممارستها ماءً مقدساً يؤخذ من حوض «أبسو» في معبد أرديو»[11]. إن المياه المقدسة عند العرب الأقدمين التي كانوا يستعملونها للتعميد والتطهير منذ العصور الموغلة في القدم هي إذن مياه أبسو (أفصيو — المخلص) في جبل غامد

(أرض المخلص) وليست مياه نهر الأردن كما صارت في التزوير اليوم ، إن نهر الأردن لم يعرف بهذا الاسم طيلة عصور ما قبل المسيح وليس يعقل أن يكون هو حوض أبسو الذي تتفجر مياهه من «كهف السيدة» ليصنع ستة أنهار نصفها يتجه إلى الشرق ونصفها الآخر إلى الغرب ، كما أنه لا يمكن أن يكون هو المنبع أو الحوض المقدس عند العرب الأقدمين في شبه جزيرة العرب من عبيديين وسومريين وغيرهم .

وهذا الكهف «بيت الماء» هو المزار ، وهو المعبد الأقصى حيث يتوافد الأمراء والأسياد ليقيموا صلواتهم :

«الجبل العظيم» الأب إنليل
قد أقام مجلسه على منصة الحوجور
المعبد الذي لا ترد ولا تبدل نواميسه المقدسة مثل السماء إن نواميسه المقدسة
كنواميس الـ «أبسو» ما من أحد يستطيع إدراكها
وقلبه «قلب المعبد» المزار الأقصى إنه سر خفي كسمت السماء
الحوجور بيت حجر اللازورد المسكن السامي الذي يبعث الرعب في القلوب
إن رهبته وخشيته لتضاهيان السماء
وظله منتشر على جميع الأقاليم
وتساميه يبلغ قلب السماء
الأسياد والأمراء كلهم يأخذون إلى هناك
الهدايا والقرابين المقدسة
ويقيمون الصلاة هناك ويتلون الدعوات والتضرعات»[12] .

وهكذا نجد أن هذا المعبد اقترن منذ الزمن العربي الموغل في القدم بالعناصر الوصفية الملازمة الثلاثة : فهو المعبد الأقصى ، وفيه «الحوجور» منصة اللازورد أو الصخرة ، وفيه حوض مياه التطهير والتعميد المقدسة «أرديو» .

ب- عقيدة التوحيد والأرض المقدسة :

لقد جاءت عقيدة التوحيد العربية مقترنة بـ «إيل» (الله) منذ عهد آدم ، فكانت

أسماء الكثير من أبنائه مقترنة به : هابيل ، قابيل ، مهلائيل ، بتوئيل .. كما صارت أسماء الملائكة مقترنة به أيضاً : جبرائيل (رجل إيل) ، ميكائيل (نظير إيل) ، عزرائيل (مساعد إيل) الخ .. (ونلفت النظر إلى أن كلمة « ملاك » العربية هي من العربية القديمة لإك = أرسل ، بعث ، ملاك = مرسل ، رسول ، مبعوث . فالملائكة هم رسل إيل من السماء إلى الأرض) ولقد عاشت عقيدة التوحيد المقترنة بـ « إيل » جنباً إلى جنب مع عقيدة الخصب في شبه جزيرة العرب . إن التاريخ العربي يؤكد لنا تواصل ظاهرة التوحيد واستمرارها بدءاً من آدم ، وهابيل ، وشيث ، وقينان ، ويرد ، ومهلائيل ، واخنوخ (إدريس) ولمك ، مروراً بنوح ، وسام ، وأرام ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط ، وبعض فراعين عشيرة المصريين كالريان بن الوليد فرعون يوسف الأول[13] وحفيدته السيدة آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون موسى التي احتضنت موسى ورعته وربته على عقيدة التوحيد ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾[14] . وموسى ، وداود ، وسليمان ، وإلياس « إيليا » . وزكريا ، ويحيى ، والسيدة مريم بنت عمران ، وعيسى ، والأحناف من عرب الجاهلية قبل الإسلام ، ومنهم قس بن ساعدة الأيادي ، والشاعر لبيد صاحب القول المشهور « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » والذي قال فيه محمد رسول الله : « إنها أصدق كلمة قالها شاعر » وعبد المطلب ، وأبو طالب ، وعبد الله ، وورقة بن نوفل وغيرهم كثير إلى أن جاء محمد رسول الله ، فكان أول وآخر نبي يعيش انتصار قضية التوحيد في حياته .

« الأرض المقدسة » ما بين آدم ونوح

تجمع مصادر التاريخ العربي على أن آدم ، أهبط على جبل يقال له « ند » ولما كانت العربية القديمة تكتب بدون أحرف صوتية وبدون تنقيط ، فقد صار يكتب فيما بعد « نود » و« نودي » وأحياناً صارت تضاف إليه هاء التعريف فيكتب « هند » أو « هنودي » كما كتبه آخرون « بوذ » وهو القليل النادر[15] . ولو أننا فتحنا القاموس الكلداني لوجدنا أن كلمة « نودي » تعني : النتوء ، الجبل ،

السرة ، النبع المتفجر من الجبل ، الزلزلة ، البركان ، وهي من الفعل ندا — نوديا = تفجر ، ترشش ، ارتفع ، تصاعد البخار أو الدخان أو نحوه ، تحرك ، تزلزل ، ماد ..

« فنظر آدم حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل .. ثم ضرب التنور .. وهو الذي ورثه نوح وهو الذي فار بالعذاب بالهند »[16].

و« الهند » هي جبل « نودي » كما أسلفنا إذ الهاء للتعريف . « وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزل يطاف بها حتى أحدث الله تعالى الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة ، إلى أن بعث الله تعالى إبراهيم فبناه ، فذلك قوله تعالى « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت » « فأوحى الله تعالى إلى آدم ، إن لي حرماً بحيال عرشي فانطلق فابن لي فيه بيتاً ، ثم حف به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي .. فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سينا ، وطور زيتون ، ولبنان ، والجودي ، وبني قواعده من حراء »[17].

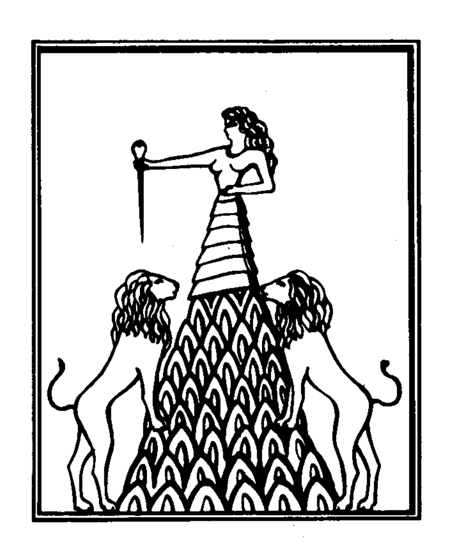
ولابد لنا هنا من وقفة متأنية جغرافية ولغوية ومنطقية :

1 - لاجدال في أن الموقع هو ضمن الأرض العربية .

2 - كنا قد شرحنا معنى طور سينا وقلنا إنه جبل العليق ، وموقعه شرق غامد قرب العقيق عند وادي طوى حيث تجلى الرب لموسى في نار العليق المشتعل وخاطبه قائلاً : « فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » كما كنا قد شرحنا أن جبل لبنان يعني جبل الصنوبر أو البخور ، والكلمة جمع لبن (لبان) في العربية القديمة وتعني الصنوبر ، البخور ، الكندر ، وجبل اللبان أو الصنوبر هو جبل غامد حيث كهف السيدة العذراء « حورانينا » التي كثيراً ما صورت على رأس جبل من الصنوبر ودعيت بـ « عشتار الجبل » وقد انتقلت مع السوريين إلى قبرص وكريت ، حيث عثر على تماثيلها في عدة مواضع .

3 - وجبل الزيتون هو هضبة أخرى من طور سينا ، وقد أكد لنا القرآن الكريم ذلك ﴿وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ للآكلين﴾[18].

4 - أما جبل « جودي » فالكلمة في القاموس الكلداني من جدا — جوديا = شب ، علا ، ارتفع النار خاصة ، قذف ، اصعد ، إن هذا يذكرنا بجبل « نودي » الذي يحمل معنى الزلزلة والاندفاع البركاني كما يذكرنا بـ « التنور » الذي



عشتار الجبل ، وقد انتشرت عبادتها في كل أرجاء مناطق انتشار العرب السوريين من غامد في شبه جزيرة العرب إلى جزيرة كريت .

فار بالعذاب . فالتنور كلمة عربية قديمة مؤلفة من « تن » بمعنى الدخان الكثيف المتلوي المتصاعد و« نور » وتعني في العربية القديمة النار . ومن « تن » كانت كلمة « تنين » في العربية القديمة إذ شبهوا البركان بوحش خرافي ينفث الدخان والنار . وجبل « اتنا » في صقلية هو تسمية عربية فينيقية يعين جبل البركان . إن هذا كله يؤكد لنا أن آدم ، كان على جبل من جبال شبه جزيرة العرب الشهيرة بجبالها البركانية في منطقة عسير والسراة التي ما تزال ماثلة بفوهاتها حتى اليوم . وتؤكد المصادر العربية أن هذه الفوهة الباردة (التنور سابقاً) تفجرت بالمياه زمن الطوفان ، وكانت تشكل من حين لآخر أكبر فوهة تقذف بالمياه ، وكان فورانها علامة لبدء الطوفان . وقد أورد الطبري في تاريخه « فقيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك »[19] .

إن هذه الفوهة البركانية المخروطية التي فارت بالعذاب ، وتفجرت بالمياه زمن الطوفان ، وأهبط عندها آدم ، وضربها بقضيب الحديد ، وبقيت زمن نوح ، هي التي دعيت في التراث العربي القديم بـ « التنوّر » وتقدست ، وهي التي

أوردها القرآن الكريم بهذه التسمية أيضاً ﴿إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كلٍ زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول﴾[20] ، وقد كانت فوهة بركانية ناشفة تتفجر بالماء بين فترة وأخرى منذرة بحدوث كوارث طوفان أو فيضانات .

ولقد كان من أسمائها التي عرفت بها أيضاً « القوط » وكانت القاف تلفظ قافاً بدوية مما جعلهم يكتبونها مرة « القوط » وأخرى « الغوط » . يقول الطبري في تاريخه « فلما دخل (نوح) وحمل معه من حمل تحرك ينابيع القوط الأكبر وفتحت أبواب السماء كما قال الله لنبيه (ص) ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر﴾[21] .

ولو أننا عدنا إلى القاموس الكلداني لنتعرف على معنى هذه التسمية الأخرى لتلك الفوهة لوجدنا الآتي :

قوط = غرق ، أهوى ؛ غاص ، غاض ، نشف . والقوطة ، في العربية القديمة والحديثة ، القفة ، الجلّة الكبيرة ، كل إناء ذو فتحة مخروطية . وهي ، بالتالي ، مرادفة لـ « تنّور » و« تنورة » .

سبق أن شرحنا في الحلقة الأولى كيف أنه مع بداية العصر الدفيء الحالي في حوالي 14000 ق . م بدأت كتل الجليد التي كانت تغطي حتى أواسط فرنسا الحا لية بسماكة مئات الأمتار بالذوبان تدريجياً ، مما أدى في حوالي 5000 — 4000 ق . م ، وهو زمن آدم الرسول ، إلى ارتفاع مناسيب مياه البحار والمحيطات قرابة 200 م كما يؤكد جميع علماء المناخ في العالم اليوم . لقد تقدمت مياه بحر العرب نتيجة لذلك ، وخلال عشرة آلاف سنة ، لتغطي منطقة ما يدعى اليوم بالخليج العربي مغرقة من تحتها جنة العرب العبيديين والسومريين دافعة بهم إلى جنوب العراق والشواطىء الغربية للهند ، كما اندفعت في صدع منطقة البحر الأحمر الهائل لتملأه ، ولتحدث ، من ثم ، ضغطاً جديداً هائلاً على جدران القشرة الأرضية المحيطة بالـ « ابسو » (مياه العمق العذبة) في جزيرة العرب من الجانبين ، مما أحدث التواءات واهتزازات وزلازل وبراكين ، أعقبتها تفجرات كبيرة للمياه المنضغطة ، فتفجرت بالمياه من كل الفوهات والمنافذ محدثة ذلك الفيضان العظيم ، إلى أن تم التوازن

الجيوفيزيائي. وحدث الاستقرار النسبي في حوالي الألف الرابع قبل الميلاد أو عند نهايته.

يقول ليونارد وولي «إن الحضارة العبيدية كانت قائمة في منابع حضارة السومريين.. وبالاضافة إلى أنهم أورثوا السومريين اسطورة الطوفان العالمي، وهذا لا يدعو إلى الشك، فإنهم هم من عاش هذه الكارثة، ولم يكن بوسع غيرهم تأليف هذه الاسطورة»[22]. ويقول كوندراتوف «لقد كانت هناك مجموعة من الطوفانات، ويعود تاريخ الطبقة الطوفانية التي اكتشفها ليندجودن في مدينة «كيش» إلى حوالي 3100 ق.م. أما الطوفان العالمي الذي اكتشف وولي آثاره فيؤرخ بحوالي 3500 ق.م ويرجع عهد الطبقة التي اكتشفت في شورباك (مدينة في العراق يعني اسمها سيد بكة) إلى تاريخ آخر[23]. «وبوسعنا أن نتصور قوة الحركة في القشرة الأرضية التي يفترض أنها نتجت عن ذوبان جليد المرحلة الجليدية العظمى الأخيرة، عندما تحركت كميات ضخمة من المياه يزيد وزنها عن وزن سلسلة جبال القفقاز بعشرات المرات»[24].

الطوفان في التراث العربي القديم:

إن طغيان ماء البحار على اليابسة، وتدميرها للحياة في معظم المواقع ما هو إلا صورة للتراث العربي القديم العبيدي والسومري والبابلي، وقد أساء المستشرقون فهمه في قصة الصراع بين أبسو (فصيو = الماء العذب، الخلاص، الحياة) وتهامت (الماء المالح، اللجة، البحر) حينما زحفت «تهامت» بـ «وحوشها» الهائلة المخيفة المدمرة و«تنانيها» المرعبة التي تنفث الدخان والنار مهددة بتدمير الحياة على الأرض. فتصدى لها «أنقي» الماء النقي، ولقبه البابلي «مردوك» (أي الرب الحارس) مر + دوك، ونشب بين الفريقين صراع عنيف، تمكن في نهايته «أنقي» أو «مردوك» من أن يحسمه لصالح الحياة، فقهر تهامت، وشطرها إلى شطرين، واحد نشره على وجه الأرض وآخر حبسه في الأعماق، وتركه يزفر ويئن في سجنه تحت الجبال، ثم عادت مياه الـ «أبسو» لتملأ الأنهار، ولتسقي الأرض الجنة وتنشر

في ربوعها الخصب ، وتبعث في أرجائها الحياة من جديد :

«تهامت تزأر ، غضبها مخيف
تنوي الشر بقلبها ، تخلق التنانين الهائلة ..
تلبسها ثوب الرعب ..
بغضب صاحت تهامت عاليا
وارتعشت ساقاها من جذورهما ..
ملأت الرياح الهائجة بطنها
وانتفخ جسمها واتسع فوها ..
اطلق مردوك سهما مزق بطنها
اخترق الأحشاء وشق قلبها
هكذا غلبها واطفأ حياتها
طرح جثتها ووثب فوقها .
والأرباب الذين ساندوها ومشوا بجوارها
هزهم الرعب فولوا الأدبار ..

طوقهم بإحكام فلم يجدوا مهربا
جعلهم أسراه وحطم أسلحتهم
وضعوا في زنزانات وامتلأت قلوبهم نواحا
تحملوا سخطه فاضحوا سجناء ..
أغلق النوافذ وأقام الحراس عليها
أمرهم أن يمنعوا مياهها من التسرب
عبر الجبال المرتفعة (شمي) وتفحص الأصقاع

حدد مياه الـ «أبسو» مسكن «حيا»
البيت العظيم «حيراشار» الذي جعله «خالداً»

(من اللوح الرابع من «ملحمة الخلق» العربية السومرية)

إن هذا النص العربي القديم يقدم لنا وبكل وضوح صورة شاعرية ، ناطقة

لظواهر الطوفان وما قبله التي نجمت عن استمرار ذوبان الجليد لمدة عشرة آلاف عام مما أحدث تغيرات مفاجئة في المناخ، وسبب زحف مياه البحار بضغطها الهائل على اليابسة حدوث زلازل والتواءات وبراكين، كما أحدث تفجيرات هائلة لمياه العمق من كل الفوهات والينابيع، إلى أن حدث الاستقرار وخمد هيجان تهامت (البحر) فانحبست مياه الأبسو في أحواضها تحت الجبال. كما حدد لنا بدقة موقع «البيت العظيم» الذي هو بيت المقدس، بيت الرب العظيم منذ أيام العرب العبيديين والسومريين والبابليين في «حيراشارا»، ومعناه كهف السيدة، حيث منبع الأنهار فوق مياه الأبسو. وكنا قد شرحنا معنى «حورا» (الكهف، المغارة) وكذلك «حيرا» و«حِيرتا» إذ هي جميعاً في القاموس الكلداني من الفعل حر — حورا = اعتكف، سكن الكهف، اعتزل، تعبد، لبس البياض. ومنها جاءت «الحواري» = الراهب، المتعبد، لابس البياض. و«الحواريون» هم جماعة السيد المسيح الرهبان المتعبدون في «حوراشليم». والفرق بين «حيرا» (المغارة) و«حيرا» (السيدة، الشريفة) هي في القاموس الكلداني من فعلين مختلفين إذ الثانية من «حار — حيرا».

أما «شارا» و«شارتا» فتعني السيدة، الملكة، وهي «سارة» أيضاً، مؤنث «شار» (سر) بمعنى السيد، الملك ومنها كان لقب الملك العربي السوري العظيم «سرجون» (شاروكينو) أي الملك العادل، و«شار كل شاري» = ملك الملوك.

«بيت المقدس» واحد في التراث العربي:

إن استعراضاً سريعاً للنصوص التي تتعلق بـ «بيت المقدس» في التراث العربي القديم، سواء ما يخص منها عقيدة الخصب أم عقيدة التوحيد والتي مررنا على ذكرها في حلقاتنا السابقة، تجعلنا نضع اليد على الحقائق الثابتة التالية:

1- إنه بيت المقدس على رأس جبل.
2- إنه كهف دعي «كهف السيدة» زمن الخصب، و«كهف المتعبدين» زمن التوحيد.

3- ومن هذا الكهف في رأس الجبل تتفجر ينابيع الحياة غزيرة دعيت «نبع السيدة» أو «مياه حيا» لتكون أنهاراً تسقي جنة الله (حقول إيل) أو جنة عدن.

«وضربت أنات (حنة = الزوجة، البعلة) بقدميها
فزلزلت الأرض، وأدارت وجهها إلى
منبع الأنهار (افقا نهرم، أفقا = نبع)
ومن بركة النهرين دخلت حقول إيل»
(من لوحة «موت كيريت»)

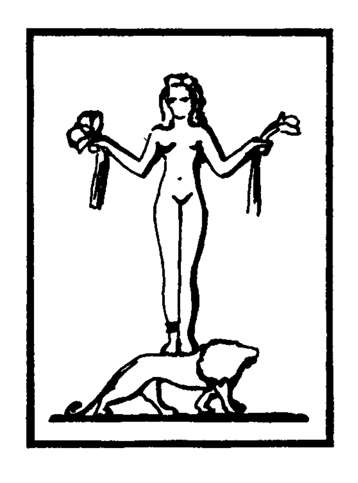
4- ومن أهم هذه الأنهار التي تخرج من «بيت المقدس» نهر الفرات. و«الفرات» هو وزير حانو (آنو) رب بيت الماء ومساعده من أجل إخصاب أرض الجنة:

«ولسبعة أيام لم تهب ريح الجنوب على البلاد نادى آنو على وزيره الفرات:
لماذا لم تهب ريح الجنوب على البلاد هذه الأيام السبعة
أجابه وزيره الفرات:
إن أدابا بن إيا قد كسر جناحها»
(جلجامش، اللوح الأول).

وكذلك الأمر في التوراة إذ نجد أن النهر الكبير (الفرات) ينبع من بيت المقدس[25].

وثاني هذه الأنهار هو هدقلة (ويعني النخلة)، ويسمى أحياناً «قوثرا» (الكوثر) ويعني في القاموس الكلداني: الصخرة العظيمة. الكهف العالي، المرتفع، الشامخ، المتكبر، باب يكون في الدجلة، شجرة عظيمة على النهر، المصباح، القنديل.

«فأرسل إيل رسولين.. (وقال لهما:)
اعبرا الجبال، اعبرا المخاوض
اعبرا على القمم الشامخة
انهضا.. وجهتكما هي «هكفتا»
اذهبا إلى كوثرا (قوثرا)



عشتار على ظهر أسد أو « الراكبة واقفة » وهو أحد ألقابها . أوغاريت .

لأن « جريتا » عرشه
و« هاكفتا » أرض ميراثه » [ملحمة بعل]
ولابد من التوقف عند كلمتي « هاكافتا » التي يترجمها المستشرقون خطأ « مصر » و« جريتا » التي يترجمونها خطأ « كريت » .
إن الهاء هي للتعريف و« كافتا » تلفظ بالعربية القديمة « كابتا » وتعني في القاموس الكلداني الكعبة ، الصخرة ، الصفاة ، اللازورد .
أما « جريتا » فتعني شبل الأسد ، ومن المعروف أن الأسد هو عرش عشتار ، فقل أن عثر لها على صورة إلا وهي تقف على ظهر أسد ، أو واقفة على جبل البخور أو الصنوبر يحيط بها أسدان (كما في عشتار الجبل) أو تجلس متكئة بذراعيها على أسدين من الجانبين .
وهذه الأنهار هي التي تخرج من بيت المقدس في جنة عدن وتسقي حقول إيل (جنة عدن) :

« أمطار بعل تروي الأرض
وللحقول مياه الحوجور (الحجرة ، الصخرة ، المنصة) العالية
[من لوحة « موت كيريت »]

و« حقول إيل » هي جنة عدن ، وهي التي انتقلت مع العرب السوريين إلى بلاد اليونان وأوربا، ودعيت بالفرنسية « شانزيليزيه » أي « حقول إيل » .
وهي نفسها التي تخرج من جنة عدن في التوراة تسقيها الأنهار التي منها هداقل والفرات[26] .

وكما نقل العرب السوريون جميع العقائد التي مركزها جبال السراة وما حولها من شبه جزيرة العرب إلى جميع مناطق انتشارهم فقد نقلوا أيضاً لغتهم العربية السريانية ثم العربية العرباء ، كما نقلوا معهم جميع أسماء المنطقة المقدسة في المركز الذي اعتبروه « سرة » الأرض منذ الزمن الموغل في القدم . فباسم « حورا » الكهف المقدس دعا العبيديون مدينتهم « حورا » (أور) في جنوب العراق ، وباسم حوض « أريديو » المقدس دعوا مدينتهم الثانية « أريدو » وأطلقوا على النهرين اسمي هدقلة (الدجلة) والفرات ، وتيمنا بـ « كوثى » في غامد دعيت الكوفة . وتيمنا بجبل عشتار ، جبل الصنوبر أو البخور « لبنن » دعيت الجبال في الساحل السوري « لبنان » وباسم « بيت العظيم » الذي هو كهف المتعبدين نفسه دعي مقام البعل في سورية « بعل بك » وهو « بعل بكة » أو بيت العظيم = المتكبر ... إلخ . وفي هذا شاهد صارخ على وحدة التاريخ العربي شعباً ولغة وحضارة وفكراً وديانات منذ آلاف السنين قبل الميلاد وحتى اليوم .

5 - وعلى الجبل ، حيث أهبط آدم ، وعاش في الجنة الأرضية ، وضع أول بيت مقدس للبشر ، « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين » .
و« بكة » هي غير « مكة » . والقرآن الكريم المعجز في دقته لم يقل « مكة » علماً أنها هي وحدها التي كانت معروفة في أرض نزول القرآن . أما « بكة » فهي في القاموس الكلداني تعني : العظمة ، الكبرياء ، المجد ، الخصب ، و« بكو » تعني الديك ، المخصب ، المتبختر ، و« بعل بك » تعني بعل المخصب العظيم .
6 - وعلى الجبل نفسه استقرت سفينة نوح زمن الطوفان واسمه في المصادر « جبل نزيري » Nasiri وتعني الكلمة الرهبان ، المتعبدين .
وفيه اعتزل وترهب السيد المسيح مع تلاميذه ودعي « يسوع نصيريو » أو « نزيريو » ، أما الأولى فتعني في القاموس الكلداني الشكور ، المسبّح ، الممجد ،

المرتل ، وهي من الفعل نصِر — نصيرو ، نصِرانو = مدح ، مجدّ ، شكر ، مدح ، رتّل ، ناح ، بكى ... ومنها جاءت كلمة « نصراني » التي لا يمكن أن تشتق من كلمة « ناصرة » في العربية القديمة والحديثة كما صارت بعد التزوير وتجمع على « نصارى » ، ومن الكلمة أيضاً تألف لقب الحاكم « نبو حد نصر » ويعني نبو وحده يتمجد ، المجد لنبو (وهو اسم عطارد) وحده . أما كلمة « نزيريو » فهي في العربية القديمة والحديثة تعني : العابد ، الناسك ، الزاهد ، المعتزل ، المتعفف ، الصائم ... إلخ ، وهي في القديمة « نزيرو » و« نزيريو » وفي العربية الحديثة « نزير » . ولقد ترجمت الكلمة عن الأجنبية Nasiro إلى العربية خطأ إلى « الناصري » نسبة إلى مدينة الناصرة في فلسطين ، علماً أن كل المصادر تجمع على أن السيد المسيح ولد في مغارة « بيت لحم » حيث كان يأوي الرعاة مع أغنامهم . و« بيت لحم » هي إحدى المغاور الينابيع القديمة في الجبل نفسه قرب « حوراشليم » ومعناها بيت الخبز ، بيت القمح . وكانت تؤلف أحد المنابع الرئيسية لنهر الفرات ، لذلك كان اسمها القديم « أفراتا » وقد دعيت المغارة النبع بإسم « لحمو » الذي هو ابن « أبسو » (الماء العذب النقي) في الميثولوجيا العربية السورية القديمة :

« حين لم تكن السماء قد رسمت بعد
ولم تكن للأرض من تحتها اسم
اختلطت الأمواه في « أبسو » الأول أبيهم
ومن « تهامت » الصاخبة أم الجميع ...
ومن الزوج الأول خرج أولاً « لحمو »[27]

إن « بيت لحم » هي ، إذن ، إحدى المغاور الينابيع من « أبسو » في غامد . ولما شحت مياه الينابيع وتحولت تلك المغاور المقدسة زمن عقيدة الخصب إلى كهوف يأوي إليها النساك والمتعبدون سكنها أحد أفراد عشيرة بني يعقوب ودعي أفراتة كما دعي بعض أبنائه بيت لحم ، وفيها ولدت راحيل زوجة يعقوب ابنها بنيامين[28] . وهي ليست مدينة « بيت لحم » في فلسطين التي دعيت

باسمها فيما بعد . ومن المعروف أن السيد المسيح ولد في بيت لحم المغارة وليس في بيت لحم المدينة ، وهو طفل المغارة ، وينبع من المغارة «سريٌّ» أي جدول ماء صغير ، وتقف نخلة على بابها ، وكانت النخلة رمزاً للشجرة المقدسة في عقيدة الخصب تلازم كل مغارة تنبع منها مياه الحياة في غامد ، وإن جميع ما خلفه لنا العرب السوريون الأقدمون من صور ومنحوتات تؤكد لنا هذا ، وهذا ماأكده لنا القرآن الكريم أيضاً في سورة «مريم» : ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسيًّا . فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريّاً ، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جنياً﴾[29] .

6- والأرض المحيطة بـ «بيت المقدس» في غامد هي الأرض المقدسة التي خاطب فيها الرب موسى من نار العليقة المشتعلة في طور سيني (جبل العليق) عند وادي طوى الذي ما يزال قائماً حتى اليوم قرب العقيق . وهي التي أراد موسى أن يدخلها بجماعته ليعبدوا الله الواحد فيها ﴿وإذ قال موسى لقومه .. يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة .. قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين وإنّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها﴾[30] .

7- و«بيت المقدس» العربي ، كما صار ثابتاً الآن ومن خلال كل ما ذكرنا ، لايمت إلى المدينة العربية (القدس) في جنوب سوريا بأية صلة ، إذ هي ليست مغارة في رأس جبل ، ولا تنبع منها الأنهار التي تسقي الجنة ومنها نهر الفرات !

8- وتلك الأرض العربية المقدسة عبر التاريخ العربي كله حيث «بيت المقدس» (المسجد الأقصى) وحيث موطن كل الأنبياء ، هي مصدر ديانة التوحيد العربية الأصل والمنشأ بأسمائها المختلفة ، إذ أن موسى وعيسى ومحمد ابناء عمومة في نسب ينتهي إلى جد واحد هو إبراهيم العربي الأرامي . ﴿قل آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[31] ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[32] .

9- وهي التي كان إليها إسراء النبي محمد ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾[33].
ولو تأملنا قليلاً في هذه الآية لوجدنا:

● أن المسجد الأقصى هو القاصي والبعيد.

● والمسجد الذي دعي بـ «الأقصى» في جنوب سوريا بُني في العهد الأموي وتحديداً زمن عبد الملك بن مروان، ولم يكن له وجود زمن الرسول أو زمن نزول القرآن، هذا من الناحية التاريخية.

● أمّا من الناحية اللغوية فإننا نجد في القواميس حول الإسراء ما يلي: «وأسراه وأسرى به سيّره بالليل» وفي سورة الإسراء ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾ أي سيّره ليلاً.. وقيل: المعنى ذهب به إلى سراة الأرض أي إلى أعلاها، «وأسرى الرجل صار إلى السراة».

ونحن هنا لا نشك لحظة في أن هذا هو المعنى المقصود بالكلمة. إذ أنه لو كان المقصود بكلمة «أسرى» السير في الليل لما أتبعها القرآن الكريم المعجز في دقة ألفاظه وإحكامها بكلمة «ليلاً» إذ أن كلمة «ليلاً» تصبح زائدة وحشواً ولا تفيد التأكيد إطلاقاً. إذن لقد أوردها القرآن الكريم لينبهنا إلى أن المقصود بكلمة «أسرى» في الآية هو: ذهب به إلى جبال السراة.
قد يتساءل البعض هنا: فكيف نفسر إذن حقيقة أن «البيت» الذي كان في جنوب سوريا إنما كان هو القبلة الأولى في الإسلام؟ ونقول: إن القرآن الكريم قد أجاب عن هذا السؤال. إن من المعروف أن أول تزوير في جغرافيا الأرض المقدسة حدث في زمن قسطنطين البيزنطي في حوالي القرن الرابع بعد الميلاد لأسباب وأغراض سياسية واحتلالية بحتة. وبعيد مبعث النبي محمد بفترة وجيزة كان التزوير -جرياً على زمن قسطنطين- يعتبر أن بيت المقدس هو في إيلياء (القدس الحالية)، فصمت النبي على ذلك فترة من الوقت ريثما يشتد ساعد الدعوة، وقد كان الأحناف من عرب الجزيرة يرفضون التوجه إليها كقبلة. وقد أورد الطبري حادثة رفض البراء بن معرور سيد بني مالك التوجه إلى الشام في الصلاة، ولما حضر بين يدي الرسول صارحه بأمره وسأله

«ماذا ترى يا رسول الله؟ فقال له الرسول: قد كنت على قبلة لو صَبَرْتَ عليها»[34].

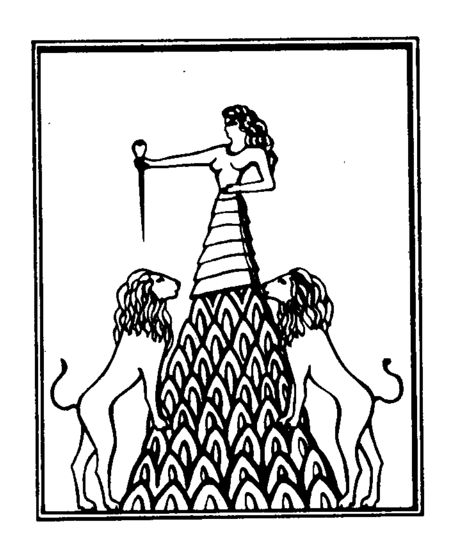
أي أن الرسول الكريم كان يعرف أن القبلة الحقة ليست باتجاه فلسطين كما كان يدرك أن الوقت لإعلان ذلك لم يحن بعد، فطلب منه التريث. ومن خلال واقعة الإسراء فقد زار الرسول «المسجد الأقصى» الحقيقي. وبعد ذلك، وفي السنة الثانية للهجرة تحديداً، أي بعد أن اشتد ساعد الدعوة بالأنصار في المدينة، وبعد موقعة بدر، أمر الرسول الكريم بتصحيح القبلة التي لم يجعلها له الله إلا مؤقتاً ليعرف مَنْ من اليهود تبعه مؤمناً ومن منهم تبعه منافقاً لغايات يهودية معتقداً أن الدين الجديد إنما جاء استمراراً لليهودية وانتصاراً لها.

إن هذا عينه هو ما أوضحه القرآن الكريم بصورة لا تترك أي مجال للشك أو للتساؤل. لقد جاء في سورة البقرة: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله، وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله لرؤوف رحيم ... فلنولينك قبلة ترضاها، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره، وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون.. ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين. الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءَهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾[35].

قد يخطر في أذهان البعض أن كشف هذه الحقيقة وإسقاط عملية التزوير الصهيوني للتاريخ العربي في هذه النقطة بالذات قد يكون له أثر سلبي في الجانب الآخر، وهو أنه قد يخفف من حماسة مسلمي ومسيحيي العالم من اتخاذ موقف مناهض للاحتلال الصهيوني للأماكن المقدسة. ولهؤلاء نقول: لقد أُحدث التزوير في جغرافية الأماكن المقدسة العربية ثلاث مرات بعد المسيح كانت جميعها لغايات استعمارية واحتلالية للمنطقة ولم تحدث مرة واحدة لصالح التحرير. فالمرة الأولى حدثت زمن قسطنطين البيزنطي لغايات استعمارية صرفة من أجل الاحتفاظ بشريط الأرض العربية الذي يمتد من البحر الأسود شمالاً وعلى طول الساحل إلى جنوب سيناء، بحجة الاحتفاظ بالأماكن

المقدسة . وما أن بدأت عملية التحرير على أيدي العرب المسلمين حتى هب العرب المسيحيون للقتال ضد البيزنطيين إلى جانب أشقائهم القادمين بدين جديد ، وبعد التحرير سقطت تلقائياً الأسماء الجغرافية التي زورت في زمن قسطنطين ، ولم يعد ثمة ذكر لـ « فلسطين » أو « أورشليم » في جنوب سوريا ...
وكانت عملية التزوير الثانية لغاية الاستعمار والاحتلال للمنطقة زمن غزو أوروبا الاقطاعية تحت قناع ما دعي بالحروب الصليبية ، وقد جعلت حماية « الأماكن المقدسة » ذريعة للاحتلال مرة أخرى . ثم ما أن تمّ التحرير العربي في عهد صلاح الدين حتى سقطت نهائياً مرة أخرى تلك التسميات من جغرافيا المنطقة ، وجاءت عملية التزوير الثالثة للغاية الاستعمارية الاحتلالية نفسها في زمن الغزو الاستعماري الأوروبي والصهيوني الحديث . ولابدّ لنا من التذكير بأن عملية الاستيطان الصهيوني لفلسطين بدأت في عهد الاحتلال العثماني للبلدان العربية وتحديداً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني الذي استمرت فترة حكمه 33 عاماً (من 1876 — 1909) ، فأقيمت في عهده المستعمرات الصهيونية الأساس في فلسطين ، وعددها 62 مستعمرة ، بلغت حتى عام 1900 فقط 42 مستعمرة كان من بين أهمها : ريشون لوزيون ، وبتاح تكفا ، وديشوفوت ، وبيسود حمالاه ، وعقرون (أو زكرون يعقوب) ، وحبديرا ، وريش بتاح ، وغيرها .. وكان من أهم المستعمرات التي أنشئت في تلك الفترة وأشهرها مستعمرة تل أبيب . ولقد أقيمت في عهده المؤسسات الأساس أيضاً . فقد أنشئت دار الكتب القومية اليهودية في القدس ، وأصبحت فيما بعد نواة المكتبة العامة للجامعة العبرية . وبعد أن قام السلطان عبد الحميد بمنح هرتزل النيشان المجيدي ، وفي عام 1901 تحديداً ، عقد اجتماع لأول مؤتمر صهيوني عالمي في فلسطين نفسها .
وليس خافياً اليوم أن الاستعمار الأوروبي ثم الأمريكي هو الذي تولى رعاية وحماية الكيان الصهيوني الذي زرع قسراً في قلب وطننا العربي ، ويدعمه بكل أسباب القوة التي يستخدمها في تقتيل وتشريد شعبنا العربي بمسلميه ومسيحييه . إن العرب ، مسلمين ومسيحيين ، على كاهلهم وحدهم يقع عبء التحرير .





الحلقة الحادية عشرة

سليمان «ملك» على عشيرة في مغارة



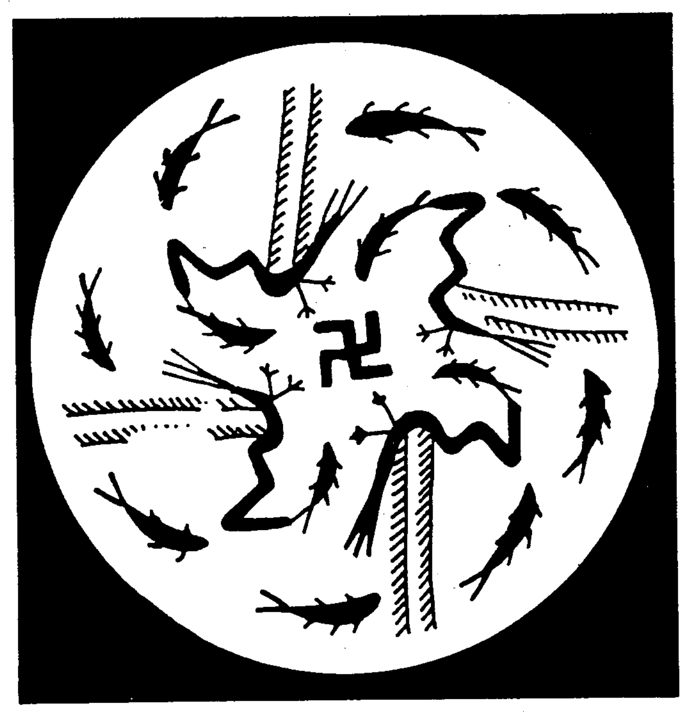


النجمة السداسية رمز الرغبة في عقيدة الخصب السورية القديمة .

بعد تبياننا لمواطن التزوير بالنسبة لبيت المقدس نعود إلى متابعة الحديث عن ملوك بني إسرائيل . لقد رأينا فيما سبق كيف أن داود مسح من قبل الكاهن صموئيل «ملكاً» على العشيرة وهو بعد صبي يرعى غنيمات أبيه في البرية في حياة الملك شاول . فصار شاول يطارده من كهف إلى كهف ، ومن مغارة إلى مغارة ، ومن صير غنم إلى آخر ، ولم يستقر به الأمر إلا بعد موت شاول . عندئذ «ملك» داود على جماعة من البطالين في مغارة عدلام ، ثم على جزء من العشيرة هو بيت يهوذا في مغارة حبرون ، ثم في مغارة صهيون (مدينة داود) ثم في مغارة أورشليم .

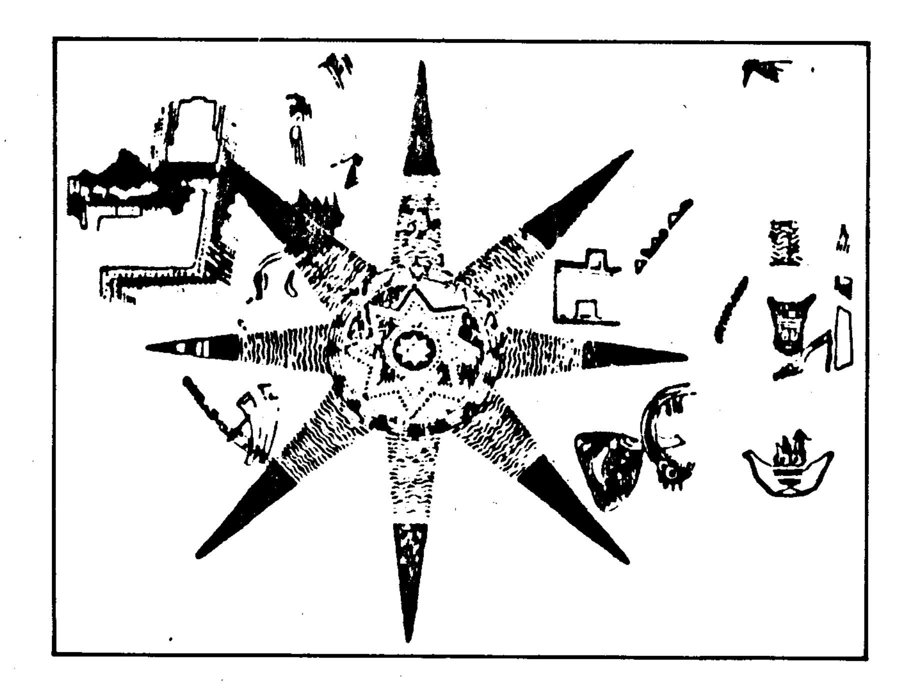
أما حروبه فهي مجموعة من الغزوات البدوية انحصرت بداية في عمليات السطو على خيام الرعاة ومسارحهم في البرية لحساب أكيش ملك جت ، ثم ضد ابنه ابشالوم ، ثم غزا بعض مضارب عشائر الفلسطينيين والأدوميين (أبناء عيسو بن إسحق) وبعض مضارب الآراميين . وبقي هو وجميع أفراد العشيرة يسكنون إما المغاور في الجبال أو الخيام في البرية[1] وكان داود «الملك» يمشي حافياً ويسكن المغارة ، ولم يعرف شيئاً اسمه «مملكة» أو «دولة» كما صار عليه الأمر في التزوير الصهيوني اليوم ، ولم يكن له علم أو راية أو شعار ، وإن ما يدعى اليوم بـ «نجمة داود» السداسية ليست إلا بدعة صهيونية حديثة .

والنجمة السداسية لم تكن إلا أحد رموز الخصب المقدسة في ديانة الخصب

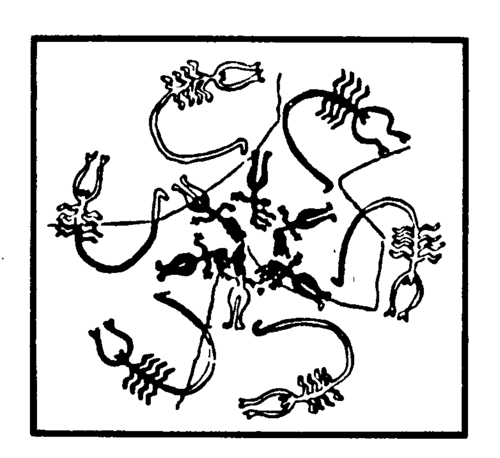


الزوبعة رمز الخصب أو الرغبة الكونية الأولى في عقيدة الخصب السورية .
اكتشفت على صحن من الفخار في سامراء يعود للألف الثالث قبل الميلاد .
العهد العربي الأكادي .

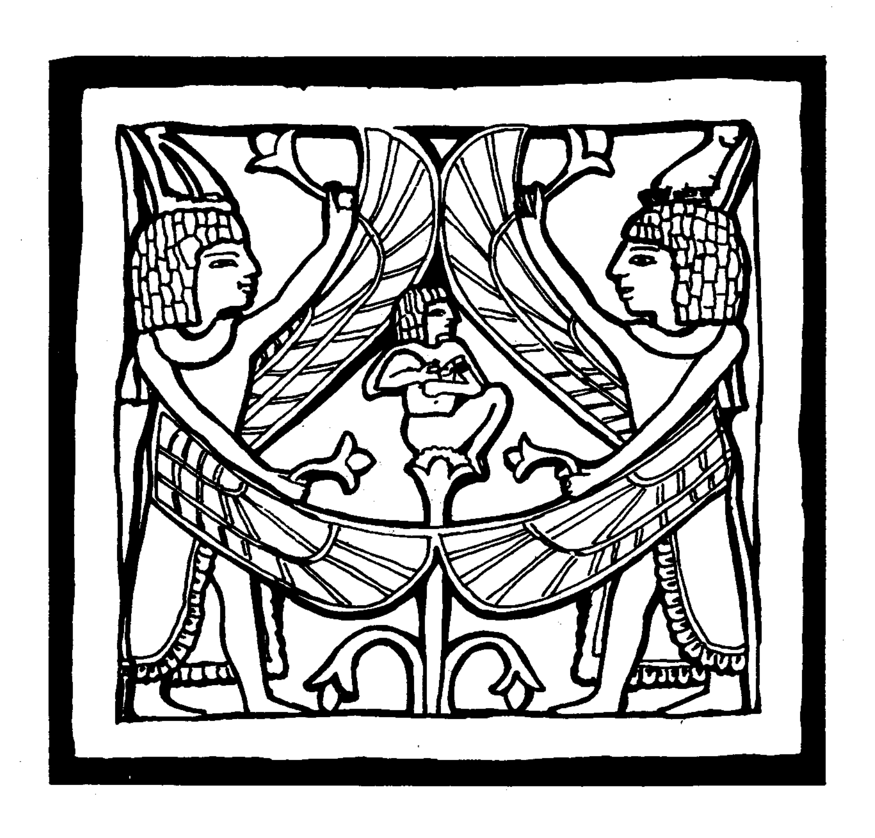
العربية السورية اقترنت بالأنهار الستة التي تخرج من نبع السيدة في حورانينا (كهف السيدة) في جبل غامد ، كما مثلتها أطواق العقد الستة التي تزين جيد السيدة العذراء (عشتار) وخصلات شعرها الستة التي تزين عارضة وجهها من كل جانب . ثم استمرت النجمة السداسية واحدة من أركان الزخرفة في التنزيل بالخشب والتطعيم بالصدف أو بالعاج أو بالمعدن الذي امتاز به العرب السوريون منذ الزمن الموغل في القدم وحتى اليوم لسهولة استخدام الشكل السداسي في هذا المجال . وكما كانت النجمة الرباعية والسداسية ترمز للخصب عامة في ديانة الخصب ، فإن الخماسية كانت ترمز للنور عامة والسباعية للشمس أو لعرش الرب وكذلك الثمانية التي ترمز لعرش الرب وللزهرة وهي كوكب عشتار ربة الخصب .



نجمة عشتار في غاسول بجنوب سوريا . الألف الرابعة قبل الميلاد (حسب مالون كوبيلو) .



كأس مع رسم لراقصات بشكل الزوبعة السداسية وهي رمز الرغبة الكونية الأولى في ديانة الخصب السورية . العراق ، الألف السادس قبل الميلاد .



عشتار (شجرة الحياة) بين «حانو» (آنو) و«حيا» (إيا) رب الماء النقي.

وإن هذه الزعامة التي تحققت لداود في أواخر أيامه على عشيرة بني إسرائيل هي التي ورثها عنه ابنه سليمان، وقبل الحديث عن سليمان «الملك» على العشيرة لابد لنا هنا من التذكير مرة أخرى بأن داود وسليمان عربيان أراميان من ذرية إبراهيم العربي الآرامي، وأن تلك «الزعامة» أو «الرئاسة» أو «الملوكية»، أياً كانت، وأينما كانت إنما هي ضمن نطاق إحدى العشائر البدوية العربية في برية شبه جزيرة العرب، وهي قبل ظهور اليهودية بما يقرب من ستمائة عام، وإن اليهودية اليوم دين وليست نسباً أو جنساً أو وطناً أو أرضاً أو شعباً أو أمة، مثلها مثل المسيحية والإسلام، وليس ثمة

ما يربط يهود العالم اليوم بالنسب إلى داود أو سليمان إلا مثل ما يربط مسيحيي ومسلمي العالم بالنسب إلى عيسى المسيح ومحمد بن عبد الله، وليس ليهود العالم اليوم ما يربطهم بوطن داود وسليمان إلا مثل ما يربط مسيحيي العالم ومسلميه بوطن عيسى ومحمد.

سليمان «ملكاً» على العشيرة:

تقول التوراة إنه قبيل موت «الملك» داود نشب التنافس الحاد بين الكاهنين ناتانيا الذي يؤيد أدونيا بن داود من امرأته حجيت، وصادوق الذي يؤيد سليمان بن داود من امرأته بنت شابع التي كانت زوجة لاوريا الحثي الكنعاني سابقاً، فلما أخبر داود بالأمر استدعى إليه الكهنة وقال لهم: «خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابني على بغلتي وانزلوا به إلى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناتان النبي ملكاً على إسرائيل واهتفوا بالبوق وقولوا ليحي الملك سليمان»[2] ثم تخلص سليمان من أخيه أدونيا ومن قائد جماعته يوآب وبطش بهما ثم تزوج سليمان بابنة فرعون مصريم وأتى بها إلى مدينة داود (هي مغارة صهيون) لأنه لم يك قد بنى بيتاً لنفسه بعد[3] وملك سليمان على جميع إسرائيل[4]، «وكان لسليمان اثنا عشر وكيلاً على جميع إسرائيل، وكانوا يمتارون للملك يمتازون للمك وبيته، كان على كل واحد أن يمتار شهراً من السنة»[5]، «وكان سليمان متسلطاً على جميع الممالك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخم مصر يحملون إلى سليمان الهدايا خاضعين له كل أيام حياته»[6]، وقد جعل لنفسه وكيلاً على كل بيت من بيوت العشيرة «احيناداب في محنائيم، وأحيما عص في نفتالي، ويوشافاط في يساكر، وشمعي في بنيامين.»[7]. «وكانت أيام ملك سليمان باورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة، واضطجع سليمان مع آبائه ودفن في مدينة داود أبيه»[8].

لنتوقف قليلاً عند هذه النصوص لندرسها من الناحيتين السكانية والجغرافية:

1- إن النصوص تؤكد لنا كيف أن سليمان «ملك» على عشيرة بدوية هي عشيرة بني إسرائيل، ولم يكن له أية سلطة على أية عشيرة غيرها.

2- إن أفراد تلك العشيرة لم يغادروا سكنى المغاور أو الخيام في البرية ، إذ أن مدونات التوراة تخبرنا أن « الملك » وتابوت عهد الرب كانا ما يزالان يقيمان في مغارة صهيون التي هي مدينة داود قبل أن يبني سليمان البيت لنفسه والهيكل للرب[9] . وما أن فرغ أفراد العشيرة من الاحتفال ببناء المعبد حتى « انطلقوا إلى خيامهم فرحين »[10] .

3- أما « جيحون » ، الذي مسح سليمان عنده ملكاً ، فهو أحد ينابيع كهف السيدة الذي يصنع أحد الأنهار التي تسقي جنة عدن ومنها الفرات وهداقل وفيشون[11] . وهذا ، كما هو واضح ، لا ينطبق على مدينة القدس ولا على أي جزء من أرض سوريا الطبيعية ، وقد رأينا أن هذه الأنهار تنبع من « كهف السيدة » في جبل غامد من السراة في شبه جزيرة العرب .

4- أما ما ذكر عن تسلط الملك سليمان من النهر إلى وادي مصر فقد كنا قد أوضحنا كيف أن شراح الكتاب المقدس أكدوا أن المقصود بكلمة « النهر » مطلقاً أو الموصوف بالكبير في جميع أسفار الكتاب المقدس إنما هو نهر الفرات ، وبينا من خلال مدونات التوراة (نبوءة حزقيال 47) كيف أن هذا النهر ينبع من بيت المقدس ليتجه شرقاً ، وهذا لا ينطبق على نهر الفرات السوري بل على وادي الفرات الذي ينحدر من جبل غامد إلى الشرق ، أما مصر التوراتية فكنا قد بينا مفصلاً أنها قرية عشيرة المصريين غرب غامد من خلال مدونات التوراة ذاتها وليست بلاد وادي النيل ، وبالتالي فإن ابنة فرعون مصريم التي تزوج بها سليمان هي ابنة زعيم هذه العشيرة وليست بنت ملك وادي النيل حيث لم تكن شريعة الملكية هناك تسمح بزواج بنات الأسرة المالكة خارج نطاقها ، فكيف بنا مع زعيم عشيرة بدوية ضئيلة تسكن المغاور والخيام في برية العرب !

« الملك » سليمان وبناء الهيكل :

تقول التوراة : « وأرسل سليمان إلى حيرام (ملك صور) يقول قد علمت أن داود أبي لم يقدر أن يبني بيتاً لاسم الرب إلهه بسبب الحروب التي أحاطت به حتى جعلهم الرب تحت أخامص قدميه ، والآن فقد أراحني الرب إلهي من

كل الجهات فليس من خائن ولا حادثة شر ، وها أنذا قد نويت أن ابني بيتاً لاسم الرب إلهي .. والآن فمر بان يقطع لي أرز من لبنان وعبيدي يكونون مع عبيدك ، وأجرة عبيدك اؤديها إليك بحسب جميع ما ترسم لأنك تعلم أن ليس فينا من يعرف بقطع الخشب .. وأرسل حيرام إلى سليمان وقال قد فهمت ما أرسلت به إليّ ، وأنا أتم كل مرضاتك في خشب الأرز وخشب السرو .. وأنت تتم مرضاتي باعطائك طعاماً لبيتي »[12] .

وبعد أن تم بناء بيت الرب « أقام سليمان في ذلك الوقت عيداً ، ومعه إسرائيل كلهم ، جماعة عظيمة ، من مدخل حماه إلى وادي مصر أمام الرب إلهنا سبعة أيام ، ثم سبعة أيام أربعة عشر يوماً ، وفي اليوم الثامن صرف الشعب ، فدعا الشعب للملك ، وانطلقوا إلى خيامهم فرحين طيبي القلوب »[13] . وكان البناء كله من خشب الأرز ، والأبواب والمقدس والأنية مطلية بالذهب والأحواض من النحاس ..

لنتوقف هنا قليلاً لدراسة هذه النصوص دراسة آثارية وتاريخية وسكانية ومنطقية :

1- من الناحية الآثارية ، ليس في آثار فلسطين كلها أية إشارة إلى وجود مثل هذا الهيكل المزعوم ، وقد بات معروفاً أن وزير حرب الكيان الصهيوني الأسبق موشي دايان كاد يلقى مصرعه جراء انهدام النفق الذي أحدث تحت المسجد الأقصى في محاولات محمومة للبحث عن أي ما من شأنه أن يشير إلى وجود مثل ذلك الهيكل المزعوم ، وذهبت كل المحاولات سدى ودونما أية نتيجة .

2- ومن الناحية التاريخية فإن مدينة صور العربية السورية الفينيقية لم يحكمها في تاريخها ملك باسم « حيرام » . وفي زمن داود وسليمان الذي يقدره العلماء بين القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد كان العرب السوريون ، ولا سيما سكان السواحل منهم الذين عرفوا بالفينيقيين (نسبة إلى فينيق بن أجينور وشقيق قدموس وكيليك والأميرة أوروربا) ، قد بسطوا سيطرتهم على حوض المتوسط وحوض البحر الأسود ، ودعي ذلك الزمن بزمن التوسع الفينيقي ، فانتشرت مستعمراتهم حتى كادت تغطي أرض اليونان وإيطاليا

وفرنسا وأسبانيا، وفي ذلك الزمن انطلقت السيدة السورية الشهيرة اليسار من صور إلى قرطاجة هرباً من أخيها بجماليون ولتجعل من قرطاجة الجديدة سيدة البحر المتوسط دونما منازع.

ولو أننا عدنا إلى مدونات التوراة ذاتها لوجدنا أن «صور» التوراتية إنما هي مضارب عشيرة مديانية من أبناء مدين بن إبراهيم من زوجته قطورة، وليست مدينة صور السورية الشهيرة، ولقد كان «صور» أحد مشايخ مدين الذي هو أحد أبناء إبراهيم، بين الزعماء المديانيين الذين ضربهم موسى، تقول التوراة: «وكل مملكة سيحون ملك الآموريين الذي كان مالكاً في حشبون الذي ضربه موسى هو ورؤساء مدين: أوي، وراقم، وصور، وحور، ورابع»[14]. ومن المعروف أن قسماً من عشيرة المديانيين مهروا بشغل المعدن حتى أطلق عليهم جيرانهم اسم «القينيين» أي الحدادين، مما جعل سليمان يطلب عونهم دون غيرهم من أبناء عشائر برية العرب من أجل بناء الهيكل، وتخبرنا التوراة، فضلاً عن ذلك، أن حيرام الصوري «هو ابن أرملة من سبط نفتالي وأبوه رجل من صور صانع نحاس وكان ممتلئاً حكمة وفهماً ومعرفة في عمل كل صنعة من النحاس»[15]. وتخبرنا التوراة في موضع آخر كيف أن موسى حينما نزل بجماعته في شطيم أخذ الشعب يفجرون مع البنات الموابيات أو المديانيات، ومن بين تلك المديانيات اللاتي زنى بهن الإسرائيليون كزبى بنت صور فقتلها فنحاس بن العازار بن هارون الكاهن هي وصاحبها في الخيمة «واسم المرأة المديانية المقتولة كزبى بنت صور وهو رئيس أمم، رئيس بيت أب في مدين»[16].

إن «صور» التوراتية، إذن، هي فصيلة من عشيرة عربية مديانية في شبه جزيرة العرب، وليست مدينة صور العريقة الشهيرة على الساحل السوري كما هي في التزوير الصهيوني اليوم.

3- أما قصة بناء الهيكل التوراتية فإنها، إن حدثت فعلاً، فقد حدثت في مغارة أورشليم (كهف المتعبدين) في جبل غامد، وإن كنا نشك في واقعية حدوثها أصلاً، إننا نرجح أن يكون كتبة أسفار التوراة، الذين دونوا تلك الأخبار بعد سليمان بما ينوف عن ستمائة عام، قد نقلوا هذه القصة عن التراث

العربي الشائع والمعروف آنذاك منذ الزمن العربي الموغل في القدم وألصقوها بسليمان كما نقلوا كثيراً غيرها من قصص التراث العربي القديم كقصة التكوين البابلية، وقصة الطوفان، وقصة أيوب ودانيال، والأمثال المنقولة عن كتاب أحيقار مستشار الملك نبوخذ نصر، والمزامير التي كانت تراتيل وأناشيد دينية سائدة تتردد في شتى أرجاء الدولة العربية السورية القديمة، وكذلك نشيد الانشاد.

فلو أننا عدنا إلى النصوص العربية السومرية والأكادية لوجدنا أنه كما كان قد أمر الرب جوديا العربي السومري أن يبني له بيتاً يليق به في «حورانينا» (كهف السيدة) وهو معبد «أي نينا» (مقام السيدة) فقد أمر الرب داود الشيء نفسه ونفذه سليمان، وبعد أن فرغ جوديا من تشييد المعبد توجه بالدعاء إلى الرب «لقد شيدت معبدك وإني لسعيد أن أدخلك فيه»[17]. إن هذا عينه هو ما فعله سليمان، وكما كان جوديا قد «استحضر أخشاب الأرز والأحجار والمعادن الثمينة واستعان بمعرفة فنانين اتى بهم من الأرض العالية (عيلام)[18] فإن ذلك هو ما فعله الملك سليمان الذي استحضر كل ذلك واستعان بحيرام أحد أبناء صور المدياني الخبير بسباكة النحاس وصناعة الخشب من أجل بناء المعبد في مغارة أورشليم.

وتقول التوراة: «وبنى الملك سليمان سفناً في عصيون جابر التي بجانب أيلة عند شاطىء بحر القلزم في أرض أدوم، فأرسل حيرام عبيده في السفن مع عبيد سليمان قوماً ملاحين عارفين بالماء، فأتوا أوفير وأخذوا من هناك أربعة مئة وعشرين قنطاراً من الذهب وأتوا بها الملك سليمان»[19].

لقد كنا قد أوضحنا من خلال مدونات التوراة ذاتها كيف أن بحر القلزم هو نهر، وقد ذكرته التوراة مرة بكلمة «نهر» وأخرى بكلمة «بحر» وشرحنا أن معنى كلمة «بحر» في العربية القديمة والحديثة هي الماء الكثير سواء في نهر أو بحر أو مخاضة، وبيّنا كيف أنه لم يكن يقصد به البحر الأحمر كما هو في التزوير الصهيوني اليوم، وأن خروج موسى بجماعته لم يكن من أرض وادي النيل إلى فلسطين الحالية، بل من أرض عشيرة مصريم (المصريين) إلى أرض عشائر الكنعانيين في جبل غامد. وبالتالي فإن ما تدعوه اليوم

سلطات الكيان الصهيوني بمرفأ « إيلات » على البحر الأحمر (أم الرشراش سابقاً) ليس إلا إمعاناً في التزوير الصهيوني لجغرافيا التوراة.
أما « أوفير » فهي في العربية القديمة « حوفيرو » وقد كتبت باليونانية « أوفيرو » بعد أن تحولت عندهم الحاء (حيطا) إلى (إيتا) ، وهذه الكلمة تعني في القاموس الكلداني حرفياً ما يلي : تراب ، محفرة ، ساقية ، جدول ماء ، حفرة ، بئر ، ومنها « محفرونو » = قابل الحفر ، مادة معدنية ، تراب ومعدن. وهي تعني تراب الذهب أو التبر بمفهومنا اليوم. وليست مدينة كما يعتقد المستشرقون. وهذا ما يؤكده كل من الهمداني وديودور الصقلي الفينيقي وبطليموس الجغرافي الفينيقي (الذي صار يعتبر إغريقياً) وكذلك سترابون.
يقول الدكتور جواد علي : « وقد ذكر ديودوروس (اسم عربي فينيقي يعني عطية الرب) إسم جبل دعاه خابينو Chabunee ثم إسم شعب يسمى Debae (وهم جمع ذيبو بالفينيقية والسريانية التي تجمع ذبيان أيضاً في لهجة جبال السراة- المؤلف) يعتني بتربية الإبل ، لأنه يعيش عليها ، فيشرب ألبانها ، ويأكل لحومها ، ويحارب عليها ، ويتنقل عليها من مكان إلى مكان ، ويخترق أرضهم نهر يحمل مع مياهه تراب الذهب « التبر » ويصب في البحر ، غير أن الناس لا يعرفون كيفية استخلاص الذهب وتنقيته... ويقع جبل خبينوس Chabinus شرق المنطقة الواقعة بين « الليث » و« القنفذة » على رأي كلاسر ؛ أما شبرنكر فيرى أنه جبل الأسود..
وذكر بطليموس اسم موضع دعاه Thebai Polis ويقع إلى الجنوب منهم نهر سماه Baeteo ولا يستبعد أن يكون موضع « طيبة بوليس » هو موضع « طيبة » الذي ذكره الهمذاني. وأما النهر Baeteo فيظهر أنه النهر الذي يخترق أرض تلك القبيلة ، والذي كان يحمل مع مياهه على حد قول ديودورس تراب الذهب أي التبر. وذكر ديودورس اسم شعبين آخرين هما العلايا Alilai والقشندي Gasende ويظهر من وصف هذا الكاتب لأرض هذين الشعبين أنها لم تكن منخفضة حارة ، أي تهامة ، بل كانت هضبة وجبالاً تغطيها السحب في الغالب ، وتتساقط عليها الثلوج في بعض الأحيان ، كما تهب عليها الرياح الموسمية التي تلطف من حدة الحر ، وهي مخصبة بها الفواكه والقمح. ويعيش أفراد

القبيلتين على السمك ، لأنهم ، كما يزعم ، لم يكونوا أصحاب حذق ومهارة .. وأرضهم غنية بالذهب ، يستخرجونه صافياً من مناجمه ، ولا ينقونه بالصهر بالنار ، بل يستخرجونه قطعاً قطعاً ، كل قطعة بحجم الجوزة ، ويقال لها في لغتهم « أفيرو » Apiros .. وكانوا يتحلون به كثيراً لوفرته عندهم ، فيزينون به رقابهم وأيديهم ، ويحبكونه مع عدد من العظام اللماعة ، كما كانوا يبيعونه بأثمان بخسة ، ويبادلونه مع التجار بالحديد والبرنز وزناً بوزن لقلتهما عندهم »[20] .

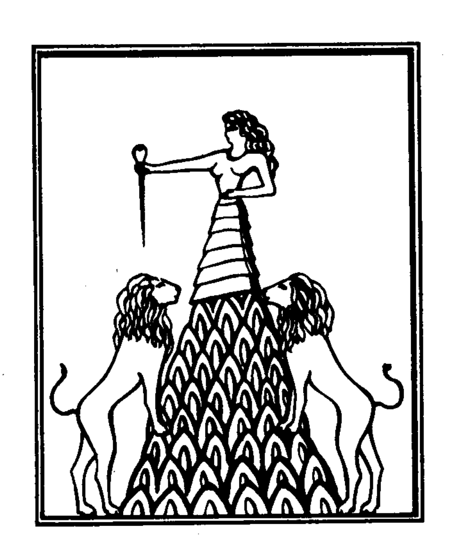
إن في ما يؤكده هؤلاء المؤرخون الأقدمون في وصفهم لتلك المنطقة من شبه جزيرة العرب ، وهي منطقة غامد التي تقع شرقي الليث والقنفذة ، شاهداً لا يترك أي مجال للظن أو التخمين أو الشك في أن هذه المنطقة هي التي عاش بها سليمان العربي الآرامي وأباؤه ، وأن « أوفير » (حوفير) هي تراب الذهب (التبر) المقصود في تلك المنطقة التي ما تزال حتى أيامنا هذه تعتبر من أغنى بقاع العالم بالذهب . ولما كان من معانيها النهر أو الجدول فإن هذا النهر أو الجدول الغنى بتراب الذهب هو الذي عمل عليه ملاحو سليمان وحيرام المدياني ، وإن أيلة هي على ذلك النهر (الذي هو بحر القلزم) وليست على البحر الأحمر كما صارت في التزوير الصهيوني لجغرافيا الأحداث التوراتية اليوم .

4- أما ما ذكرته التوراة من أن كل شعب إسرائيل اجتمع ليحتفل ببناء المعبد من مدخل حماة إلى وادي مصر ، ثم انصرفوا جميعاً إلى خيامهم بعد نهاية الاحتفال ، فإن العقل الصهيوني وحده مؤهل لأن يقبل مثل هذه الخرافة كما هي في التزوير الصهيوني . إن في إمكان أي منا أن يتخيل جميع أفراد العشيرة رجالاً ونساءً ، شيوخاً وأطفالاً يدبون عبر صحرا ء سيناء كلها وأرض فلسطين كلها ، وعبر سهول وجبال سوريا بما فيها لبنان وفلسطين من أجل أن يشهدوا الاحتفال في أورشليم التي يزعمون أنها مدينة القدس الحالية ثم يعودون إلى خيامهم الممتدة ما بين مدينة حماة السورية ووادي النيل كما هي في التزوير الصهيوني ! إن « حماه » التوراتية هي عشيرة « حمتا » بن كنعان في جبل غامد ، وأن وادي مصر هو وادي القرية حيث عشيرة المصريين غرب

غامد وكثيراً ما أطلقت عليه التوراة اسم وادي شيحور .

من كل ما تقدم نصل إلى النتيجة الحاسمة التالية : إن ما دعي بـ « مملكة داود وسليمان » لم تكن إلا تزعماً لعشيرة بدوية متخلفة وهي أشد العشائر العربية البدوية تخلفاً في برية العرب ، حتى أنها تعدم واحداً من أفرادها « يعرف بقطع الخشب » . وهي في مغارة هي مغارة أورشليم (مغارة المتعبدين) في جبل غامد من شبه جزيرة العرب ، ولقد تنبه إلى فداحة التزوير الاستشراقي والصهيوني السائد اليوم كثير من الباحثين المنصفين في العالم ، لقد كتب الباحث الفرنسي الشهير بيير روسي يقول بهذا الصدد : «لقد كشف ج . ب . آدم مدير مكتب علم العمارة في العصور القديمة في باريس في مؤلف صدر بعنوان « علم الآثار أمام الدجل والتضليل » الصفة المخادعة المخاتلة الافتراضية لعلم ما من علوم الماضي ، لقد أعلن المؤلف أنه كان مذهولاً من رؤية العقل السليم مستهزءاً به إلى هذه الدرجة ، وأنه هو نفسه لم يتجرأ على أن يذهب إلى آخر ما يمكن أن يوصله إليه منطقه ... وليس أقل من ذلك صحة كون العرب أنفسهم ، وهم المعتقدون بنجاحهم العالمي في الأخذ بيد الغرب ، قد وافقوا على التعريف بأنفسهم من قبل مراقبين أجانب . لقد صدقوا بسهولة وعن طواعية الأحكام الجسورة المتهورة لمستشرقينا .. إن الضلالات التي يقودنا إليها السكوت أخطر من تلك التي يقودنا إليها الجهل »[21] .





الحلقة الثانية عشرة

«اليهودية» ديزوليست

شعباً ووطناً



لقد تعرفنا في الحلقات السابقة ، ومن خلال مدونات التوراة ذاتها ، على عشيرة بني إسرائيل كما هي في حقيقتها التاريخية : سكانياً وجغرافياً ، اجتماعياً ولغوياً ، بعيداً عن عملية التزوير الاستشراقية الاستعمارية والصهيونية ، فتكشفت لنا كعشيرة عربية بدوية رعوية ، لم تتعد في سكناها المغاور في الجبال أو الخيام في البرية ، تنقلت بين أطراف برية العرب عند أعالي وادي الفرات وسفوح جبل غامد حيث تكثر المغاور الكبيرة والعميقة ، وهي أشد العشائر البدوية تخلفاً في تلك المنطقة ، لم يتقن أحد من أفرادها قطع الخشب ، أو بناء البيوت ، أو صناعة الأدوات ، أو أعمال الأرض أو الزراعة ، ولم يكن أحد من أفرادها ، حتى في زمن « الملوك » ، يملك سيفاً أو رمحاً ما عدا شاول وابنه يوناتان ، تكلمت مثل باقي عشائر المنطقة اللغة العربية القديمة بلهجتها السريانية في الشرق (والآرامية جزء منها) أي في برية العرب ، واللهجة الكنعانية بين عشائر كنعان في جبل غامد عند أعالي الفرات ، وكانت كلمة « ملك » تطلق لديها على كل من تزعم بيتاً أو عشيرة أو جزءاً من العشيرة في كهف أو خيمة أو مغارة ، وتلك كانت حقيقة ما دعي اليوم بـ « مملكة داود وسليمان » في التزوير الاستشراقي والصهيوني في تفسير أحداث وجغرافيا التوراة ، إذ أن كلاً من داود وسليمان لم يتزعم أحداً خارج نطاق تلك العشيرة أو جزء منها ، وأن هذه الزعامة للعشيرة كلها لم تعش إلا بضع سنين في أواخر أيام داود وحتى أواخر عهد سليمان ، إذ ما لبثت أن انقسمت العشيرة على نفسها ثم لم تعد إلى الالتئام مرة أخرى عبر مراحل تاريخها كله . إن هذا من شأنه أن يسقط تلقائياً ذلك الزعم الصهيوني السائد اليوم والمعمم على كل المعاهد والجامعات في العالم والقائل بأن « مملكة داود وسليمان » استمرت زهاء ثلاثمائة عام سيطرت خلالها على جزء كبير من سوريا وامتدت بنفوذها على المنطقة الممتدة ما بين الفرات والنيل (هكذا !) علماً أن مثل تلك « الدولة » المزعومة ، كما سبق أن أسلفنا أكثر من مرة ، أياً كانت وأينما كانت ، فهي عربية وليس ليهود العالم اليوم ما يربطها بها إلا مثل ما يربط مسيحيي العالم ومسلميه بوطن عيسى ومحمد ، إذ أن اليهودية اليوم دين ، وليست نسباً أو شعباً أو أرضاً أو وطناً أو أمة .

ولما لم يكن لدى العالم كله أي ما من شأنه أن يدل على وجود تلك العشيرة خارج مدونات التوراة، فسنتابع ما تقوله التوراة من أخبار تلك العشيرة بعد سليمان.

وقبل الشروع في هذا، ومن أجل أن تبقى الصورة واضحة في ذهن القارىء لابد من التذكير ببعض الملامح الأساسية لجغرافيا وصورة هذه الأحداث التي تنقلها لنا مدونات التوراة:

1- إن جبل غامد في وسط جبال السراة من شبه جزيرة العرب هو مركز أحداث التوراة، منه ينبع وادي الفرات، وعلى سفوحه كانت تنتشر عشائر العرب الكنعانيين، وإلى الشرق منه كانت عشائر العرب الآراميين والآشوريين والكلدانيين، وطور سينا (جبل العليق) ووادي طوى ما يزالان قائمين حتى اليوم، وفي إحدى قمم جبل غامد يوجد كهف السيدة (حورانينا) حيث منبع الأنهار، وبالقرب منها مغارة صهيون (أي التي جف ماؤها) التي هي مدينة داود، وبجوارها مغارة أورشليم (كهف المتعبدين)، وإلى الغرب من جبل غامد عشائر فلستيم (الفلسطينيين) ومصريم (المصريين). وقد توضعت جميع هذه العشائر حول خط القوافل التجاري الدولي القديم الصاعد في تلك المنطقة وسط جبال غامد، وتمكنت من أن تجعل من نفسها وكيلة لملوك الدولتين العربيتين الكبريين آنذاك السورية ومركزها بابل ودولة وادي النيل.

وكثيراً ما كان يحدث الصراع والتنافس بين «ملوك» تلك العشائر من أجل الاستئثار بمكاسب الخط التجاري وبدعم هذا الملك المركزي أو ذاك من أجل زيادة السطوة والنفوذ على باقي العشائر وجباية الأتاوات، كما كانت يغريها التمرد والامتناع عن دفع الأتاوات للملك المركزي فتثير غضبه مما يجعله يأمر بعض وكلائه الآخرين بضرب المتمرد وإجلائه واستبدال غيره به، وكان هؤلاء «الملوك» الوكلاء يلقبون في معظم الأحيان بأسماء سادتهم من الملوك المركزيين دلالة على مدى ارتباطهم بهم وتمثيلهم لمصالحهم في أذهان الناس المحيطين بهم[1].

2- إن هذا الصراع بين هؤلاء «الملوك» الوكلاء الصغار هو الذي أساء فهمه

كتبة التاريخ العربي من الأجانب، فخلطوا فيما بينهم وما بين ملوك الدولتين المركزيتين. ومما زاد الأمر تعقيداً بالنسبة لهؤلاء الدارسين هو أن أخبار ووقائع ذلك الصراع كانت تسجل في تقارير دورية وترسل إلى الملوك المركزيين لتحفظ في حولياتهم وسجلاتهم.

إن «ملك» عشيرة الآشوريين في تلك المنطقة، على سبيل المثال، والذي كان وكيلاً للملك آشور بانيبال اكتشفت تقاريره إليه في مكتبة هذا الأخير كما اكتشفت رسائل وتقارير وكيل وادي النيل في تلك المنطقة للملك أخناتون في وادي النيل في مدينة أخناتون ودعيت برسائل تل العمارنة، يقول ديلابورت: «كان ملك آشور نائبه (نائب الملك المركزي)، ولا يستطيع أن يقوم بتنفيذ أي مشروع قبل أن يتلقى أمره ويقدم حساباً عنه، وعند عودته من كل حملة، مثلاً، كان يرفع إليه تقريراً إضافياً هو في الحقيقة يوميات الحملة وسرد للنجاح الذي حققه، فإذا كان تجلات فلاسر قد هاجم كوماجين فما ذلك إلا لأنها منعت جزيتها وهداياها عن الرب آشور، ويقول الأمير نفسه في مكان آخر «لقد أخضعتهم لآشور مولاي وعددتهم ضمن رعايا آشور مولاي»[2].

لقد وقع ديلابورت في الخطأ نفسه الذي وقع فيه كل الدارسين الأجانب حينما فهم تحت عبارة «الرب آشور» الإله آشور، والحقيقة هي تعني السيد آشور بانيبال الذي هو الملك المركزي، وكلمة «رب» لم تكن تستخدم في العربية القديمة إلا بمعنى السيد الكبير، لكنها تنقل إلى الأجنبية هي وكلمة «إله» بمعنى واحد. وإن العبارة الأخيرة في التقرير «آشور مولاي» توضح ذلك.

انقسام عشيرة بني إسرائيل بعد سليمان:

بعد هذا التمهيد التوضيحي الذي لابد منه، نعود للتعرف على بقية أخبار عشيرة بني إسرائيل بين أولئك «الملوك» الصغار كما هي في مدونات التوراة.

تقول التوراة إن ياربعام بن نباط الأفرائيمي (أي من أحفاد افرائيم بن يوسف بن يعقوب) كان عبداً عند سليمان «وكان ياربعام هذا جبار بأس، فلما رأى سليمان الفتى أنه أهل شغل أقامه على الأعمال المرتبة على آل يوسف، وفي تلك الأثناء خرج ياربعام من أورشليم فصادفه أحيا الشيلوني النبي في

الطريق، وكان مرتدياً برداء جديد، وكانا وحدهما في الصحراء، فقبض أحيا على الرداء الجديد الذي عليه، فشقه اثنتي عشرة قطعة، وقال لياربعام: خذ لك عشر قطع لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل، ها أنذا أشق الملك من يد سليمان وأعطيك عشرة أسباط، وله يكون سبط واحد»[3]. والتمس سليمان قتل ياربعام فقام ياربعام وهرب إلى مصر، إلى شيشاق ملك مصر، ومكث في مصر إلى وفاة سليمان»[4].

وليس عسيراً أن يستخلص أي قارئ عادي من خلال هذا النص كيف أن سليمان كان يملك على عشيرة بني إسرائيل المؤلفة من اثني عشر سبطاً هم أولاد يعقوب الذي هو إسرائيل، وأن سليمان في أواخر أيامه بقي ملكاً على سبط واحد هو سبط يهوذا بن يعقوب، وأن مصر المقصودة هي عشيرة المصريين غرب غامد وليست بلاد وادي النيل التي لم تكن تعرف بهذا الاسم ولم تعرف في تاريخها ملكاً باسم شيشاق.

ثم تتابع التوراة سرد أخبار العشيرة فتقول إنه لما ملك بعد سليمان ابنه رحبعام حاول جميع أسباط العشيرة أن يملكوه عليهم بشرط أن يخفف عنهم «عبودية أبيه الشاقة ونيره الثقيل»[5]، فلما رفض طلبهم تخلوا عنه قائلين «أي نصيب لنا مع داود وأي ميراث مع ابن يسّى، إلى خيامك يا إسرائيل، والآن فانظر لبيتك يا داود، ورجع إسرائيل إلى خيامهم»[6]، «ووجه الملك رحبعام أدورام المولى على الخراج، فرجمه جميع إسرائيل بالحجارة فمات.. فهرب رحبعام إلى أورشليم، وتمرد إسرائيل على بيت داود إلى هذا اليوم»[7].

ومنذ ذلك الحين انقسم بيت يهوذا عن باقي العشيرة التي صار لها ملكان: واحد على بيت يهوذا والآخر على باقي عشيرة إسرائيل، والقتال لم يتوقف بين الطرفين، وأخذ كل منهما يستعين بهذا «الملك» (الشيخ) أو ذاك لهذه العشيرة العربية المجاورة أو تلك.

«ولما كانت السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشاق ملك مصر على أورشليم، فانتهب ما في خزائن بيت الرب»[8] «وكان بين رحبعام وياربعام حرب كل الأيام»[9].

ثم ملك أبيام على يهوذا «وكانت بين أبيام وياربعام حرب»[10] ثم ملك أسا

على يهوذا وبعشا على إسرائيل «وكان بين أسا وبعشا حرب كل أيامهما»[11].
وأباد أسا «جميع بيت ياربعام ولم يترك لياربعام ذا نسمة إلا أهلكه»[12]،
«وكانت بين أسا وبعشا ملك إسرائيل حرب كل أيامهما»[13].
ثم انقسم فريق الاسرائيليين نفسه إلى شطرين: «شطر تبع تبني ابن جينت والشطر الآخر تبع عمري»[14] «وقوي القوم الذين مع عمري على القوي الذين مع تبني فمات تبني وملك عمري»[15] وابتاع عمري جبل السامرة من شامر، بني على الجبل ودعا المدينة التي بناها باسم شامر صاحب جبل السامرة»[16].

«ثم ملك أحاب بن عمري على إسرائيل، وفي أيامه بنى حيئيل الذي من بيت إيل أريحا»[17]. [لاحظ أن «أريحا» هذه هي مضرب خيام لأسرة من العشيرة وليست أريحا المدينة في جنوب سوريا التي تعود إلى الألف السابع قبل الميلاد].

«وصعد حزائيل ملك آرام فقاتل جت وأخذها ثم حول حزائيل وجهه ليصعد إلى أورشليم فأخذ يواش ملك يهوذا جميع الأقداس. وكل الذهب وأرسله إلى حزائيل ملك آرام فانصرف عن أورشليم»[18] «واشتد غضب الرب على إسرائيل وأسلمهم إلى يد حزائيل ملك آرام وبنهدد بن حزائيل كل الأيام»[19].
«وأتى الرب إسرائيل مخلصاً فخرجوا من تحت أيدي الآراميين وأقام بنو إسرائيل في خيامهم كما كانوا أمس فما قبل»[20] [لاحظ أن الخيام كانت مساكنهم في كل الأيام].
ثم ملك أمصيا على بيت يهوذا ويواش على بقية إسرائيل، وحدث بينهما قتال «فانكسرت يهوذا من وجه إسرائيل وهرب كل واحد إلى خيمته»[21].
وفي أيام فاقح ملك إسرائيل جاء تجلات فلاسر ملك آشور فضربهم وجلاهم إلى آشور[22].

ثم ملك هوشع بن إيلة على إسرائيل بالسامرة، «وصعد عليه شلمناصر فكان هوشع عبداً له وكان يؤدي إليه جزية، وعلم ملك آشوران هوشع محالف عليه وقد وجه رسلاً إلى سوء ملك مصر ولم يؤد الجزية إلى ملك آشور كما كان يفعل كل سنة، فقبض عليه ملك آشور، وأرسله مكتوفاً إلى السجن.. ثم أخذ

ملك آشور السامرة وجلا إسرائيل إلى آشور وأسكنهم في حلاح »[23].
وحينما ملك حِزقيا على بيت يهوذا تمرد على آشور ولم يدفع الجزية، فصعد إليه سنحاريب وأخذ أورشليم[24].
وحينما ملك يوشيا على بيت يهوذا صعد نكو فرعون مصر وأقام الياقيم مكان أبيه، ثم يوياقين ليدفع له الجزية، فصعد « نبوكد نصر ملك بابل فكان له يوياقيم عبداً ثلاث سنين ثم عاد فتمرد عليه .. ولم يعد أيضاً ملك مصر يخرج من أرضه لأن ملك بابل أخذ من نهر مصر إلى نهر الفرات. جميع ما كان لملك مصر .. وجلا يوياكين الملك إلى بابل وأما الملك وأزواج الملك وخصيانه وكل عظماء الأرض جلاهم من أورشليم إلى بابل »[25].
« فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير .. وأتوا مصر لأنهم خافوا من وجه الكلدانيين »[26].
وكما أصاب بيت يهوذا في أورشليم أصاب عشيرة المصريين على يد نبوكد نصر: « في ذلك اليوم يخرج من عندي رسل في سفر ليردعوا كوش المطمئنة فيأخذهم الألم كما في يوم مصر لأن الأمر قد وقع. هكذا قال السيد الرب إني سازيل جمهور مصر بيد نبوكد نصر ملك بابل « شبان أون وفيباست يسقطون بالسيف والنساء يذهبن في السبي »، « يا ابن البشر إني كسرت ذراع فرعون ملك مصر. وأشتت مصر بين الأمم وأذريهم في الأراضي »[27].
نكتفي هنا بهذا القدر إذ حسب أي قارىء عادي أن يستعرض هذه النصوص مرة واحدة لتتكشف له الحقائق الثابتة التالية:
1 - إن كلمة « يهودي » استخدمت لأول مرة في التاريخ بعد انقسام عشيرة بني إسرائيل على نفسها إلى شطرين: شطر بيت يهوذا وهو أحد الأسباط وله ملك في مغارة أورشليم ،وشطر يضم بقية بيوت العشيرة وقد ملك عليهم رجل منهم في مغارة في جبل السامرة، وقد كانت كلمة « يهودي » تطلق طيلة العهد الذي يمتد من زمن سليمان بن داود وحتى زمن ما دعي بـ « السبي البابلي » على كل من انتمى بالنسب إلى فرع يهوذا من العشيرة، وبالتالي فالتسمية لم يكن لها أي مضمون ديني، كما أنها لم تطلق على جميع أسباط العشيرة.
2 - إن ما دعي بـ « السبي البابلي » ليس إلا أحد مظاهر الصراع بين تلك

العشائر و«ملوكها» الوكلاء الصغار على المحطات على طريق القوافل في منطقة غامد، وإن ما أصاب عشيرة بني إسرائيل على يد نبوكد نصر الملك الوكيل على بابل المحطة لا بابل العاصمة هو نفسه الذي حل بعشيرة المصريين في المنطقة كما أصاب أرامي دومشك الذي جلاهم إلى قير في المنطقة نفسها.

ظهور اليهودية:

أما اليهودية كدين فقد بدأت بعد عودة أبناء العشيرة من الجلاء في بابلون المحطة الواقعة على نهر كفار الذي يرفد وادي الفرات شرقي غامد إلى مغارة أورشليم، إذ اجتمع 72 كاهناً ووضعوا جملة من أسفار التوراة بالحرف اليوناني أي الفينيقي، في زمن بطليموس وكيل الاسكندر على المحطة في المنطقة نفسها في القرن الثالث قبل الميلاد، وليس في اسكندرية مصر وادي النيل، وهذا ما تؤكده التوراة نفسها، إذ أن وكيله على المحطة دعي باسمه، كما دعيت المحطة باسم الاسكندرية.

تقول التوراة: «وكان الاسكندر الملك إذ ذاك في كيليكية لأن أهل البلاد كانوا قد تمردوا، فلما سمع الاسكندر قدم لمقاتلته، فأخرج بطلماوس جيشه ولاقاه بعسكر شديد فكسره فهرب الاسكندر إلى ديار العرب، مستجيراً بهم، وعظم أمر بطلماوس الملك، فقطع زبديئيل العربي رأس الاسكندر وبعث به إلى بطلماوس»[28].

إن هذا لا يمت إلى الاسكندر المكدوني بأية صلة، إذ تؤكد جميع المصادر أنه عاد من فارس إلى بابل ليموت فيها بسبب حمى إصابته وقضت عليه. كما أن بطليموس هذا لا علاقة له بوادي النيل.

لقد وضع هؤلاء الكهنة أسفار التوراة بالحرف اليوناني الذي ساد المنطقة آنذاك وهو الحرف الفينيقي نفسه الذي تطور على أيدي السوريين أنفسهم في بلاد اليونان، فجمعوا فيها كثيراً من تراث المنطقة العربي ونسبوا كثيراً منه إلى بعض ملوك العشيرة، وهي غير توراة موسى، وقد اساؤوا فيها إلى سير كثير من الأباء العرب المناضلين من أجل قضية التوحيد، وحولوا شريعة موسى التوحيدية إلى مجموعة من الأسفار يتاجرون بها في المعبد، ويقترفون

باسمها الكثير من الفواحش . حتى أن بعضاً من أبناء تلك العشيرة المناضلين من أجل نقاء عقيدة التوحيد أمثال إيليا (إلياس) وإرميا انتفضوا في وجوه هؤلاء الكهنة صناع اليهودية وناضلوا ضدهم بشجاعة فائقة . تقول التوراة إن إيليا دخل المغارة في جبل الله حوريب (جبل العليق = طور سينا) «وإذا بكلام الرب إليه يقول ما بالك ههنا يا إيليا ؟ فقال إني غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد نبذوا عهدك ، وقوضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف ، وبقيت أنا وحدي ، وقد طلبوا نفسي ليأخذوها»[29] .

ويقولو إرميا : «هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل .. لا تتكلوا على قول الكذب قائلين هيكل الرب ، هيكل الرب ، هيكل الرب .. ها إنكم تتكلون على قول الكذب الذي لا فائدة فيه . . اتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون بالزور وتقترون للبعل وتتبعون آلهةً أخرى لم تعرفوها ، ثم تأتون وتقفون بين يدي في هذا البيت الذي دعي باسمي .. أفصار هذا البيت الذي دعي باسمي مغارة للصوص»[30] . «لذلك ها أنذا على الأنبياء ، يقول الرب ، الذين يسرقون كلامي كل واحد من صاحبه ، ها أنذا على الأنبياء ، يقول الرب ، الذين يستخدمون ألسنتهم ويقولون الرب يقول . ها أنذا على الذين يتنبأون بأحلام كاذبة ، يقول الرب ، ويقصونها ويضلون شعبي بأكاذيبهم وعجبهم وأنا لم أرسلهم ولم آمرهم»[31] «لذلك هكذا تكلم رب الجنود على أولئك الأنبياء ، ها أنذا أطعمهم افسنتينا وأسقيهم ماء سم ، لأنه من أنبياء أورشليم خرج الكفر إلى كل الأرض»[32] .

ويهود الكهنة هؤلاء هم أنفسهم الذين تصدوا للسيد المسيح حينما تصدى لهم وناضل من أجل إعادتهم إلى عبادة الرب الواحد وإرجاعهم عن فعل الشر والفساد ، وقد حولوا بيت الرب إلى مغارة للصوص : «ودخل يسوع هيكل الله وأخرج جميع الذين يبيعون ويشترون في الهيكل ، وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام ، وقال لهم : مكتوب بيتي بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص»[33] .

وهم الذين خاطبهم القرآن الكريم في عدة مواضع وميز بينهم وبين بني إسرائيل الذين هم أبناء يعقوب الأسباط الموحدون الاثنا عشر ، فقد جاء فيهم

في القرآن الكريم : ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[34] .

وعن تحريفهم لتوراة موسى : ﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[35] .

إن « اليهودية » التي صنعها أولئك الكهنة في القرن الثالث قبل الميلاد هي التي ناضل ضدها فيما بعد السيد المسيح والسيد محمد بن عبد الله، وهي التي انتشرت خارج حدود الوطن العربي، واعتنقها أقوام عديدة من أجناس مختلفة كان من بين أهمهم أقوام الخزر الذين اعتنقوها بصورة جماعية لأسباب سياسية خارجية وداخلية تحدث عنها مفصلاً كل من الكاتب اليهودي الهنغاري كاستلر في كتابه « امبراطورية الخزر وميراثها » كما تحدث عنها الكاتب الأمريكي دنلوب في كتابه « تاريخ يهود الخزر » ولا نجد ثمة داعياً للاستطراد حول هذا الموضوع .

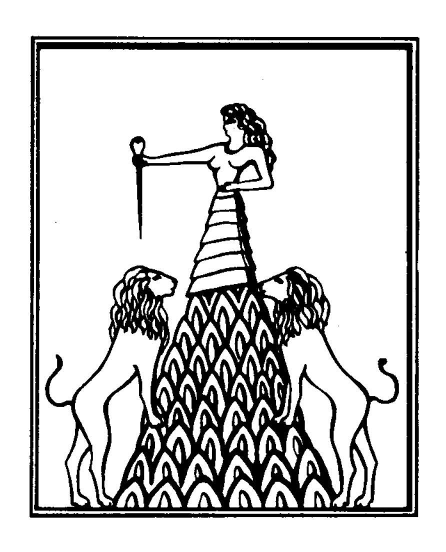
وكل ما نود قوله هنا وفي هذا الصدد هو أن أولئك الخزريين الذين اعتنقوا اليهودية هم الذين انتشروا في بلدان أوروبا الشرقية والغربية ويؤلفون اليوم تسعين في المئة من يهود أوروبا والأمريكتين، وهم لا يمتون إلى المنطقة العربية بأية صلة، علماً أنهم يشكلون نفس النسبة من اليهود المهجرين إلى الأرض العربية المحتلة .

من خلال كل ما تقدم يتضح لنا أن اليهودية اليوم دين وليست نسباً أو جنساً أو شعباً أو أرضاً أو وطناً أو أمة، وليس ثمة ما يربط يهود العالم اليوم بموسى وبداود وسليمان إلا مثل ما يربط مسيحيي ومسلمي العالم بعيسى بن مريم ومحمد بن عبد الله، وليس لهم ما يجمعهم بوطن هؤلاء إلا مثل ما يجمع مسلمي ومسيحيي العالم بوطن عيسى ومحمد، وإن مقولة ما يدعى بـ « الشعب العبري » وبـ « اللغة العبرية القديمة » وبـ « الدولة العبرية » في تاريخنا القديم هي مقولات باطلة وساقطة علمياً وتاريخياً وآثارياً، وهي محض تزوير صهيوني حديث في تفسير أحداث التوراة وجغرافيتها، وليس في مدونات التوراة أي ذكر لـ « دولة » أو لحلم ببناء دولة، ومن هنا صار واجباً علينا

اليوم إسقاط هذه العبارة من الاستخدام في الأدبيات السياسية والتاريخية «دولتهم التوراتية» أو «حلمهم التوراتي» ببناء دولة من الفرات إلى النيل، إذ أنه لا وجود لمثل هذه «الدولة» ولا لمثل هذا «الحلم» في جميع مدونات التوراة، إنها، باختصار، حلم صهيوني استعماري حديث.







الحلقة الثالثة عشرة

«أرض الميعاد»

وأبعادها التوراتية بالذراع



تحدثنا في الحلقات السابقة عن أن الأرض التي وعد بها الرب إبراهيم لتكون مرعى له ولأبنائه من بعده هي :

1 - في أرض عشيرة الكنعانيين في جبل غامد من نهر الفرات شرقاً إلى وادي مصريم (المصريين) غرباً .

2 - وأن في إمكان إبراهيم أن يراها بعينيه وهو واقف أمام باب خيمته تحت بلوطات ممرا الحثي الكنعاني بكل امتداداتها شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، من نهر الفرات إلى وادي المصريين ، وبينّا كيف أنهما كليهما ينحدران من أحد جبال غامد ، أحدهما إلى الشرق وهو الفرات لذلك دعي من قبل المصريين بـ « النهر المقلوب » ، والآخر إلى الغرب وهو وادي مصريم .

3 - وأن تلك الأرض تقع غرب الـ « يردن » (المخاضات) من جبل لُبْنَنْ (اللبان ، الصنوبر ، البخور) إلى جبل قاسيو (القاسي ، الوعر ، الأملس) .

4 - وهي الأرض الطيبة المرعى التي جهدت عشيرة بني إسرائيل (الذي هو يعقوب) فيما بعد من أجل أن تدخلها لتكون مرعى لمواشيها ومنتجعاً ، بعد خروجهم من تحت أيدي فرعون مصريم بزعامة موسى ، وصدّتهم عشائر الكنعانيين المستقرة زراعياً في تلك الأرض والتي كانت تتألف من أبناء كنعان وهم : حث ، يبوس ، عردا ، صمارا ، حمتا ، صين ، عمورا ، فرزا ، جرجاش .. وجميعهم كانت مساكنهم في سفوح جبال غامد في أعالي وادي الفرات (الثرات) على حدود البرية في شبه جزيرة العرب .

إن هذه الحقيقة كانت أمراً عادياً بديهياً ومألوفاً في فجر الإسلام وزمن الدولة العربية الكبرى الأموية والعباسية . ففي تفسير الصافي عن الإمام جعفر الصادق أنه «لما انقضت أيام موسى أوصى الله إليه أن يستودع الألواح جبلاً يقال له « رنيا » ، فأتى موسى الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة ... فلم تزل في الجبل حتى بعث الله نبيه (ص) ، فأقبل ركب من اليمن يريدون الرسول ، فلما انتهوا إلى الجبل انفرج عن الألواح ، وكانت ملفوفة كما وضعها موسى ، فأخذها القوم ... فلما قدموا على النبي أخرجوها ووضعوها بين يديه ، فنظر إليها وقرأها وكانت بالسريانية »[1] .

إن هذا يؤكد لنا مرة أخرى وضوح مواقع الأحداث التوراتية في ذاكرة السلف .

فالوفد القادم من اليمن إلى مدينة الرسول لن يمر في صحراء سيناء ولا في فلسطين ، بل بجبال غامد من منطقة السراة حيث ما يزال « جبل رنيا » و« وادي رنيا » و« بلدة رنيا » على خارطة المنطقة حتى هذا اليوم .
أما من يحتج على الرواية منطلقاً من الزعم القائل بأن الرسول كان أمياً لا يعرف القراءة فلمثل هؤلاء نقول :

1 - إن كلمة « الأميين » كانت تطلق على بني إسماعيل بن إبراهيم ، أطلقها عليهم بنو عمهم أبناء يعقوب ليعيروهم بأنه لم يظهر فيهم نبي ، ولم ينزل الله لهم كتاباً يقرأونه ويتعلمونه كالتوراة . إن هذا هو ما أكده القرآن الكريم في عدة مواضع ﴿ إن الذين أوتوا الكتاب والأميين ﴾ ، ﴿ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولّوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾[2] ، ولما بعث الله محمداً ، وهو من أبناء إسماعيل أي من الأميين ، كذبه اليهود زاعمين أن النبي لا يكون إلا في فرع إسحق وليس في الأميين . فنزلت الآية ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾[3] .
2 - ثم إنه لمن المعروف أن أبا طالب كان من كبار زعماء مكة وأكثرهم علماً وفصاحة ، وقد كفل محمداً منذ طفولته ، وربّاه وعلياً في حجره ورعايته إلى يوم مبعثه وهجرته . ثم إن محمداً كفل علياً بعد موت أبي طالب ورباه في حجره ورعايته إلى أن شب على الإسلام فقال فيه الرسول « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها » فكيف يصير علي أبلغ بلغاء العرب حتى قال في كلامه النقاد « إنه تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق » ويبقى محمد لا يقرأ ولا يكتب ؟ إن هذا الفهم العامي لعبارة « النبي الأمي » هي من مورثات الشعوبية في الإسلام .
أما الاستدلال على « أميّة » الرسول العربي محمد من قوله عندما نودي « اقرأ » ما أقرأ ؟ فقد وردت في الصحيحين وعند الطبري وغيره على الاستفهام « ما أقرأ ؟ » (ماذا أقرأ ؟) ولم ترد في صيغة النفي ، أي عدم القدرة على القراءة ، وهذا متفق عليه بإجماع العلماء .

وقبل أن ننتقل إلى البحث التفصيلي لهذه الأرض التي بقيت حلماً يراود مخيلة عشيرة بني إسرائيل البدوية الرعوية فترة طويلة ، نعود لننبّه مرة أخرى إلى أن هذه العشيرة هي عشيرة عربية أرامية ، بدوية ، رعوية ، ضئيلة ، لا علاقة لها باليهود أو باليهودية التي ظهرت بعد زمن موسى بما ينوف عن ألف عام ، ثم تحولت إلى دين عالمي خارج نطاق الوطن العربي ، ويضم أقواماً من مختلف الأعراق والأجناس ، وقد صارت الشعوب الخزرية اليوم تؤلف ما نسبته تسعين في المئة من يهود العالم . وقمين بنا أن نذكرّ أنه في بداية هذا العام 1990 بعد ميلاد المسيح ، اعتنق عشرون ألفاً من سكان البيرو الدين اليهودي ، وذهب الحاخام الأكبر في دولة الكيان الصهيوني ليكرسهم يهوداً ، و« بعض أبناء عشائر بني إسرائيل الضالة » ممّا ما يزال يثبت حتى يومنا هذا كذب ادعاءات الصهيونية التي ما تنفك تنفث أباطيلها حول أن يهود العالم يعودون بالنسب إلى بني إسرائيل العرب الآراميين .

وبعد أن نبهنا الآن إلى هذه الحقائق الثابتة نعود لنفند أكاذيب الصهيونية المتعلقة بـ « أرض بني إسرائيل » التوراتية التي جعلتها في التزوير الصهيوني تمتد من الفرات إلى النيل ، علماً أن أرض بني إسرائيل هي أرض عربية كما أن عشيرة بني إسرائيل عشيرة عربية ، وأياً كانت هذه الأرض وأينما كانت ليس ليهود العالم اليوم أية علاقة بها أو بميراثها إلا إذا صحّ أن يرث مسلمو العالم الأرض التي ولد بها وعاش عليها النبي العربي محمد بن عبد الله ، أو أن يرث مسيحيو العالم الأرض التي ولد وعاش عليها النبي العربي عيسى بن مريم .

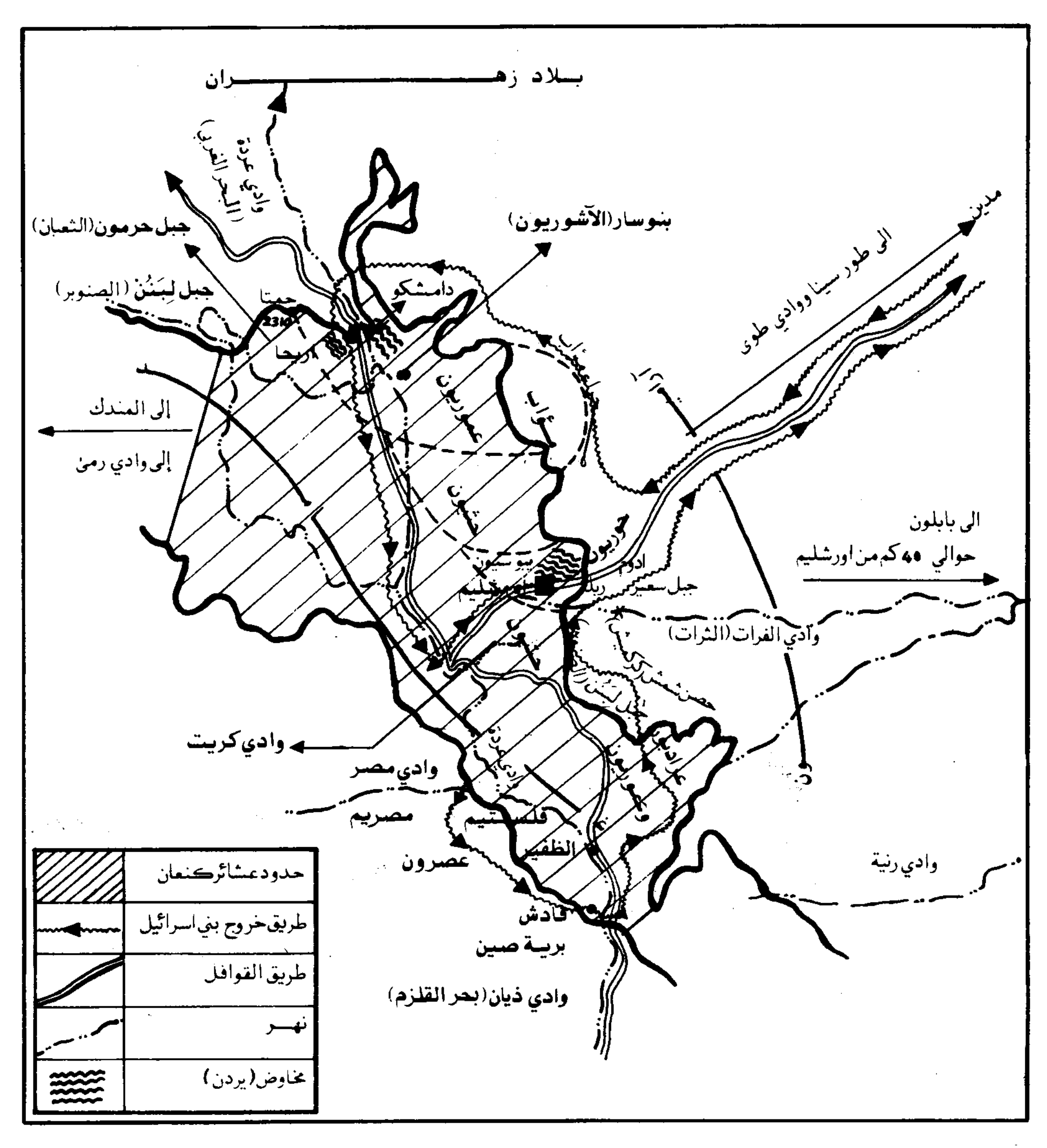
وممّا يزيد الحقيقة وضوحاً وثباتاً وتأكيداً هو أن تلك الأرض المرعى التي ظلّ يحلم بها أولئك البدو الرعاة من عشيرة أبناء يعقوب العرب الآراميين فترة طويلة ظهرت كما هي في مدونات التوراة في أواخر زعامة داود للعشيرة وبداية زعامة ابنه سليمان اللذين لم يسودا أحداً خارج نطاق العشيرة ولم يسكنا ، كباقي أفراد العشيرة ، غير المغاور أو الخيام كما تثبت مدونات التوراة ، وبينّا ذلك بالشواهد حين تحدثنا عمّا دعي بـ « مملكة داود وسليمان » ، وفوق هذا كله فلقد قدمت لنا مدونات التوراة نفسها دليلاً إضافياً لن يحير

معه جواباً أي صهيوني، أو مزور، أو ناقل للتزوير، أو مكابر، حينما فصلت لنا أبعاد تلك الأرض الحلم المرعى مقاسة بالذراع إلى جانب كل المواصفات الأخرى التي سبق أن مررنا على ذكرها والتي تدحض جميعها فكرة الزعم القائل «من النيل إلى الفرات».

أرض «بني إسرائيل» التوراتية ومقاييسها بالذراع

تقول التوراة: «في السنة الخامسة والعشرين من جلائنا، في رأس السنة، في العاشر من الشهر ... في ذلك اليوم نفسه كانت عليّ يد الرب وأتى بي إلى هناك ... أتى بي إلى أرض إسرائيل، ووضعني على جبل شامخ جداً عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب، فأتى بي إلى هناك، فإذا برجل مرآه كمرأى النحاس، وبيده خيط كتّان وقصبة قياس وهو واقف بالباب. فقال لي الرجل يا ابن البشر انظر بعينيك واسمع بأذنيك، واجعل قلبك إلى كل ما أريكه، فإنك لكي تُراه أُتيَ بك إلى هنا، وكل ما تراه فأخبر به آل إسرائيل. فإذا بحائط خارج البيت على محيطه وبيد الرجل قصبة القياس، وهي ستّ أذرع، وذراعها ذراع وقبضة، فقاس عرض البنيان قصبة وسمكه قصبة، وأتى إلى الباب المتجه نحو طريق الشرق ...»[4].

وبعد أن قاس غرف البيت والمذبح «أتى بي إلى الهيكل وقاس الأطرست أذرع عرضاً من هنا وست أذرع عرضاً من هناك وهو عرض الخباء»[5] «وذهب بي إلى الباب المتجه نحو طريق الشرق فإذا بمجد إله إسرائيل قد أتى من طريق الشرق وصوته كصوت مياه غزيرة»[6] «وقال لي يا ابن البشر هذا موضع عرشي وموضع أخامص قدميّ الذي أسكن فيه في وسط بني إسرائيل إلى الأبد، ولا ينجّس من بعدُ آل إسرائيل اسمي القدوس لا هم ولا ملوكهم بزناهم وبجثث ملوكهم في مشارفهم ... هذه شريعة البيت الذي على رأس الجبل، إن جميع تخومه على محيطه هي قدس أقداس، هذه هي شريعة البيت»[7].



مصور أرض عشائر كنعان التوراتية «أرض الميعاد» في جبل غامد.

قسمة الأرض على الأسباط، حدودها، ومساحة كل حصة:

«وإذا قسمتم الأرض ميراثاً تقدمون من الأرض تقدمة مقدسة للرب طولها خمسة وعشرون ألفاً وعرضها عشرة آلاف، هذه تكون مقدسة في جميع تخومها من حولها ... ومن ذلك القياس تقيس طول خمسة وعشرين ألفاً وعرض عشرة آلاف وهناك يكون المقدس قدس الأقداس، وهذا يكون المحل المقدس من الأرض ويكون للكهنة خدّام المقدس المقرِّبين ليخدموا الرب»[8].

«وتجعلون للرئيس ما على جانبي التقدمة المقدسة وما يلي ملك المدينة من جهة الغرب إلى الغرب ومن جهة الشرق إلى الشرق ويكون الطول قبالة كل واحد من النصيبين من تخم الغرب إلى تخم الشرق، فذلك يكون أرضه وملكه في إسرائيل فلا يظلم رؤسائي شعبي من بعد، وإنما يعطون الأرض لآل إسرائيل لأسباطهم، هكذا قال السيد الرب: حسبكم يا رؤساء إسرائيل، كفّوا عن الجور والاغتصاب، وأجروا الحكم والعدل، وارفعوا عن شعبي إعسافكم»[9].

«هكذا قال السيد الرب هذه هي التخوم التي فيها ترثون الأرض على حسب أسباط إسرائيل الاثني عشر وليوسف سهمان. ترثون كل واحد مثل سهم أخيه من هذه الأرض التي رفعتُ يدي على أن أعطيها لآبائكم فتقع لكم ميراثاً. وهذا تخم الأرض من جهة الشمال... يكون التخم من البحر حصر عَينونَ تخمَ دمشق وصافون نحو الشمال وتخم حماة... وجهة الجنوب يميناً من تامار إلى ماء الخصومة في قادش، ومن النهر إلى البحر الكبير، هذه جهة اليمين جنوباً، وجهة الغرب البحر الكبير من التخم إلى ما قدام وأنت آت إلى حماة هذه جهة الغرب، فتقسمون هذه الأرض لكم على حسب أسباط إسرائيل»[10].

«وهذه أسماء الأسباط من حد الشمال بجانب طريق حتلون وأنت آت إلى حماة، حصر عينان هي التخم من جهة دمشق نحو الشمال بجانب حماة، فيكون من جهة الشرق إلى جهة الغرب لدان قسم واحد، وعلى تخم دان من جهة الشرق إلى جهة الغرب لأشير قسم واحد، وعلى تخم أشير من جهة الشرق إلى جهة الغرب لنفتالي قسم واحد، وعلى قسم نفتالي من جهة الشرق إلى جهة الغرب لمنسّى قسم واحد، وعلى تخم منسّى من جهة الشرق إلى جهة الغرب لأفرائيم

قسم واحد ، وعلى تخم أفرائيم من جهة الشرق إلى جهة الغرب ليهوذا قسم واحد ، وعلى تخم يهوذا من جهة الشرق إلى جهة الغرب تكون التقدمة التي تقدمونها خمسة وعشرين ألفاً في الطول والعرض كأحد الأنصبة من جهة الشرق إلى جهة الغرب يكون المقدس في وسطها ، والتقدمة التي تقدمونها للرب يكون طولها خمسة وعشرين ألفاً وعرضها عشرة آلاف ، والتقدمة التي تقدمونها للرب يكون طولها خمسة وعشرين ألفاً وعرضها عشرة آلاف ... وللّاويين قبالة تخم الكهنة يكون خمسة وعشرون ألفاً طولاً وعشرة آلاف عرضاً ، الطول كله خمسة وعشرون ألفاً والعرض عشرة آلاف ... وخلا مُلك اللاويين وملك المدينة اللذين في وسط ما هو للرئيس ، فما بين تخم يهوذا وتخم بنيامين يكون للرئيس ، وباقي الأسباط من جهة الشرق إلى جهة الغرب لبنيامين قسم واحد ، وعلى تخم بنيامين من جهة الشرق إلى جهة الغرب لشمعون قسم واحد ، وعلى تخم شمعون من جهة الشرق إلى جهة الغرب ليسّاكر قسم واحد ، وعلى تخم يسّاكر من جهة الشرق إلى جهة الغرب لزبولون قسم واحد ، وعلى تخم زبولون من جهة الشرق إلى جهة الغرب لجاد قسم واحد ، وعلى تخم جاد من جهة الجنوب يميناً يكون التخم من تامار إلى ماء الخصومة في قادش ، ومن النهر إلى البحر الكبير ، هذه هي الأرض التي تقسمونها ميراثاً لأسباط إسرائيل ، وهذه هي الأنصبة يقول السيد الرب»[11] .

وقبل هذه القسمة المحددة بالذراع يخبرنا صاحب هذا الكلام بأوصاف بيت المقدس القائم على جبل شامخ ومدخل البيت المتجه نحو الشرق فيقول :

«ورجع بي إلى مدخل البيت فإذا بمياه تخرج من تحت عتبة البيت نحو الشرق لأن وجه البيت نحو الشرق والمياه تنزل من تحتُ من جانب البيت الأيمن عن جنوب المذبح . وخرج بي من طريق باب الشمال ودار بي في الطريق الخارجي إلى الباب الخارجي عن الطريق المتجه نحو الشرق فإذا بالمياه تجري من الجانب الأيمن . ولما خرج الرجل نحو الشرق كان بيده خيط فقاس ألف ذراع واجتاز بي في المياه والمياه إلى الكعبين ، ثم قاس ألفاً واجتاز بي في المياه والمياه إلى الركبتين ، ثم قاس ألفاً واجتاز بي والمياه إلى الحقو ين ، ثم قاس

ألفاً فإذا بنهر لم أقدر على الاجتياز فيه لأن المياه صارت طاغية ، مياه سباحة ، نهراً لا يُعبر . فقال لي أرأيت يا ابن البشر ؟ وذهب بي ورجع إلى شاطىء النهر ، ولما رجعت إذا على شاطىء النهر أشجار كثيرة جداً من هنا ومن هناك ، فقال لي إن هذه المياه تخرج نحو البقعة الشرقية ... وكل نفس حية تزحف حيث يبلغ النهر تحيا ، ويكون السمك كثيراً جداً لأن هذه المياه قد بلغت إلى هناك ، فكل ما يبلغ إليه النهر يشفى ويحيا ، ويقف على هذا البحر الصيادون من عين جدي إلى عين عجلائيم فيكون مبسطاً للشباك ، ويكون سمكه على أصنافه كسمك البحر العظيم كثيراً جداً ، أما مستنقعاته وبركه فلا تشفى بل تجعل ملحاً . وعلى النهر ، على شاطئه من هنا ومن هناك ينشأ كل شجر يؤكل ولا يذبل ورقه ، ولا ينقطع ثمره ، بل كل شهر يؤتي بواكير لأن مياهه تخرج من المقدس فيكون ثمره للطعام وورقه للشفاء »[12] .

لنبدأ بدراسة هذه النصوص :

أ - من الناحية الوصفية الجغرافية :

1 - إن بيت المقدس في أورشليم هو على جبل شامخ جداً « أتى بي إلى أرض إسرائيل ووضعني على جبل شامخ جداً عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب » ، وهذا القول لا ينطبق على مدينة القدس في فلسطين . ومدخل البيت المتجه نحو الشرق تخرج من تحت عتبته مياه نحو الشرق ، تزداد غزارتها كل ألف ذراع (أي كل نصف كيلو متر تقريباً) بفضل تجمع الينابيع والروافد حتى تتحول إلى نهر لا يعبر . وهذا أيضاً لا ينطبق على مدينة القدس التي لا ينبع منها أي نهر صغيراً كان أم كبيراً . وإذا ما علمنا أن « مطلق نهر أوموصوفاً بالكبير » في كل أسفار الكتاب المقدس إنما يقصد به نهر الفرات كما تؤكد شروحات الكتاب المقدس الملحقة بسفر إرميا طبعة دار المشرق لعام 1876 تأكد لنا أن النهر المقصود إنما هو نهر الفرات (أو الثرات) الذي ينبع من مغاور في جبل غامد ويتجه شرقاً عبر برية العرب . وهذا النهر ما أن تغزر مياهه وتكثر حتى يطلق عليه في التوراة اسم « البحر » ، وكنا قد أوضحنا أن كلمة « بحر » تعني كل ماء كثير ؛ أو الماء في كثرته سواء في نهر أو بحر

أو بركة أو غيرها .ولقد ورد بين هذه النصوص التي نحن بصددها ما يلي :

«لأن هذه المياه قد بلغت إلى هناك ، فكل ما يبلغ إليه النهر يشفى ويحيا ، ويقف على هذا البحر الصيادون من عين جدي إلى عين عجلائيم (العجول) فيكون مبسطاً للشباك ، إن هذا عينه هو ما جعل كتبة الأسفار يطلقون اسم البحر الكبير أو البحر الغربي على وادي عردة الذي ينبع من جبل غامد الغربي ويصعد شمالاً لتتجمع فيه كل السيول والينابيع والوديان فيصبح غزيراً .

2- إن هذه «الأرض الموعودة» أرض عشائر الكنعانيين تمتد مستطيلة على سفوح جبل غامد ، ونلاحظ عند توزيع الحصص على الأسباط أن التوزيع كان يحرص دائماً على القول من الشرق إلى الغرب ، وهذا هو ما يفسر لنا الصيغة التي ورد بها وعد الرب لإبراهيم بالأرض التي يراها بعينيه من نهر الفرات إلى وادي مصريم ، إذ الفرات ينبع من الجبل ويتجه شرقاً بينما وادي مصريم يخرج من سفحه الغربي ويتجه غرباً . وهذا وذاك هو الذي يفسّر لنا تخم الجنوب «من النهر إلى البحر الكبير ، هذه جهة اليمين جنوباً» أي من نهر الفرات إلى وادي عردة أي من الشرقَ إلى الغرب . ولما كان النص قد حدد لنا عرض الأرض من الشرق إلى الغرب الذي هو عرض كل حصة من الحصص الاثنتي عشرة بعشرة آلاف ذراع ، وأن الذراع ، كما سوف نرى ، يعادل 0,495م ، فإن عرض الأرض من النهر إلى البحر الكبير الذي هو تخم الجنوب هو 10000 ذراع × 0,495م = 4950 متراً ، أي أقل من خمسة كيلومترات ، أي ما يعادل المسافة ما بين ساحة الأمويين ونهاية حي المزة في دمشق ، وهذا الكلام لا يمكن أن ينطبق على أي فرات في سوريا ، بل ولا على نهر الأردن إذا ما افترضنا مع المفترضين جهلاً بأنه ربما يكون الأردن هو النهر المقصود والبحر الأبيض المتوسط هو البحر الغربي إذا ما طبق ذلك على أرض فلسطين . إن الكلام يدور حول نهر الفرات ووادي عردة في جبل غامد . أما دمشق وحماة المقصودتان فهما قريتا دوماسك الآرامية شمال غامد ، وحمت الذي هو أحد أبناء كنعان غرب دوماسك الآرامية في شمال غامد ، وكنا قد فصّلنا في إيضاح ذلك في حلقات سابقة .

وزعت على عدد الأسباط إلى اثنتي عشر حصة متساوية في الطول والعرض، كل منها بعرض عشرة آلاف ذراع من الشرق إلى الغرب، وطول خمسة وعشرين ألف ذراع من الجنوب إلى الشمال. وجعلت إحدى هذه الحصص تقدمة للرب في الوسط، تضم بيت المقدس وملك الرئيس والكهنة من فرع لاوي. لأن الكهنة هم من سبط لاوي الذي منه موسى وهارون، وكان موسى قد حصر الكهانة في نسل أخيه هرون. وهؤلاء، كما تقول التوراة، لا يرثون «وكهنوتهم يكون لهم ميراثاً، فإني أنا ميراثهم، فلا تعطونهم ملكاً في إسرائيل، إني أنا ملكهم»[13]. أما باقي الحصص فيمتد قسم منها شمال منطقة بيت المقدس والرئيس والكهنة وتشمل حصص ستة من الأسباط هم من الشمال إلى الجنوب: دان، وأشير، ونفتالي، ومنسّى، وأفرائيم، ويهوذا، وإلى جنوب حصة بيت المقدس والكهنة والرئيس تتتابع حصص الأسباط الباقين وهم من الشمال إلى الجنوب: بنيامين، وشمعون، ويسّاكر، وزبولون، وجاد الذي يكون تخمه هو التخم الجنوبي لأرض إسرائيل كلها «من النهر إلى البحر الكبير» أي عشرة آلاف ذراع، أي ما يعادل 4950 متراً.

ب- من حيث الأبعاد والمساحة:

لقد أصرّ كتبة الأسفار على أن يقدموا لنا وصفاً قياسياً دقيقاً بالذراع لأبعاد تلك «الأرض الموعودة»، الأرض المرعى، فخلصونا بذلك من كثير من الأوهام والافتراضات، وأسقطوا كل التزوير الصهيوني بضربة واحدة، علماً أننا نؤكد مرة أخرى أن لا علاقة ليهود العالم بتلك الأرض العربية أياً كانت أبعادها كبيرة أم صغيرة وأينما كانت. فلنتأمل الآن في هذه الأبعاد التي حفظتها لنا أسفار التوراة.

وقبل أن نبدأ بحساب هذه الأبعاد لابدّ لنا من أن نلفت نظر القارىء إلى نقطة على غاية من الأهمية، وهي أن كاتب السفر يؤكد لنا أن عملية القياس وتوزيع الحصص هذه إنما تمّت بعد العودة من الجلاء (أي من السبي)، فيفتتح ذلك بقوله: «في السنة الخامسة والعشرين من جلائنا، في رأس السنة، في العاشر

من الشهر ... أتي بي إلى أرض إسرائيل ، ووضعني على جبل شامخ جداً عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب ، فأتى بي إلى هناك ، فإذا برجل مرآه كمرأى النحاس ، وبيده خيط كتّان وقصبة قياس وهو واقف بالباب . فقال لي الرجل يا ابن البشر انظر بعينيك واسمع بأذنيك واجعل قلبك إلى كل ما أريكه ، فإنك لكي تراه أُتيَ بك إلى هنا ، وكل ما تراه فأخبر به آل إسرائيل . فإذا بحائط خارج البيت ... وبِيد الرجل قصبة القياس ، وهي ست أذرع وقبضة . وأتى بي إلى الهيكل وقاس الأطر ست أذرع عرضاً من هنا وست أذرع عرضاً من هناك » .

إن في هذا دليلاً آخر على أن الأرض التي عاد إليها بنو إسرائيل من السبي في بابلون المحطة شرق غامد ليست هي في جنوب سوريا ، وأن بيت المقدس والهيكل المقصود ليس في القدس بل في مغارة أورشليم ، لاسيّما بعدما بيّناه الآن من الأوصاف الملازمة لذلك البيت ، مع التذكير مرة أخرى بأن بني إسرائيل هؤلاء مثلهم مثل المصريين (عشيرة مصريم) الذين سباهم معهم نبوخذ نصر إلى بابل المحطة هم عرب ولا علاقة ليهود العالم اليوم بهم أو بميراثهم .

أما مسألة القياس والأبعاد ، فالنص يخبرنا بصراحة أن وسيلة القياس هي القصبة وطولها ستة أذرع ، وأن حساب الأبعاد يتم بالذراع .

ونحن إذا ما عدنا إلى القاموس الكلداني لوجدنا أن « دراعو » = ذراع ، قياس قدره 24 إصبعاً . وفي كتاب « ميسوفوطاميا » (ما بين النهرين) لمؤلفه ل . ديلابورت جدول بالمقاييس العربيةالبابلية التي كانت مستخدمة في ذلك الزمن ، وقد وردت فيها القصبة والذراع على النحو التالي :

« القصبة = 6 أذرع = 2,97 متراً .

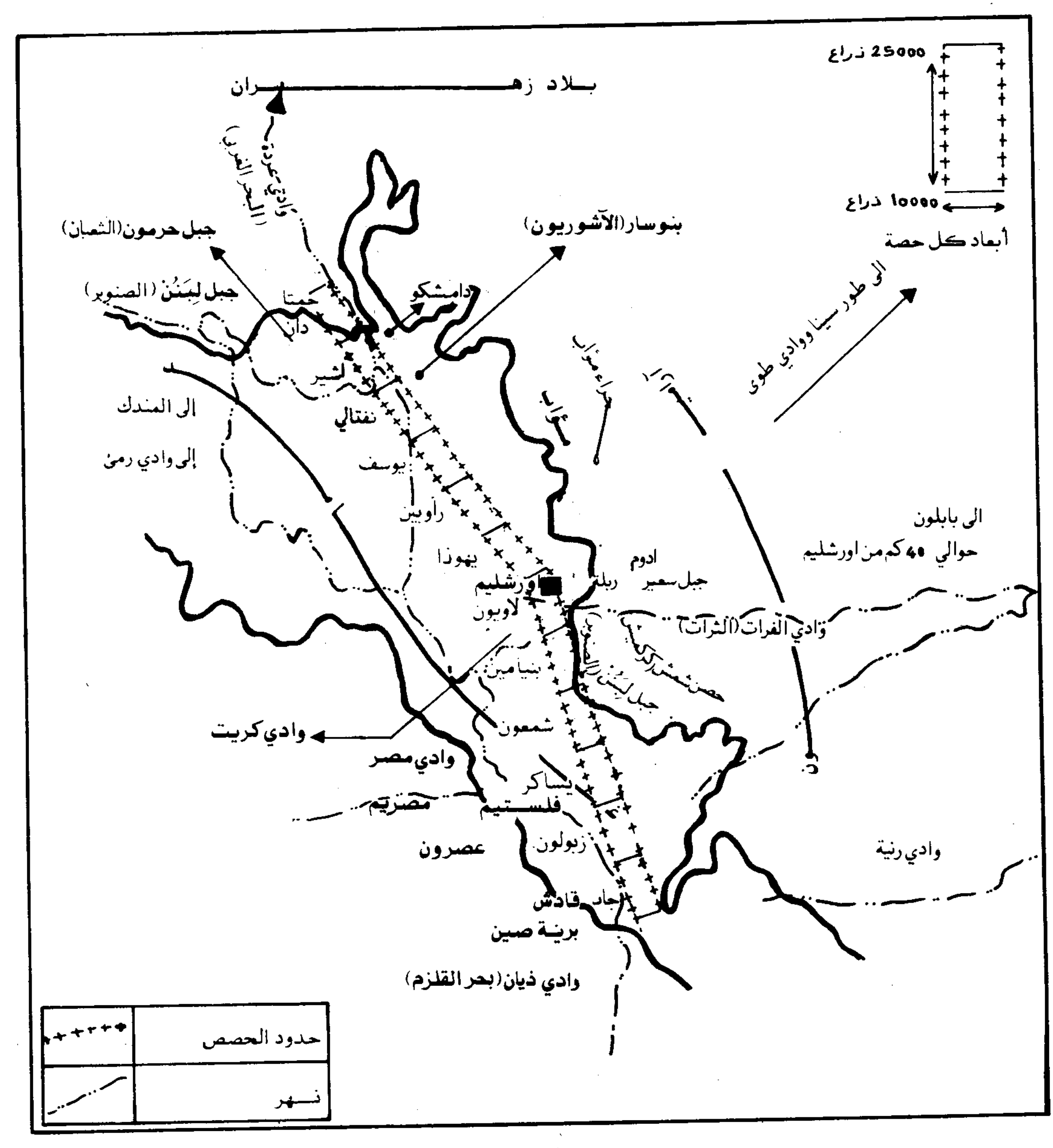
الذراع = 30 إصبعاً = 0,495 متراً »[14] .

وإذا ما علمنا أن « أرض إسرائيل » قسمت إلى اثنتي عشر حصة متساوية عرض كل منها من الشرق إلى الغرب هو عرض الأرض البالغ عشرة آلاف ذراع ، وأن طول كل منها امتداداً من الشمال إلى الجنوب هو خمسة وعشرون ألف ذراع صار في إمكاننا أن نحسب عرض هذه الأرض الذي هو عرض الحصص

جميعاً وطولها الذي هو مجموع أطوال الحصص بالأمتار .
إن العرض بالأمتار هو 10000 ذراع × 0,495 متراً = 4950 متراً أي 4,95 كيلومتر .
وإن طول الحصة الواحدة بالأمتار هو :
25000 ذراع × 0,495 = 12375 متراً = أي 12,475 كيلومتر .
وإن طول الأرض كلها الذي هو مجموع طول الحصص الاثنتي عشر هو 12,375 كيلومتر × 12 = 148,5 كيلومتر .
ونحن إذا ما عرفنا أن هذه الأرض تتلوى بين جبال شامخة شديدة الانحدار كما هي حال جبال غامد تأكدنا من أن مسافة المائة كيلومتر قياساً تتقلص إلى خمسها في خط النظر ، وهذا ما يفسّر لنا إمكانية رؤيتها كلها من فوق الجبل المرتفع . فتأملوا معنا الآن هذه الأرض المرعى التي كان يمكن لإبراهيم أن يراها كلها بعينيه وهو واقف أمام باب خيمته تحت البلوطة في الجبل وعرضها أقل من خمسة كيلومترات ، وتمتد بطول أقل من 150 كيلومتراً وقد صارت فجأة في التزوير الصهيوني تشمل كل الأرض التي تمتد ما بين الفرات في أقصى شمال سوريا ووادي النيل في مصر .
وإذا ما حسبنا مساحة تلك الأرض المرعى للعشيرة بالأمتار المربعة وجدنا أن مساحتها هي :
الطول 148,5 كيلومتر × 4,95 كيلومتر (العرض) = 727,65 كم^2 أي أقل من ألف كيلومتر مربع .

وإذا ما علمنا أن مساحة فلسطين وحدها هي 27000 كم^2 ، ومساحة لبنان 10400 كم^2 ، ومساحة سوريا 185000 كم^2 وأن مساحة محافظة مدينة دمشق وحدها تعادل عشرة أضعاف تلك المساحة تكشف لنا مدى فداحة التزوير الصهيوني والاستشراقي الاستعماري في تفسير أحداث التوراة وجغرافيتها .

ولما كانت الأرض التي ذكرت التوراة أن الرب وعد بها إبراهيم لتكون له ولنسله من بعده هي أرض عشيرة الكنعانيين أو « أرض كنعان » ، ولما



عشائر بني إسرائيل واقتسام « أرض كنعان » حسب التوراة .

كانت الصهيونية تقوم في أساسها على عدة اختراعات من بينها ربط يهود العالم جميعاً بالنسب إلى إبراهيم الخليل لتجعل منهم «ورثة» لأرضه التي وعده الرب بها، فقد ادعت أن أرض كنعان هي أرض ما يدعى اليوم بـ «فلسطين» كلها، ثم وسّعتها لتشمل أرض فلسطين وسوريا، ثم الأرض التي تمتد من الفرات في أعالي سوريا والعراق إلى وادي النيل. وأصرت مراكز الاستشراق الاستعماري والصهيوني على تعميم هذا الافتراء الفادح، وتغييب اسم «سوريا» نهائياً من التاريخ القديم. وصار تاريخ سوريا القديم يُدرس في كل الجامعات كتاريخ لمجموعة من العشائر الكنعانية والعبرية والآرامية البدوية، وصارت الأرض أرض كنعان، وصار السوريون كنعانيين، والآثار والمدن كنعانية، واللغة العربية القديمة كنعانية.. وذلك بالرغم من أن جميع ما اكتشف في كل أرض سوريا الطبيعية من آثار يدحض هذا التزوير. إن اسم «كنعان» لم يرد مرة واحدة في كل المكتشفات الآثارية السورية أو المصادر التاريخية القديمة كلها. بل على العكس من ذلك، فالمؤرخ السوري سانخونياتن الذي عاش حوالي 1400 ق. م أي في زمن موسى، وكتب تاريخاً لبلاده في تسعة مجلدات لم يذكر اسم كنعان أو آراميين أو عبريين، وهيرودوت يتحدث عن السوريين والفينيقيين، وقد أشرنا إلى ذلك، ولم يذكر شيئاً اسمه كنعانيون، وأكثر من هذا، لقد تحدث عن نفسه بأنه من هاليكارنو (مدرج الوعل بالفينيقية) في كيليكيا، وأكد أن كيليكيا فينيقية[15]، وفي عهد الامبراطور السوري على روما سبتيمو سفيرو الذي أصرّ على أن يكون «العربي» أحد ألقابه الثلاثة «أمر بتقسيم سوريا إلى ولاية شمالية تسمى سوريا المجوفة، وسمح بإقامة فرقتين فيها، وإلى ولاية جنوبية وتسمى فينيقيا السورية وسمح فيها بفرقة واحدة»[16].

وها هو الشاعر السوري مليغر (حوالي 110 ق. م) يقول عن نفسه في شعره:

«جزيرة صور كانت مربيتي، وجدرة التي هي أتيكيا تقع في سوريا ولدتني. لقد انبثقت من أوقراتو، أنا، مليغر، الذي سرت بجانب عرائس مينيبو بمساعدة آلهة الشعر. فإذا كنت سورياً فما هي الغرابة؟ أيها الغريب، إننا

نقطن بلداً واحداً هو العالم، وشيء واحد أنبت كل البشر »[17].
وقد كتب على شاهد قبره:

« سر بهدوء، أيها الغريب، فالرجل المسنّ ينام بين الموتى الأتقياء يلفّه النوم الذي هو نصيب الجميع. هذا هو مليغر ابن أوكراتيس الذي قرن آلهة الحب الدامعة العذبة وآلهة الشعر مع العرائس. لقد ربته صور التي ولدتها السماء، وتراب جدرة المقدس حتى بلغ أشدّه، ورعت كوسى المحبوبة من الميروبس شيخوخته. فإذا كنت سوريا فأقول لك سلام، وإذا كنت فينيقياً أقول لك نايديوس (من فعل « إيد » في العربية القديمة والحديثة أي « أعانك الله ») »[18].

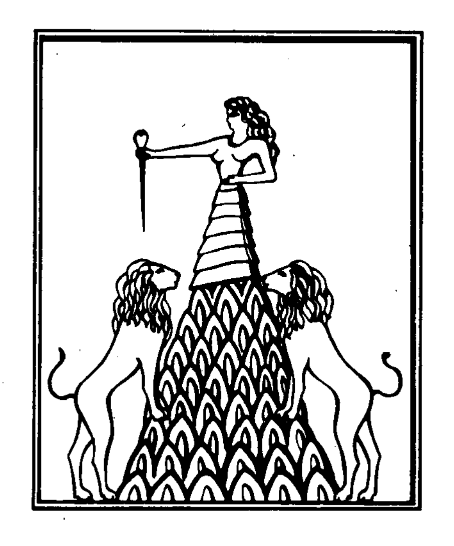
وهذا أدريانو البليغ والمحامي والفيلسوف السوري الذي ما أن هاجر من صور إلى أثينا حتى تبوأ كرسي البلاغة فيها. « وفي الخطاب الافتتاحي الذي وجهه إلى الأثينيين « أسهب في الكلام ليس عن حكمتهم بل عن حكمته لأنه بدأ كلامه بقوله: للمرة الثانية تأتي الآداب من فينيقيا »... وكان يسميه التلاميذ « الفينيقي »[19].

وعلاوة على أن هذا يؤكد لنا الحقيقة القائلة بأن ما دعي بـ « الآداب الإغريقية » إنما هي سورية بأجمعها، فإن ذلك يؤكد أيضاً أن لا ذكر لاسم « كنعان » أو « أرض كنعان » في تاريخ سوريا القديم.
وها هو الكاتب السوري الآخر لقيان السميساطي يتحدث في كتابه الذي أسماه « الإلهة السورية » عن عبادة الربة السورية ولم يذكر شيئاً عن ربة كنعانية، وقد عاش في القرن الثاني الميلادي، ويقول في مقدمة كتابه حرفياً ما يلي: « إنني أكتب كسوري، وما سأرويه لكم قد تأدّى إليّ من خلال مشاهداتي الخاصة »[20].

هؤلاء هم بعض الأعلام العرب السوريين القدامى الأفذاذ يتحدثون عن أنفسهم بأنفسهم بأنهم سوريون، فكيف يصر نقلة التاريخ من أساتذتنا والقائمون على الآثار على نقل التزوير الصهيوني لتاريخ المنطقة كما هو، فيطمسون مع الصهانية هوية هذا الشعب العربي العظيم، ويكرّسون التزوير كما هو رغم أن كل المكتشفات الآثارية دحضته جملة وتفصيلاً، ويصرون على

استخدام تسمية هذا الشعب بـ « الكنعاني »، ويستعيضون عن الاسم الحقيقي الحضاري العريق لهذا الوطن الذي هو « سوريا » و « فينيقيا » بـ « أرض كنعان » التسمية التوراتية المزورة من قبل المستعمرين والصهاينة ! وكل ذلك من أجل أن تكون « أرض كنعان » التي هي « أرض الميعاد » المزعومة شاملة لكل الرقعة التي تمتد ما بين الفرات والنيل !





الحلقة الرابعة عشرة

«اليهودية» و«الصهيونية»



انتشر اليهود الخزريون في أوروبا الشرقية والغربية وفي الأمريكيتين ، وأخذوا ، في معظمهم ، يعيشون في مجتمعات تلك البلدان متطفلين على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والروحية من خلال ممارساتهم لأعمال التجارة الصغيرة ، و« الصيرفة » ، والاقراض الربوي وغير ذلك من الأعمال الصغيرة الأخرى . يتكلمون لغات الأقوام التي يعيشون بين ظهرانيها ، ويتزاوجون معها ، ويحملون جنسياتها لعدة قرون دون أن يكون ثمة ما يجمع بينهم غير مزاولتهم لبعض الطقوس الدينية اليهودية بلغاتهم المختلفة . وليس عسيراً علينا القول إن نوعية وطابع الأعمال الصغيرة التي مارسها معظم اليهود ساعدت على إبراز سمات معينة ما لبثت أن أخذت تطبع شخصية اليهودي بطابعها السلبي الخاص في تلك البلدان ، مما وجد له انعكاساً في آداب وفنون الشعوب الأوروبية قاطبة ، فرسخ ، بالتالي صورة « اليهودي » بطابعها السلبي من الناحية القيمية والأخلاقية في أذهان الناس . إن هذا عينه هو ما تلقفته الحركة الصهيونية فيما بعد ، وزجته ضمن وسائلها الفعالة في إحكام سيطرتها على كل السكان الأوروبيين المعتنقين للدين اليهودي ، ساعية ، في الوقت نفسه ، وبدأب منقطع النظير إلى تأريث نار العداء والكراهية بين اليهود وغير اليهود ، وذلك من أجل اقتلاع جذور اليهود من مجتمعاتهم والحؤول دون اندماجهم ، من جهة ، ثم سوقهم عبر الدهليز الوحيد من أجل « خلاصهم » وهو الدهليز الصهيوني ، الذي سوف يفضي بهم أخيراً إلى الهجرة إلى الأرض التي سوف يتفق عليها بين زعامة الحركة الصهيونية وهذه الدولة الاستعمارية أو تلك ، من جهة أخرى .

فمن المعروف أنه مع انتصار الثورة البورجوازية في أوروبا بدأت حركة التطور السريعة تنعكس على مؤسسات المجتمع الجديد ، مقوضة أسس الانتاج الإقطاعي المتخلف ، وصار كل شيء يوحي بمستقبل باهر للبشرية ، وينعم بجو من الحرية والمساواة والعدل . لكن الانتصار البورجوازي سرعان ما استنفد دوره التقدمي الذي تمثل في قفزته الانتاجية العملاقة متخطياً كل أسوار القرون الوسطى الاقطاعية ، ليسفر عن بدايات دوره الرجعي العتيد المتمثل بالاستغلال الجشع لشغيلة بلده ، ولثروات وخيرات الشعوب والبلدان الأخرى .

ولقد ترافق ذلك بالسعي الحثيث إلى التطور المادي السريع ، والبحث بهمة لاتكلّ عن كل ما من شأنه أن يقرب المسافة ويختصر الطريق في الركض اللاهث خلف الريح بصورة لم تعهدها البشرية مطلقاً ، مما خلق شروطاً جديدة ، وولد الحاجة الماسة إلى الحصول على المواد الأولية بكميات وفيرة وأسعار زهيدة ، كما زاد من حاجته إلى أسواق لتصريف إنتاجه الكبير الفائض عن قدرة شراء السوق المحلية ، وبدأت عمليات السباق على الأسواق الخارجية ومن أجل السيطرة على الثروات والمواد الأولية في الخارج ... لقد بدأ عصر الاستعمار .

ومع بداية عصر الاستعمار بدأ الصراع والتنافس بين البورجوازيات الأوروبية على أشده من أجل السيطرة على أسواق وثروات البلدان الأخرى ، وكما كان هذا التنافس يتمثل في الاستعمار الانكليزي والألماني والفرنسي بالدرجة الأولى فقد كان الشرق الممتد إلى الهند ، والعربي منه تحديداً ، يمثل وجهة تلك الأطماع جميعاً .

إن الوطن العربي بما يمثله من استراتيجية في الموقع ، وبتنوع في المناخ ، وغنى في الثروات الباطنية ، وفي مقدمتها النفط ، وقدرة هائلة على الشراء متمثلاً بأكبر سوق للاستهلاك في العالم ، إذا ما أحكمَ ضبط عملية تقسيمه وتجزئته بحيث يبقى عاجزاً عن استخدام ثرواته وتوحيد أجزائه والتحول إلى دولة عظمى منتجة ومنافسة ، كان ، بكل ذلك ، يمثل الغنيمة والهدف خلف ذلك الصراع ..

في حمأة ذلك التنافس على المستعمرات كان البورجوازيون من اليهود الموزعين ما بين أوروبا والأمريكيتين لايجمع فيما بينهم أي جامع ، وبالتالي فلم يكونوا قادرين على دخول حلبة ذلك التنافس كطرف مستقل للأسباب التالية :

1 - ليس ثمة ما يربط أولئك البورجوزايين بعضهم ببعض ، مثلهم مثل كل اليهود الآخرين ، غير الدين اليهودي ، في مرحلة اشتد فيها السعار القومي في البلدان الأوروبية الذي اعتمدته البورجوازيات الناشئة لتوسيع رقعة سيطرتها ، ولزج كل الجماهير في معركتها من أجل السيطرة وضمان التوسع ، وفي وقت أجمع فيه منظرو كافة الأطراف على أن الدين لاشأن له كعامل بين

عوامل تكون الأمم، بَلْهَ كونه عاملاً وحيداً لدى اليهود.

2- لقد كان رأسمال البورجوازيين من اليهود مصرفياً ربوياً تجارياً خدماتياً في معظمه، يعتمد، بالدرجة الأولى، على العمالات والقروض ذات الفوائد المرتفعة للأفراد أو المؤسسات أو الدول، وبالتالي، فلم يكن من شأنه أن يدخل حلبة تنافس تلك البورجوازيات التي اعتمدت قواعد صناعية مركزية متقدمة، وجهزت جيوشاً قومية مزودة بتكنيك متقدم، وأشبعت بالروح القومية وبروح الغلبة والقوة والاستيلاء والتوسع.

3- كانت جماهير السكان التي تدين باليهودية موزعة بين تلك البلدان، مندمجة فيها، تتكلم لغاتها، وتحمل جنسياتها، وليس ثمة ما يميزها غير ممارستها لطقوسها الدينية اليهودية، مما يشكل عائقاً، أمام البورجوازيين اليهود الذين أخذوا يتطلعون فيها إلى اقتلاع جذورها المترسخة في تلك المجتمعات ليسهل زجها في الوجهة التي سوف يقع عليها الاختيار ... وكانت الحركة الصهيونية.

إن الصهيونية هي، إذن، حركة البورجوزايين من اليهود الأوروبيين خاصة في عصر الاستعمار، وهي بنت النصف الثاني من القرن التاسع عشر، غرضها الاستيلاء على رقعة ما من الأرض تصلح لأن تكون قاعدة استثمارية للتوسع في حمأة التنافس الاستعماري المسعور بين البورجوازيات الأوروبية في ذلك القرن، وبالتالي فهي حركة استعمارية استيطانية حديثة.

ولما كانت هذه الحركة أعجز من أن تنافس كطرف مستقل هذه البورجوازية الاستعمارية أو تلك فقد وضعت نفسها، منذ البداية، في خدمة المطامع الاستعمارية لهذه الدولة أو تلك مقابل حصة ما.

وكان أول من فكر باستخدام يهود أوروبا كركيزة استعمارية في الشرق العربي هو نابليون بونابارت، لكن فشل نابليون في حملته على سوريا «جعلت محاولات المستعمرين الفرنسيين في استخدام اليهود لتحقيق مآربهم في الشرق الأدنى يمكن اعتبارها فصلاً تاريخياً لم يكتب»[1].

وما أن برز على الساحة التنافس الحاد بين الاستعمارين الألماني والانكليزي حتى انقسمت الحركة الصهيونية الناشئة إلى شقين: أحدهما وضع نفسه في

تصرف الاستعمار الألماني، والآخر في تصرف الاستعمار الانكليزي.

ألمانيا النازية والصهيونية:

من الأخطاء التاريخية الشائعة اليوم أن ألمانيا النازية كانت تضع نصب عينيها هدف إبادة اليهود، وبالتالي فقد كانت ضد الحركة الصهيونية وقيام ما يدعى بـ «دولة إسرائيل» في فلسطين. إن هذا القول الشائع أمس واليوم لايمت إلى الحقيقة بأية صلة، وهو يكشف سذاجة، إن لم نقل جهلاً، لاحدود لها في فهم الأحداث التاريخية والسياسية بوجه عام.
إن من المعروف أن أطماع ألمانيا الاستعمارية كانت تمتد شرقاً إلى الهند. وإذا ما أردنا رسم صورة أكثر تحديداً لخط هذه الأطماع لقلنا: إنها تمتد عبر مقاطعتي الألزاس واللورين، ثم إقليم السوديت الغني بالفحم في تشيكوسلوفياكيا فاليونان جنوباً، ثم مروراً بمناطق حقول النفط الغنية في جنوب الاتحاد السوفيتي ليشمل تركيا وشمال سوريا، فشمال العراق، فإيران كلها وصولاً إلى الهند.
ولما كانت ألمانيا النازية قد اعتمدت نظرية «العرق الآري المتفوق» فقد جعلت جميع الشعوب الواقعة على امتداد هذا الخط منتمية للعرق الآري رغم أنف كل الحقائق وعلوم التاريخ، والأنتروبولوجيا، والأقوام، واللغات وغيرها... وأحدثت من أجل ذلك مؤسسات استشراقية كان من أهمها مؤسسة «فون أوبنهايم» دعمتها بوسائل باهظة من أجل ترسيخ هذه النظرة ونشرها وتعميمها.
وإذا ما تذكرنا أن النظرية الألمانية اعتمدت اللغة أساس تكوين الأمم، فقد كان لامندوحة من اختراع آخر يدعم المشروعية الزائفة لتلك الأطماع، فخرج المنظرون الألمان بالبدعة التي انطلت على الشرق والغرب معاً، والتي قسموا بموجبها لغات الشعوب القديمة إلى أسرتين ومجموعتين: الأسرة الأولى ودعوها بمجموعة اللغات الهندو - أوروبية، وتمتد من الهند شرقاً إلى ألمانيا غرباً، والمجموعة الثانية دعوها بمجموعة اللغات السامية بعد أن تلقفوا الصيغة التي كان قد ابتدعها اليهودي الألماني شلوتزر منذ قرن مضى حول

ما دعاه بـ « اللغات السامية » .
ورغم اعتراض كثير من العلماء والمؤرخين الموضوعيين فإن ما فرض بالقوة على الجامعات والمعاهد في ألمانيا ، صار يمارس من قبل أساتذة هذه الجامعات والمعاهد نفسها في فترات لاحقة على الخريجين من مختلف البلدان ولا سيما البلدان العربية . (وبالمناسبة هنا نقول إن العرب هم الوحيدون في هذا العالم الذين يرسلون أبناءهم إلى خصومهم والطامعين فيهم ليتعلموا على أيديهم تاريخهم العربي) .

ولم يستطع الباحث الفرنسي الشهير بيير روسي ألا يكتب قائلا بهذا الصدد :

« إننا نعرف ، عندما نتكلم عن الوطن العربي ، أننا في سبيلنا إلى معارضة نظرية مقدسة تجعل من العربي شخصية صحراوية انبثقت في التاريخ في عهد غير محدد أو معروف . لقد كتبت دائرة معارف الإسلام « إن عهود العرب الأولى في التاريخ غامضة جداً ، إننا لا نعرف من أين أتوا ولا ما هو وجودهم البدائي » . ولكن شيئاً وحيداً كان يبدو مؤكداً لكاتب المقال ، هو أنهم ساميون . وها هو ذا التفسير الهزيل ، الهزيل ، التعبير الخالي في الحقيقة من أي معنى . تعبير فارغ إلى حد أن دائرة معارف الإسلام هذه نفسها لم تستطع أن تضع تعبير « الساميين » على مائدة البحث ، وهل هناك ضرورة لإضافة أن تعبير (سامي) لم يرد له ذكر بين مفردات اللغة الإغريقية أو في اللغة اللاتينية ؟ وما يقال في هذا المجال طويل . إننا لن نجد هذا التعبير قبل نهاية القرن الثامن عشر . ذلك أن الألماني (اليهودي - المؤلف) شلوتسر هو الذي صاغ هذا النعت (السامي) في مؤلف نشره عام 1781 وأعطاه العنوان التالي : (فهرس الأدب التوراتي والشرقي) كأن الأدب التوراتي ليس شرقياً . إن هذا التفسيم الذي حدده شلوتسر يجب أن يدعونا إلى الحذر . وإنه لمن المؤكد وبشكل حاسم أن التسليم بتقسيم الشعوب إلى شرقية وغربية هو مفتاح تاريخنا ، وأنه مع هذا التقسيم الجغرافي يتطابق حدان مزدوجان عنصريان ولغويان هما الهنود الأوروبيون (أو من يسمون أحياناً بالآريين) والساميون . إن جميع العقول « الجيدة » قد انحنت أمام هذا الاختراع المتولد

عن خيال اللغويين الألمان ... إن تعبيري (سامي، وآري) ليسا شيئاً، ولا يدلان على شيء، ولكي يكتسبا حقيقة ما، ولكي يصلحا كنقطتي انطلاق تاريخيتين، ينبغي أن يكون هذان «الشعبان» قد امتلكا من قبل صفتي الآرية والسامية. وإنه ليس هناك إنسان ما، أو ثقافة ما، أو مجتمع ما، قد طالب بهذا الارتباط المصيري السامي أو الآري. إن هذا يجب أن يقال. ولكن عالمنا كان نظرياً إلى حد جعله يجد سعادته في الأشكال الخيالية التي وضعه فيها المفكرون. إن البعد العالمي للنظريات التي يعممونها، والتضامن (لئلا نقول التواطؤ) الذي يصل بعضهم ببعضهم الآخر، والآلة المذهبية التي تحيط بهم ... إن كل ذلك يعطي لآرائهم وأقوالهم سيطرة تفرض نفسها على الرأي. ويبدو الأمر كما كتب إيراسم «الصحيح أن الإنسان يتأثر بالخيال أكثر مما يتأثر بالحقيقة»، بيد أنه لاشيء في ميدان الحقيقة يفرض تمييزاً سليماً أو مريباً بين الآريين والساميين. إن التعبير الأول من هذين التعبيرين اختراع بسيط.. أما الثاني فهو .. مشتق من سام بن نوح ... ومن أجل «احترام» التراث التوراتي كان ينبغي أن نقول (اليافثيون) وليس (الآريون) لأن (يافث) من أبناء نوح الثلاثة هو الذي نسل اليونانيين والأناضوليين وأقاربنا الأوروبيين، فبأية غفلة لا تُغتَفَر تقدمت مدرستنا العلمية في ميدان ليس فيه شيء من الثبوت والصحة. ذلك أنه لايكفي الإنسان أن يتكلم، بل عليه أن يتكلم ما هو صحيح ... وإنه لمن المؤكد أن ليس جميع العلماء أخذوا يرددون حقاً تلك الكلمات، وأنه كانت هنا وهناك أصوات معارضة ... وأن هناك نقاداً وقفوا ضد هذه الادعاءات الشاذة.. ولكنه من المتعارف عليه أيضاً أن الجامعة جسم يحمي أعضاءه المؤمنين به من جهة، ويقسو على معارضيه، من جهة ثانية، ولذلك سكت النقاد عندما لم يسكتهم أحد قسراً. إن كثيراً من المعلمين والمفسرين قد فضلوا، وهم الخائفون من مضايقة الأساتذة الذين تتلمذوا عليهم، أن يأخذوا دورهم، دائنين بذلك أنفسهم، وموزعين نعيم تعليم لم يكونوا مؤمنين به أبداً، ومخلدين وهماً لم يكن من خلقهم..

«والحق أن الإغريق لم يكتموا أبداً ارتقاءهم الآسيوي، إنهم كانوا يعترفون بأنهم تلاميذ المصريين والبابليين، إن «البانثيون» عندهم عربي ...

« أجل، نحن أبناء آسيا وأبناء العروبة النيلية — الرافدية، أجل نحن أولئك في الحقيقة، وهذا هو مجموع الوصية التي ينبغي علينا أن نطالب بها »[2].
إن ما دعي بـ « العرق الآري » هو، إذن، بدعة حديثة لا تمت إلى العلم بأية صلة، وقد « فبركتها » الدوائر الاستعمارية الألمانية خدمة لأغراضها هي، وقد انطلت هذه الأكذوبة على معظم الشعوب والقبائل المنتشرة على طول خط المطامع الاستعمارية الألمانية من شمال اليونان إلى الهند. وبعد هزيمة دول المحور في الحرب العالمية الثانية لم يفكر أحد بتصحيح ذلك التزوير، خاصة وأن الدول الغربية المنتصرة وجدت في ذلك مجالاً يمكن استثماره لمصالحها هي، ومن أجل تكريس التزوير الآخر حول تخلف الشرق الأبدي وتقدم الغرب الأبدي كحقيقة تاريخية.

التعاون النازي الصهيوني:

ذكرنا أن الصهيونية نشأت كحركة البورجوازيين من اليهود، وليست حركة جماهير السكان الذين ينتمون إلى الدين اليهودي في هذا البلد أو ذاك، وقد زجت أولئك اليهود وجندتهم خدمة لمآربها الاستعمارية التي هي في النهاية لخدمة مصالح هذه الدولة الاستعمارية أو تلك مقابل حصة استعمارية معينة.
ومن أجل تحقيق تلك الغايات فقد جرى التعاون والتنسيق على عدة محاور نذكر منها:

1 - على الخط اللغوي العرقي كلفت الحركة الصهيونية المدعو اليعازر بن يهوه لوضع ما يدعى اليوم بقاموس اللغة العبرية من العربية القديمة وإحدى اللهجات العامية الألمانية لتكون لغة عامة (اسبرنتو) لجميع اليهود الذين سوف يتم تهجيرهم إلى « الأرض الموعودة ». وقد أنجز ذلك ما بين 1910 — 1922.

2 - في حمأة الصراع والتنافس المسعورين بين الاستعماريين الألماني والانكليزي انقسمت الحركة الصهيونية إلى جناحين: واحد مع ألمانيا والآخر مع بريطانيا، فبينما كان ناحوم غولدمان وبولكيس ونوسيغ يمثلون حلقات

الوصل في سلسلة الارتباط المباشر مع ألمانيا النازية، كان ماكس نورداو وجابو تينسكي وغيرهما يمثلان جناح التعامل مع الاستعمار الانكليزي.

3- بالاتفاق مع النازية والجناح الصهيوني المتعامل معها بدأت السلطات الألمانية باضطهاد جماهير السكان من اليهود من أجل إرغامهم على الارتماء في أحضان الحركة الصهيونية، ومن ثم تهجيرهم إلى فلسطين. لقد كتبت مجلة «شبيغل» الألمانية الغربية في عددها الصادر بتاريخ 19 كانون الأول عام 1966 ما يلي: «كان العميل مايخرت في مكتب الاستخبارات الألماني في فلسطين على صلة مع أحد الرجال البارزين في المنظمة السرية التي كانت تحتل أعلى مرتبة في المخابرات الألمانية، وكانت تلك المنظمة تسمى «هاجاناه»، وكان بين القادة البارزين لهذا الجيش السري فيفل بولكيس، وقد وضعت تحت تصرفه قيادة جهاز أمن اليهود الفلسطينيين كله كما ذكرها «غين» الذي تسلم قيادة فرع المخابرات رقم 11112 لشؤون اليهود بعد ميندلشتاين»[3].

«وفي برلين، وبتأييد من السلطات النازية، تعاظم في تلك الفترة نشاط ما يسمّى بالمكتب الفلسطيني الذي كان يقوم باستقبال الوافدين بالاشتراك المباشر مع ليفي اشكول ... ويشهد جون وديفيد كيمحي مؤلفا كتاب «الطرق السرية» بأن إرسال المبعوثين من فلسطين إلى ألمانيا لم يكن من أجل إنقاذ اليهود الألمان، لقد كانوا ينتقون الشبان من الرجال والنساء ممّن لديهم الاستعداد للهجرة إلى فلسطين كي يصبحوا «روواداً» ويقاتلوا»[4].

أما حاييم وايزمان فقد كان يكتنفه الصمت البارد حيال كل ما يجري في ألمانيا. وقد أجاب عن سؤال اللجنة الملكية البريطانية حول إمكانية إرسال ستة ملايين من اليهود إلى فلسطين: «كلا، العجزة إلى الشيطان، فهم من الناحيتين الاقتصادية والأخلاقية ذرات غبار في طيف الضوء الكبير ... أما الفروع فتبقى»، وبعد واحد وعشرين عاماً من اندحار ألمانيا النازية أخذ الزعماء الصهاينة يتكلمون عن الأسباب التي دعتهم للوفاء للحياد إزاء الاضطهاد النازي لليهود، فقد أعلن إيليزار ليفي أحد الصهاينة البارزين: «لو أننا وجدنا نحن (الصهاينة) مهمتنا الأساسية في إنقاذ أكبر عدد ممكن

من اليهود إذن لكان علينا أن نتعاون مع الأنصار . لقد كانت قواعد الأنصار منتشرة في بولونيا ، ولاتفيا ، وفي المناطق التي احتلها الألمان من روسيا ويوغوسلافيا ، ثم في سلوفاكيا »[5] .

4- وعلى صعيد « أدلجة » الاستعمار الألماني- الصهيوني لاحتلال الوطن العربي فقد لجأت الحركة الصهيونية بالتعاون مع مراكز الاستشراق الألمانية إلى اعتماد مدونات التوراة بعد تزوير جغرافيتها ، فنقلت عشيرة الحثيين الكنعانيين العرب من موقعهم في أعالي الفرات (الثرات) في جبل غامد من السراة في شبه جزيرة العرب ، إلى أعالي نهر الفرات في شمال سوريا ، وجعلتهم هندو أوروبيين (أي آريين) سيطروا على شمال سوريا حتى فلسطين بعد أن نقلوا عشيرة فلستيم إلى جنوب سوريا الذي أطلقوا عليه اسم « أرض كنعان » ، فتتم السيطرة المشتركة النازية والصهيونية من الفرات إلى النيل . واستكمالاً لهذا المخطط فقد بدأ الكتاب الصهاينة يروجون في كتاباتهم بأنهم من نسل « آري » لأن إسحق تزوج من بنات حث الكنعانيات فجعلوا الحثيين آريين ، ثم صار الأنف الأقنى الذي يحمله بعض اليهود ، كما يحمله غيرهم ، سمة يهودية عرقية تدل على صحة نسبهم مع الألمان إلى العرق الآري المتفوق ! وتم نقل عشيرة الحوريين الذين هم أبناء بني سعير (أدوم) ، وهو عيسو أخو يعقوب كما تؤكد التوراة ، من جبلهم في منطقة غامد إلى شمال سوريا ليتحولوا إلى امبراطورية هندو أوروبية ، أما باقي سوريا فقد ملأوه بعشائر آرامية رعوية متخلفة من التوراة .

إن هذه الصورة هي التي ما تزال تصرّ على تدريسها وتعميمها المعاهد والجامعات الألمانية والصهيونية على حد سواء . وهي ، للأسف ، التي نرسل أبناءنا إليها من أجل أن يتخصصوا بتاريخنا القديم ليدرسوه لنا ولأبنائنا في المدارس والجامعات العربية على امتداد هذا القرن الاستعماري وحتى اليوم . وإن نظرة واحدة على الكتب التي يصدرها أو يدرّسها خريجو تلك الجامعات من السوريين العاملين في الجامعات أو في مديرية الآثار تعكس لنا هذا الواقع البائس لمعرفتنا لتاريخنا العربي القديم .

إن هذا الوضع هو الذي يجعل باحثاً أجنبياً منصفاً وموضوعياً مثل بيير

روسي يتألم حتى الأنين حينما يكتب قائلاً : « والمذنب الثاني هو التعليم الجامعي المنتشر منذ النهضة والذي كان الوحيد لصالح روما وأثينا اللتين غدتا (إيتوبيا) تنظر إلى الخلف ، واللتين غدا الأوروبي من خلالهما .. معتقداً أنه اكتشف ذروة مثالياته ... وتوقفت الثقافة الأوروبية عن الاهتمام بالعرب لكي ينهاروا في الرمل ، ولكي ينسحبوا شيئاً فشيئاً إلى حيث يغدون من قبل الغرب في القرن العشرين مختصين بالجمل والقبيلة والثأر والبداوة ... وتستمر أسطورة الحياة ، ويوجد اليوم أيضاً لدى العرب أنفسهم أناس يستفيدون من ذلك في الدفاع عن شهادات ينالونها وفي تزيين أطروحات مستعربة »[6] .

لقد تعاونت الصهيونية والنازية معاً في عمليات إبادة العجزة والقاصرين من اليهود ، وتلقفت العناصر الشابة لتضعها في معسكرات الإعداد والتدريب ضمن ألمانيا تمهيداً لتهجيرهم إلى فلسطين .

ففي ذلك الوقت ، وبينما كان فيفل بولكيس وعصابته يلبون « الحاجات » الخارجية لألمانيا النازية كان الدكتور نوسيغ ، الذي كان في عهد ولهلم الثاني من أنصار مشروع استيطان اليهود في الامبراطورية العثمانية خارج نطاق فلسطين لايقل حماسة عنهم في تلبية « الحاجات » الداخلية للنازيين . إن نوسيغ هذا ، الزعيم الصهيوني ، الكاتب ، النحات ، السياسي ، والذي كان يعمل في مكتبه ببرلين بعض مشاهير الصهاينة كأرتور روبين ، وياكوب تون ، قام مع النازيين بوضع خطة لإبادة اليهود الألمان العجزة منهم والفقراء . وقد عمّر نوسيغ حتى الثمانين ، وفي هذا السن أعدم على أيدي مناضلي جيتو وأرصو الذين وصلتهم أنباء جرائمه بشهادة موشى سني الذي كتب : « فانظروا إلى أي حدّ بلغ الإخلاص بزعيم الصهيونية البارز للامبريالية الألمانية »[7] .

وقد صرح بن غوريون نفسه قائلاً : « إنني لا أجد حرجاً من الاعتراف بأنه لو كان لديّ من السلطة ما لدي من الرغبات والمطامح لانتقيت الشباب الموهوب المتطور المنتظم المخلص لقضيتنا المفعم بالحماسة ... ولأصدرت أمراً لهذا الشباب بأن يتخفى تحت قناع غير يهودي ليلاحق اليهود بأشنع طرق اللاسامية تحت شعارات كهذه الشعارات « أيها اليهود القذرون » « أيها اليهود ، ارحلوا إلى فلسطين » وأؤكد لكم أن نتائج الهجرة كانت ستفوق بعشرة آلاف مرة هذه

النتائج التي يحققها رسلنا ومبعوثونا الذين ذهبت كل دعواتهم سدى خلال عشرة أعوام »[8] .

الاستعمار الانكليزي والصهيونية :

من المعلوم أن خط الأطماع الاستعمارية الانكليزي المتجه شرقاً كان يمتد عبر جزر المتوسط وأفريقيا ، فمصر ، فقناة السويس ، شرقاً إلى الهند . وكانت بريطانيا تنظر بشهية بالغة إلى الاستئثار بأكبر حصة ممكنة من تركة الاحتلال التركي في الوطن العربي ، وكانت تخيفها إلى درجة كبيرة حركة القومية العربية الناهضة ، فضربت مشروع الوحدة العربية مرتين في المهد ، مرة زمن إبراهيم باشا ، وأخرى إبان الثورة العربية بقيادة الشريف حسين . وأخذت تتطلع إلى « استيراد » شعب غريب لزرعه في قلب المنطقة ليكون حارساً لمصالحها الممتد عبر شريان السويس إلى الهند من جهة ، وحائلاً دون قيام أية وحدة عربية حقيقية في المنطقة من جهة أخرى .

« ولقد كان الصراع على أشده بين الدول الاستعمارية من أجل مناطق النفوذ في الشرقين الأدنى والأوسط قبل شق قناة السويس وبعده . وقد كتب الدكتور ادوارد روبنسون في دراسته للصراع الحاد العنيد الناشب في هذه المنطقة من العالم : «كانت تعتبر فرنسا حامية للكاثوليك ... وكان أنصار الكنيسة اليونانية حلفاء أمناء لروسيا دائماً ، فمن هم الذين سوف تعتمد عليهم في هذا الجزء أو ذاك من الامبراطورية العثمانية ؟ « ولقد لجأت انكلترا إلى السعي للحصول على تأييد اليهود الشرقيين ، وأصدرت في تلك الفترة قانوناً لفرض وصايتها عليهم ، وإقناع اليهود الأوروبيين بضرورة الهجرة تحت حمايتها إلى فلسطين »[9] .

ولقد مرّت مسألة « الأرض الموعودة » بخط متعرج ومتغيّر لم تكن فلسطين واردة إطلاقاً في كل المقترحات الانكليزية الصهيونية :

1 - ففي عهد ولهلم الثاني في ألمانيا اقترح على الصهاينة أن ينشر اليهود على خط حديد برلين -بغداد لحراسة خط المصالح الاستعمارية الألماني ، ووافقت الصهيونية على ذلك .

2- إن تيودور هرتزل حينما وضع كتابه «دولة إسرائيل» قبيل المؤتمر الصهيوني في بال 1897 لم يحدد فيه أية أرض موعودة، مما جعل يوري آفنيري عضو الكنيست الإسرائيلي يعلق فيما بعد قائلاً: «إن تيودور هرتزل وضع مشروع كتابه في إناء مغلق، فرسم «يوتوبيا» الخطوط العريضة لبلد يجب أن يخلق بدون أي ارتباط بأرض معينة، وفكرته كان يمكن تحقيقها في الأرجنتين، وفي كندا، وفي أوغندا، أو في أي مكان آخر ... وكتابه «دولة إسرائيل» الذي نشر عام 1896 يؤكد بشكل مسهب على ساعات العمل وعلى مساكن العمال، وحث على حكم الدولة. وليست هناك أية إشارة إلى احتمال مجابهة الصدام مع أي شعب آخر. والسبب في ذلك بسيط، وهو أن هرتزل، حين ألف كتابه، لم يكن يفكر بأي بلد معين»[10].

وتأكيداً للحقيقة الثابتة القائلة بأن غاية الصهيونية كانت خدمة مصالح هذه الدولة الاستعمارية أو تلك مقابل حصة استعمارية ما، وليس تهجير اليهود إلى ما دعي فيما بعد بـ «أرض الميعاد» أو نزولاً عند حنينهم المزعوم إلى فلسطين، فقد كتب الصهيوني ل. بينسكر في تلك الفترة يقول: «علينا ألّا ننزح إلى ذلك المكان الذي سبق أن دُمّرت فيه حياتنا في زمن مضى ... فنحن لا يلزمنا غير شريط من الأرض يمكن أن يتحول إلى ملكيتنا ... وإلى هناك سوف ننقل أقدس المقدسات التي بقيت لنا .. فكرة الرب والتوراة، لأنهما وحدهما حولا بلادنا إلى أرض مقدسة وليس الأردن أو أورشليم»[11].

3- «وفي بداية القرن الماضي كانت أوساط معينة من البورجوازية الانكليزية مهتمه بالهجرة الكثيفة المركزة إلى أوغندا (التي كان يدخل ضمن نطاقها قسم من كينيا الحالية) ومرة أخرى يقف هرتزل لا غيره خطيباً في المؤتمر الصهيوني العالمي السادس ليقول في هذا الصدد: «إنني لا أشك في أن المجلس، كممثل لجماهير اليهود، سوف يرحب بهذا الاقتراح مع جزيل شكره. ويتضمن الاقتراح مستعمرة يهودية تتمتع بالحكم الذاتي في أفريقيا الشرقية وبإدارة يهودية وحكومة محلية يهودية، وعلى رأسها الحاخام اليهودي الأكبر، وكل هذا، بالطبع، تحت الرعاية البريطانية الموقرة»[12].

«وكتب ح. وايزمن بشأن مسألة اختيار المكان من أجل «الدولة اليهودية»

أنه «كانت تقترح أماكن ذات إقليم حار جداً حيناً، وأماكن ذات إقليم بارد جداً حيناً آخر، وقد كان الحديث يدور حول المناطق التي لايمكن العيش بها إلا بعد عشرات السنين من العمل المتواصل وبدخل غير معقول»[13]. «وبكلمات أخرى فمن وجهة نظر رجل الأعمال (الصهيوني) كانت الأعمال غير مربحة إطلاقاً»[14].

وكما ورد في كتابة الدكتور م. شيني أحد رجال السياسة في إسرائيل فإن نوسيغ أنشأ في عهد ولهلم الثاني شركة استعمارية مستقلة من أجل إرسال اليهود إلى أحد أقاليم الامبراطورية العثمانية خارج فلسطين[15].

4- وفي الصراع الذي نشب بين الزعماء الصهاينة الذين كانوا يعكسون مصالح مختلف الدول الاستعمارية تمكنت الفئة الموالية لبريطانيا، وعلى رأسها وايزمان، من الفوز أخيراً في نهاية الشوط، وحدث ذلك بعد أن احتلت مكان الصدارة في الأوساط الحاكمة البريطانية تلك المجموعة التي كانت تضع فلسطين نصب أعينها. وبهذا الصدد، «وبعد قرار المؤتمر الصهيوني العالمي السابع الذي اختار فلسطين انشق زانغويل الزعيم الصهيوني الموالي لبريطانيا عن المنظمة الصهيونية العالمية، وشكل منظمة موازية لها بقصد تنفيذ الاقتراح الخاص بأفريقيا الشرقية، أو إنشاء اتحاد يهودي يتمتع بالحكم الذاتي في أية منطقة كانت»[16].

وبعد انتصار التحالف البريطاني الصهيوني قررت بريطانيا أن تزرع اليهود على ضفتي قناة السويس، أولاً، من أجل حراسة شريانها الاستعماري الرئيسي إلى شبه جزيرة العرب والهند، ثم ما لبثت أن قررت أن تكون فلسطين هي «الأرض الموعودة»، وسرعان ما حدد الزعيم الصهيوني العميل للانكليز المهمات المتبادلة بين الصهاينة والانكليز بدقة حيث قال: «نحن نعرف ماذا تنتظرون منا، تريدون أن نحرس لكم قناة السويس. إن علينا أن نحرس لكم طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى، ونحن على استعداد للقيام بهذه المهمة الشاقة، لكنه من الضروري أن تسمحوا لنا بإنشاء قوة ذاتية تمكننا من القيام بهذا الواجب»[17].

«ولقد برع الانكليز في خلق فصائل جيدة التسليح بالنسبة لذلك الزمن من

المستوطنين الصهاينة، وقد أطلق عليها اسم «وحدات الدفاع الذاتي» ليتمكنوا من استخدامها ضد حركة التحرر الوطني العربية. وقد دعي اليهود من «المستودع الاستعماري» حسب تعبير جابوتينسكي ـ لتسلم زمام الحكم في البلاد. وقد ورد في خطاب جابوتينسكي أمام اللجنة الملكية البريطانية: «أما ما يتعلق بمسألة الأمن، فإن أمة كأمتكم ذات اختصاص استعماري عريق حافل بالخبرات والتجارب لتدرك جيداً أن الاستعمار لايمكن أن يمرّ بسهولة وبدون صدامات مع السكان المحليين... اجعلوا أمر دفاعنا شرعياً كما فعلتم في كينيا»[18].

وصدر أمر يقضي بتعيين رجل المخابرات الانكليزي المحنك أورد تشارلز وينغيت قائداً لفصائل «الدفاع الذاتي» بقصد تحويلها إلى وحدات مقاتلة تأديبية محترفة. وكانت بين المهمات المباشرة لهذه الفصائل طرد العرب بالقوة من أراضيهم وديارهم إلى خارج فلسطين. إن إسرائيل بير مستشار بن غوريون يصف نشاط الفصائل «التأديبية» الصهيونية بعد أن أكملت استعداداتها على يد رجل المخابرات الانكليزي المجرب أورد تشارلز وينغيت الذي عين قائداً لتلك الفصائل، فيقول: «لقد نجحت وحدات القتال الليلي الخاصة أكثر من أي قوة في القضاء على أعمال المقاومة العربية التي كانت موجهة ضد الانكليز. إن وحدات وينغيت الخاصة لم تشكل من أجل القضاء على حرب العصابات وحسب، ولكنها، وبالدرجة الأولى، تشكلت من أجل حماية المشروع الامبراطوري العظيم: خطوط أنابيب نفط العراق (الذي كان يصب في حيفا آنذاك)»[19].

ومنذ أن مالت الكفة في الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء لاحظت الزعامة النازية كيف أن القاعدة الصهيونية في الشرق الأوسط والتي كان مقدَّراً لها ـ فيما لو انتصرت ألمانيا ـ أن تكون حارسة لمصالحها وشريكة لها، وقد تحولت تدريجياً لصالح الاستعمار الانكليزي. فعمدت القيادة الألمانية في أواخر عهدها إلى تسديد ضربات محكمة لليهود ككل في ألمانيا، وفي كل البلدان التي كانت ما تزال خاضعة لسيطرتها.

أما الاحتكارات الأمريكية فقد كانت ترقب بحسد بالغ تنامي النفوذ البريطاني

في الشرق العربي . وباعتراف جهاز الدولة في الولايات المتحدة الأمريكية فإن الاحتكارات الأمريكية «كانت تبدي اهتماماً بفلسطين طيلة أعوام الانتداب البريطاني ... ووقفت ضد قانون عام 1939 الذي حدّ من الهجرة»[20] . وفي كانون الأول عام 1942 طالب 63 عضواً من مجلس الشيوخ و181 عضواً من الكونغرس الأمريكي الرئيس روزفلت بإقامة المركز اليهودي . وفي حزيران 1945 توجهت أغلبية الجناحين في الكونغرس إلى ترومان طالبة منه أن يستخدم كل نفوذه من أجل فتح فلسطين «أمام هجرة اليهود واستيطانهم دون أي عائق» .

الامبريالية الأمريكية والصهيونية :

برزت الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية كأعتى قوة امبريالية في العالم ، وأخذت بريطانيا تتراجع إلى الوراء ، وأخذ نجم الاستعمار البريطاني يسرع في الأفول ، فتقدمت دوائر الامبريالية الأمريكية بسرعة لتملأ الأماكن التي أخلتها دوائر الاستعمار البريطاني ، فتحولت الاحتكارات الصهيونية إلى سيدها الجديد ، وتحولت «إسرائيل» إلى قاعدة متقدمة لحماية مصالح الامبريالية الأمريكية في المنطقة دون منازع .
«وفي الأعوام الأخيرة من الحرب العالمية الثانية ، وتحت تأثير قوى الرأسمال الأمريكي التي يزداد تحكمها في العالم الرأسمالي ، فإن اتحاد الشركات الصهيوني الدولي يخضع تدريجياً لإعادة تنظيم تشمل كل جوانبه كيما يتمكن وشيكاً من السير جنباً إلى جنب مع الآلة الاقتصادية والتجسسية والدعائية والعسكرية للامبريالية الأمريكية . وفي هذه الأثناء اشتدّ تغلغل الرأسمال الأمريكي في منطقة الشرق الأدنى ، ولا سيما في فلسطين ، وتضاعف عدد المنظمات الصهيونية في الولايات المتحدة ذاتها إلى حد صارخ . وإن قيادة اتحاد الشركات الصهيوني الدولي ، إذ تواصل تكتيكها في تأييد أقوى دولة امبريالية في هذه الفترة التاريخية أو تلك ، فإنها تربط مصيرها ربطاً وثيقاً ومحكماً بالرأسمال الاحتكاري الأمريكي»[21] .
ولمّا وضعت الحرب أوزارها ، وتحديداً في حزيران عام 1945 توجه بن

غوريون بمهمة خاصة إلى الولايات المتحدة الأمريكية . وهناك التقى بـ « مجموعة الناس الموثوقين » لبحث مشا كل الحرب الجديدة . وكان الحديث يدور حول إقامة صناعة حربية في الجزء المستوطن من فلسطين وذلك لأنه (كما صرح بن غوريون نفسه) « في المستقبل القريب سوف نجد أنفسنا مضطرين لأن نخوض كفاحاً مسلحاً ضد الجيوش العربية » . وفي كتابه « إسرائيل أعوام الكفاح » ، فإن بن غوريون لم يستطع التخلص من الرغبة في التبجح بموهبته في أن يكون مرتزقاً ومأجوراً وبمواهب « أناسه الموثوقين » في الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً . فقد كتب : « بأقل من مليون دولار حصلنا على التجهيزات الكاملة للمؤسسات الحربية التي تكلف عشرات الملايين ، وقد وصلت إلى فلسطين كاملة وسليمة »[22] .

وفي كانون الأول عام 1946 ، وفي المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ، الذي عقد في بال ، توطد شكلياً انتصار الجناح الموالي لأمريكا في الصهيونية الدولية ... وقد أدت مطالب الصهاينة التي صارت تتمتع بالتأييد العلني والصريح من قبل ممثلي الرأسمال الاحتكاري الأمريكي إلى رفع بريطانيا الحظر عن هجرة اليهود إلى فلسطين ، هذا الحظر الذي كانت قد فرضته بعد أن أحسّت بظهور « السيد الجديد » للصهيونية على الساحة والمتمثل بالامبريالية الأمريكية .

ومنذ أن احتلت الامبريالية الأمريكية موقع السيادة لم تتوان لحظة عن استخدام الاحتكارات الصهيونية الدولية المتمثلة بالكونسيرسيوم الصهيوني الدولي الذي انتقل مركزه إلى نيويورك وبقاعدته المتقدمة « إسرائيل » في توطيد وتوسيع نفوذها على كافة الصعد :

1 - ففي فلسطين المحتلة عمدت إلى تحويل دولة الكيان الصهيوني إلى آلة للغزو والاغتصاب قادرة ، عن طريق القوة وبفضل الدعم المالي والتكنولوجي اللامحدود ، على أن تسيطر أو تؤثر تأثيراً فعالاً على خط سير الأحداث في المنطقة العربية التي تفوق بأهميتها الحيوية بالنسبة للامبريالية أية منطقة أخرى في العالم ، كما عززت موقفها كرأس جسر لتغلغل الامبريالية

الاقتصادي والسياسي (تحت راية إسرائيل) في البلدان النامية من آسيا وأفريقيا وفي غيرها من البلدان، وذلك عن طريق إقامة الكثير من فروع الشركات والمصانع ومن بينها مصانع الأسلحة المتطورة تحت أقنعة إسرائيلية، وهذا ما صرح به ميخائيل بريتشر في كتابه «الدول الجديدة في آسيا» حينما تحدث عن مهمات «إسرائيل»: «الاستعداد لتكون رأس جسر بين دول الغرب الاستعمارية والبلدان التي كانت مستعمرات سابقاً للغرب»[23].

وانتقل الدور كلياً إلى خدمة المصالح الامبريالية الأمريكية في المنطقة. «ومن الطبيعي أن تكون إسرائيل، كدولة قوية، وذات قدرة عسكرية، شريكاً مرغوباً فيه لتجسيد السياسة الأمريكية في المنطقة، وضمان استمرار تدفق النفط إلى الأسواق الغربية»[24].

لقد جعلت الامبريالية الأمريكية دولة الكيان الصهيوني في فلسطين جسماً رجراجاً متحركاً ليس له حدود يتمدّد في الزمان والمكان حسب ما تقتضيه الظروف ومصالح تحالف تلك الاحتكارات، بحيث يبقى قادراً في كل مرحلة وفي كل ظرف على القيام بالدور الأساسي المنوط به، وهو الحؤول دون قيام دولة عربية قوية في المنطقة من شأنها أن تشكل تهديداً على مصالح الاحتكارات النفطية وغيرها.

2- أما على النطاق الدولي، فلم تأل الامبريالية يوماً جهداً في الدفاع عن ذلك الكيان وحمايته سواء في المنظمات الدولية أو على صعيد النزاع الدائم مع الأمة العربية.

3- وفوق هذا وذاك، فقد استأثرت بتلك الثروات العربية لتغدق منها ما يرضي خادمتها وحليفتها الاحتكارات الصهيونية وأداتها المتقدمة على أرض المنطقة «دولة إسرائيل». وتمكنت من أن تبقي مناطق المصالح النفطية ما بين «إسرائيل» ومياه الخليج العربي مكشوفة للغزو أمام هذه الأخيرة في الوقت الذي ترى فيه أن الأمر بات يستدعي ذلك، دون أن تجد دولة الكيان الصهيوني في طريقها إلى مياه الخليج أية قوى حقيقية يمكن أن تعترض طريقها أو تمنعها من تحقيق ذلك.

إن هذا الواقع هو ما جعل قادة العدو يصرحون على الملأ في أكثر من مناسبة

تصريحات مفادها أن حدود ذلك الكيان إنما هي حدود ما تقتضيه المصالح والضرورة.

«إن بن غوريون كان «ينوّر» في زمانه الطلاب قائلاً: «إن خارطة إسرائيل ليست خارطة بلادنا الحالية. إن لنا خارطة أخرى عليكم أنتم، معشر الطلبة وشبيبة المدارس اليهودية، أن تمنحوها الحياة. إن على «الأمة» الاسرائيلية أن توسع حدود أراضيها من الفرات إلى النيل»[25].

ويوضح مناحيم بيغن ذلك أكثر حينما خطب في قواته المسلّحة قائلاً: «فنحن إذ نمدّ أبصارنا إلى الشمال نلتقي بسهول سوريا ولبنان الخصيبة.. وإلى الشرق تتراءى الوديان الغنية لدجلة والفرات.. ونفط العراق، وإلى الغرب بلاد المصريين. فلن تتوفر لدينا إمكانيات التطور حتى نحلّ قضايا الأرض من مواقع القوة. إننا سوف نرغم العرب على الرضوخ المطلق»[26].

وفي خطاب له آخر موجه إلى الجيش الاسرائيلي في 28 تشرين الأول عام 1958 قال: «أنتم الاسرائيليين، عليكم ألّا تأخذكم الرأفة عندما تظفرون بعدوكم. عليكم ألّا ترحموا، حتى تدمروا نهائياً ما يسمّى بالثقافة العربية التي سوف نبني على أنقاضها حضارتنا نحن»[27].

إن الامبريالية الأمريكية ما فتئت تحقن هذا الكيان مالياً، واقتصادياً، وتكنيكياً، منذ بداية الخمسينات من هذا القرن وحتى اليوم جاعلة منه مصداً أمام القوة العربية المهيأة للاضطلاع بالدور النهضوي الحديث: سوريا ومصر، مطمئنة في ظل هذا الواقع إلى بقاء الثروات العربية النفطية الهائلة تصب في أقنية الخزائن الأمريكية والصهيونية. وإذا ما علمنا أن نفط كل من العراق والكويت والسعودية وحدها يشكل أكثر من نصف احتياطي العالم، وأن في شبه جزيرة العرب من الذهب ما يوازي بقيمته الثروة النفطية أو يزيد، وأن الآلة الأوروبية الغربية واليابانية قائمة على نفطنا العربي، أدركنا معنى أن يتحول العرب إلى دولة حقيقية تمتلك ثرواتها بأيديها، أو قل: أدركنا، كما يدرك الغرب كله، معنى أن يصل العرب إلى درجة من القوة تمكنهم من فرض رغباتهم على العالم في التحرير والوحدة بمجرد أن يصبحوا قادرين على تهديد مصالح هذا العالم على الأرض العربية تهديداً حقيقياً منسقاً فاعلاً،

لا فردياً أجوف إجهاضياً ومرتجلاً .

أما على صعيد التاريخ فقد بدأت الحقائق الكبرى تتكشف يوماً بعد يوم ، رغم كل محاولات التكتّم والاخفاء والتشويه والتزوير ، لتعلن بثقة لاحدود لها أن الوطن العربي هو مهد الحضارة البشرية ، قدم لها جميع علومها وفنونها وآدابها على مدى أربعة عشر ألفاً من السنين المشهودة آثارياً . ومع هذا فلم يلحق العرب من العالم المتقدم اليوم إلا كل عقوق . لقد سخرت كل الوسائل ، وبذلت كل الجهود في هذا العصر الاستعماري من أجل تفكيك وحدة الشعب العربي ، وترسيخ تجزئته ، وتزوير تاريخه ، وتقزيم وتشويه صورته ، وحظرت عليه ثرواته الهائلة ، كما حظر عليه استخدام بعض العلم الذي قدمه للعالم عامة ، وللغرب خاصة ، فنهض به ، وظلّ لايملك غيره حتى القرن الثامن عشر بعد ميلاد المسيح .

لقد كتب المؤرخ الأمريكي ول ديورانت في مستهل الجزء الثاني من مؤلفه الضخم «قصة الحضارة» يقول : «لقد انقضى منذ بداية التاريخ المكتوب من الآن ما لا يقل عن ستة آلاف عام . وفي خلال نصف هذا العهد كان «الشرق الأدنى» مركز الشؤون البشرية التي وصل إلينا علمها . وإذا ذكرنا هذا اللفظ المبهم في هذا الكتاب فإننا نقصد به جميع بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب الروسيا والبحر الأسود وغرب الهند وأفغانستان ، وسنطلق هذا الاسم أيضاً ، وإن خرجنا في هذا على مقتضيات الدقة ، على مصر ، لأن هذه البلاد كانت شديدة الاتصال بذلك الجزء من العالم ، كما كانت مركزاً انتشرت منه الحضارة الشرقية . على هذا المسرح غير الدقيق التحديد ، الآهل بالسكان وبالثقافات نشأت الزراعة ، والتجارة ، والخيل المستأنسة ، والمركبات ، وسكّت النقود ، وكتبت خطابات الاعتماد ، ونشأت الحرف والصناعات ، والشرائع ، والحكومات ، وعلوم الرياضيات ، والطب ، وطرق صرف المياه ، والهندسة ، والفلك ، والتقويم ، والساعات ، وصورت دائرة البروج ، وعرفت الحروف الهجائية ، والكتابة ، واخترع الورق والحبر ، وألّفت الكتب ، وشيدت المدارس والمكتبات ، ونشأت الآداب والموسيقى والنحت وهندسة البناء ، وصنع الخزف المطلي المصقول والأثاث الدقيق الجميل ، ونشأت عقيدة التوحيد ووحدة

الزواج ، واستخدمت أدوات التجميل والحلي ، وعرف النرد والداما ، وفرضت ضريبة الدخل ، واستخدمت المرضعات ، وشربت الخمور ... عرفت هذه الأشياء كلها ، واستمدت منها أوروبا وأمريكا ثقافتهما على مدى القرون عن طريق كريت واليونان والرومان ، وقصارى القول : إن « الآريين » لم يشيدوا صرح الحضارة ، بل أخذوها عن بابل ومصر ، وإن اليونان لم ينشئوا الحضارة إنشاء ، لأن ما ورثوه منها كان أكثر مما ابتدعوه ، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخير من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنين .. فإذا درسنا الشرق الأدنى وعظمنا شأنه فإننا بذلك نعترف بما علينا من دين لمن شادوا بحق صرح الحضارة الأوروبية والأمريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدى من زمن بعيد »[28] .

* *

إن تاريخ شعب من الشعوب هو ذاكرته وعقله وفكره وشخصيته . وإن تفكك شخصية الأمم ، وانحطاطها ، وقعودها عن النضال ، تبدأ جميعاً مع بداية نسيان تاريخها ، مع بداية فقدان ذاكرتها . ونحن لانغالي إذا ما قلنا إن حركات الانبعاث القومية والتحرر الوطنية لاتستيقظ ولا تبدأ إلا مع العودة إلى استذكار التاريخ واستلهام أحداثه ، ولا سيما تلك التي تزكي مشاعر وحدة أبناء الأمة ، فتجعلهم يعتزون بالانتساب إليها ، وتحفزهم إلى توحيدها ، والتصدي لكل أعدائها والطامعين فيها ، ولن يتمكن التاريخ من الإسهام ببعث وبناء الشخصية العربية الناهضة قبل تصحيحه وتحريره . إن تصحيح التاريخ أضحى اليوم مهمة نضالية قومية ملحة .





نتائج

1 - إن أقوام وطننا العربي القديم هم عرب أصولاً ووجوداً وحضارة، دلّت على ذلك الأنتروبولوجيا الموضوعية المنطلقة من دراسة المكتشفات الآثارية على ضوء ما قدمته علوم الإنسان، والمجتمع، والأقوام، واللغات، والجغرافيا، والمناخ، والكتابة ... الخ.

فلقد أكدت المكتشفات الآثارية أن أرضنا العربية هي مهد تجمعات الانسان العاقل الأول على هذا الكوكب، وأنها تفردت بآثاره ذات الاستمرارية، والتي وجدت متواصلة دون انقطاع خلال عشرات الآلاف من السنين.

إن التراكمات الحضارية الكمية لهذه التجمعات هي التي أدّت بالضرورة إلى تطور حضاراتها النوعي. فكانت أول من أنشأ قرى الصيادين المستمرة، وأنجز أول ثورة زراعية في العالم منذ حوالي الألف الثاني عشر قبل الميلاد، وأول من أقام الدولة وأنشأ المدن الزراعية، وأول من عرف الحرفة وعمل بالتجارة، وأول من قدّم وأبدع في مجال الفن، والعلم، والأدب، والأسطورة، والدين، ومع هذه الابداعات كانت التوهجات الحضارية للعرب: سومريين، وآكاديين، وبابليين، وفينيقيين، ومصريين، وعرب مسلمين...

ولما كانت حركة ذوبان الجليد تتجه من حدود الجليد الجنوبية (في وسط فرنسا وجنوب البحر الأسود) شمالاً، لتنحسر عن أراض جديدة طيلة الفترة الممتدة من حوالي 14000 ق. م، التي هي بداية عصرنا الدفيء الحالي، فإن حركة السكان تبعت ذلك الاتجاه وليس العكس، وبالتالي فإن الحضارة انتقلت من الأرض العربية مع العرب السوريين، في معظمهم، من بابليين وفينيقيين، الذين كانوا يملأون حوض المتوسط الشمالية بمستعمراتهم، إلى تلك البقاع الشمالية. إن هذا هو ما تؤكده اليوم جميع المكتشفات الآثارية على شواطىء البحر الأسود وفي اليونان وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا وعلى مجرى الدانوب في وسط أوروبا، وبالرغم من أن كثيراً من الجهات تصمت عن هذه الحقيقة،

ربما لاعتقادها بأن الكشف عن حضارة عربية سورية قديمة قد يقلب الآن التاريخ الذي بناه الأوروبيون خلال فترة بنائهم القومي في القرنين الماضيين، ورتبوا، بناء عليه، خرائط سياسية وجغرافية تنسجم مع أطماعهم الاستعمارية في منطقتنا العربية.

2- إن ما افترضه صموئيل نوح كريمر حول أن السومريين غرباء عن المنطقة، وأن لغتهم لاتمت بصلة إلى العربية القديمة، لم يعمّر طويلاً حتى سقط وتجاوزه العلماء والباحثون، ولم يعد يتمسك بتلك الفرضية ليجعل منها حقيقة لاغبار عليها سوى بعض الجهات الاستشراقية الاستعمارية والصهيونية في الخارج وبعض النقلة من الأساتذة الذين لم تعد خافية على أحد اليوم تكوناتهم ومنطلقاتهم الشعوبية. لقد برهن علم الأنتروبولوجيا بفرعيه الطبيعي والثقافي المتضمن علم اللغات، والأقوام، والمجتمع، والآثار على ما أكده علماء المناخ حول حقيقة عروبة السومريين، وحقيقة كونهم أحفاد العرب العبيديين الذين كانوا يقطنون القسم الشرقي من شبه جزيرة العرب، بما فيه منطقة حوض الخليج العربي، قبل أن تدفع بهم مياه البحر المرتفعة تدريجياً، نتيجة لذوبان الجليد، إلى جنوب ما دعي فيما بعد بـ «العراق».

أمّا ما يخص لغتهم فقد ثبت أخيراً أن اللغة المحكية هي العربية القديمة، أما ما اكتشف في المعابد من كتابة مقطعية فقد تبين كيف أن الكتابة المقطعية أو التصويرية ليس من شأنها أن تعكس أصوات اللغة المحكية، بل هي «شيفرة» خاصة بوسط ضيق (رجال المعبد مثلاً)، يضعون اصطلاحاتها، ويتعارفون عليها، ويستخدمونها فيما بينهم وحدهم من أجل أمور يتفردون بها دون سواهم كتسجيل غلال أراضي المعبد والحصص والأجور سواء ما يخص المعبد منها أو غيره. وكان تعميم «مصطلحاتها» منحصراً برجال المعبد وفئة تابعة لهم من الموظفين.

3- إن «الساميين» أو بني سام، فرع من فروع العروبة وليسوا كلها، بل هم أحد فروعها البدوية الضئيلة في شبه جزيرة العرب. وقبل أن يولد سام بن نوح كان العرب العبيديون والسومريون والآكاديون والعموريون

والفينيقيون ... يملأون شتى بقاع الوطن العربي بما فيه وادي النيل وشمال أفريقيا . وإن سام بن نوح تكلم لغة أبيه وأمه العربية بلهجتها السريانية الشرقية ، كما أن آرام بن سام لم يبتدع هو الآخر لغة ، ولم يتكلم غير لغته العربية ، لغة آبائه وأجداده بلهجتها السريانية الشرقية ، وعليه فإن ما دعي بـ « الشعوب السامية » و« اللغات السامية » ليست إلا بدعة يهودية حديثة اخترعها اليهودي النمساوي شلوتزر في أواخر القرن الثامن عشر وسقطت علمياً وتاريخياً ، كما أن ما يدعى اليوم بـ « اللغة الآرامية » ليست إلا تضليلاً استشراقياً وصهيونياً آخر ، غايته حجب الهوية القومية العربية لسكان الوطن العربي القديم عن الأنظار من جهة ، وتغييب الوجه الحضاري المتفوق للعرب الذي ما زال يذهل المستكشفين يوماً بعد يوم ، وذلك عن طريق حجب الوجود العربي الحضاري عن الساحة ودفع بعض القبائل العربية البدوية الرعوية لتملأ هذه الساحة ، وهي عشائر العرب الآراميين ، علماً أن موطن تلك العشائر هو منطقة عسير من شبه جزيرة العرب ، وقد بادت في معظمها ودعيت بالعرب البائدة ، ومنها عاد وثمود ، ولم يبق منها إلا فرع نبيط بن ماش بن آرام الذي ينتمي إليه إبراهيم الخليل ، وهذا الفرع لم يتعدّ يوماً في سكناه جوف شبه جزيرة العرب ، وإن ما يدعى اليوم بـ « الممالك الآرامية » في سوريا ليس إلا إحدى عمليات التزوير التي يصرّ على نقلها الأساتذة في أقسام التاريخ ومديريات الآثار كما هي في الوقت الذي أسقطتها فيه المكتشفات الآثارية ذاتها ودحضتها .

إن الفكر الشعوبي المرتبط بالصهيونية ، والذي برز في أجلى صورة له في تبني الفكر الاستشراقي والصهيوني هذا ، مظهراً شراسة واستماتة في الدفاع عن مواقع وعمل وإفرازات ذلك التزوير للتاريخ العربي ، كان ، وفي كل الأوقات ، وما يزال ، يخفي عداءه للقومية العربية تحت أحد قناعين كاذبين : إما التعصب الديني الاسلامي يميناً ، أو التعصب « الأممي » يساراً ، وهو في كلتا الحالين ، وتحت كلا القناعين يخفي مضموناً واحداً هو العداء للقومية العربية .

إن التشبث بهذه البدعة اليهودية الصهيونية « النظرية السامية » ثم التنكر

لعروبة « الساميين » والتظاهر بالغيرة على الإسلام وإبراز دوره في آن معاً ، وكأنما الإسلام ينفصل عن العروبة مادة وروحاً ، فكراً وعقلاً ، تراثاً ، وبشراً ، وإنجازاً ، وتوهجاً ، هو بمثابة ضربة للعروبة وللاسلام معاً . فإذا كان « سام » بن نوح هو أبو آرام ، وآرام هو جد إبراهيم الخليل ، وإبراهيم هو أبو إسماعيل ، الذي هو الجد الأكبر لعدنان ، الجد الأكبر لهاشم ، الجد الأكبر لمحمد بن عبد الله ، ومحمد هو العربي بن العربي نبي الإسلام والقائل : « أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي ، ولأن القرآن عربي ، ولغة أهل الجنة العربية » ، فكيف تستقيم المعادلة مع أولئك « الغيورين على الإسلام » ؟ كيف يكون محمد عربياً ، وآباؤه عرباً ، و« سام » الذي هو أحد آباء محمد ، لايصح أن يكون عربياً ؟ أية « غيرة » على الإسلام هذه حينما تتشبث بما يلفقه أعداء الإسلام ، وتتخلى عما يؤكده نبي الإسلام والقرآن الكريم نفسه ؟ إن أي عربي مسلم عادي يعرف أن القرآن الكريم يعدد أنبياء التوحيد منذ آدم ، ومروراً بإدريس ، ونوح ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط ، وصالح ، وهود ، وأيوب ، وموسى ، ويونس ، وشعيب ، وإلياس ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى ، وانتهاء بمحمد بن عبد الله الذي كان أول وآخر نبي انتصرت على يديه دعوة التوحيد . لقد عددهم القرآن الكريم في سورة هود ، والحجر ، والقصص ، والشعراء ، وغيرها ، ثم يؤكد بعد ذلك ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ ، و﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ (البقرة 213) كما أكد أن هؤلاء الأنبياء ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ .

إن تغريب الإسلام عن مادته وجوهره العروبيين ، تحت قناع كاذب من التعصب له ، إنما هو إنكار للعروبة وللاسلام معاً ، ووقوف في الخندق الآخر حيث أعداء العروبة والاسلام معاً . وإن ممّا يثير الدهشة فعلاً هو تصدّي كثير من الباحثين المنصفين والموضوعيين في البلدان الغربية اليوم لهذه النظرات والنظريات المغرضة والمجحفة بحق العرب ، والظالمة لهم ولحقيقتهم التاريخية ، ففندوا الكثير من هذه النظريات المختلقة من مخيلة البعض - ومنها « السامية » - ودحضوها كلية وأسقطوها ، بينما نجد النقلة من بعض أساتذتنا

وقد أملت عليهم منطلقاتهم الشعوبية التشبث بمواقع ذلك الفكر التزويري ما دام يشوّه الحقيقة التاريخية للشعب العربي، ويفصل حاضره عن ماضيه، ويسيء إلى وحدته.

وهنا لابد من التنبيه إلى أن إطلاق تسمية «عرب» و«أعراب» على البدو من سكان «عربت»، أي برية العرب شرقي جبال السراة، لاينفي صفة العروبة عن سكان الوطن العربي الآخرين. وقد رأينا كيف أن أباطرة روما من السوريين كانوا يصرون على أن يكون لقبهم «العربي» وهم على عرش روما. كما أن الرسول العربي محمداً الذي كان يعتز بعروبته ويدعو إلى حب العرب كان كثيراً ما يبدي استياءه من أعراب البادية الذين كانوا يمثلون الجمود ورفض التطور والعقيدة الجديدة. وهم الذين نعتهم القرآن الكريم بأنهم «أشد كفراً ونفاقاً». ولم يعد اليوم بين الباحثين من ينكر على أقوام الوطن العربي القديم عروبتهم، بدءاً بالعبيديين والسومريين وحتى غساسنة سوريا ومناذرة العراق قبل الإسلام، إلا كل مغرض أو حاقد على العرب وعلى تاريخهم. ومن هنا فإن وقف العروبة على جاهلية ما قبل الإسلام في بادية العرب وإنكارها على عرب سوريا والعراق ومصر والشمال الأفريقي إنما هو جزء من التآمر الشعوبي على العروبة والاسلام معاً.

4- إن كلمة «عابري» أو «عبراني» كانت تطلق على كل من يعبر من برية العرب شرقاً عبر وادي الفرات (الثرات) إلى قرى الكنعانيين في سفوح جبل غامد غرباً. والعبور لم يكن ظاهرة اجتماعية منظمة، أو شعوبية، أو عرقية، أو لغوية، بل ظاهرة عفوية لاتخضع لأي شرط غير ظروف القائمين بها أفراداً كانوا أم جماعات. وقد لقب إبراهيم بـ «العابر» نتيجة لعبوره في ذلك المكان، مثله مثل أي راع بدوي عربي آخر. وإن إبراهيم لم يكن له أية علاقة بمن يعبر يومياً، وهو لم يتزعم أحداً غير أهل بيته، وبالتحديد امرأته سارة وابن أخيه لوط، الذي ما لبث أن انفصل عنه لضيق المرعى بمواشيهما معاً. وهو لم يكن يتكلم لغة غير لغته العربية بلهجتها السريانية الشرقية كما تؤكد لنا جميع المصادر العربية، وقد أطلق هذا اللقب عليه أثناء حياته ومات معه بعد موته، فأولاد إسماعيل دعوا بالاسماعيليين، وأولاد يعقوب (الذي هو

إسرائيل) دعوا بالاسرائيليين ، وبالتالي فليس في التاريخ العربي من « العبرانية » شيء غير الظاهرة العربية البدوية التي استمرت قبل إبراهيم وبعد إبراهيم ، يقوم بها أفراد وأسر من عشائر شتى في بادية العرب دون أن يكون ثمة ما يجمع بينها غير صفة العبور ، ومن هنا تسقط مقولة « الشعب العبراني » و« اللغة العبرانية » من منطق التاريخ . أمّا ما يدعى اليوم بـ « اللغة العبرية » فهو اختراع حديث أملاه أليعازر بن يهوه ما بين 1910 — 1922 من هذا القرن بتكليف من الصهيونية العالمية .

5- إن علم الآثار قد قال كلمته الصريحة حول أحداث مدونات التوراة ، وهي أنه لاوجود لهذه الأحداث آثارياً ، سواء في فلسطين أو في خارج فلسطين ، وإن المصدر الوحيد لدى العالم كله عمّن دعوه بـ « ملوك التوراة وحروبهم » إنما هو مدونات التوراة فقط .

6- إن الحقيقة التاريخية والجغرافية في مدونات التوراة شيء ، وإن التفسير الاستعماري -الصهيوني لها شيء آخر مغاير تماماً . إنه تزوير فادح .

7- إن الصورة التاريخية والجغرافية -كما هي في التزوير الصهيوني ، هي السائدة اليوم والمعمّمة على الجامعات والمعاهد ، وهي نفسها ما ينقله النقلة العرب من الأساتذة لتدريسه في جامعات الوطن العربي ومعاهده .

8- إن سوريا الطبيعية كانت تمتد من البحر الأعلى (البحر الأسود) شمالاً ، إلى البحر الأدنى (بحر العرب) جنوباً ، وقد شهدت قيام أول دولة مركزية في العالم منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، واستمرت محافظة على وحدة الرقعة الجغرافية ومركزية الدولة حتى أواخر عهد الملكة العربية زنوبيا في القرن الثالث بعد الميلاد . أما التسميات العشائرية : كنعانيون ، آراميون ، حثيون ، حوريون (أوميتانيون) فلسطينيون ، بنو إسرائيل » ، وغيرها من التسميات العشائرية الأخرى فهي تسميات توراتية اقتلعت من موقعها الأساسي كعشائر عربية في جبل غامد وبرية عسير من شبه جزيرة العرب وأقحمت في تاريخ وجغرافيا سوريا في عملية التزوير الكبرى التي أحدثها الاستشراق الاستعماري والصهيوني الحديث ، وقد دحضت المكتشفات الآثارية في أرض سوريا الطبيعية كلها هذه المزاعم وكشفت حقيقة التزوير كما أكّدت وتؤكد

في كل يوم وحدة الحضارة والشعب في سوريا الطبيعية طيلة فترة تاريخها القديم، وليس ثمة وجود آثاري لأي شعب آخر غير الشعب العربي السوري الأصيل بتسمياته الآكادية، والبابلية، العمورية، والفينيقية...

9- إن بني إسرائيل هم بنو يعقوب (الذي لقب بإسرائيل) الاثنا عشر. وهم جميعاً عرب آراميون موحِّدون، كانوا يعبدون الرب الواحد، رب إبراهيم، وكان ذلك قبل ظهور اليهودية كدين بما ينوف عن ألف عام، إذ أن أول ظهور لليهودية كدين بدأ في حوالي القرن الثالث قبل الميلاد. وإن تسمية «بني إسرائيل» ليس لها أي مضمون ديني في التاريخ العربي القديم، بل هي تسمية نَسَبية كان يقصد بها أولاد يعقوب وهم الأسباط الاثنا عشر. وهؤلاء هم الذين أثنى عليهم القرآن الكريم كموحدين، وميّز بينهم وبين اليهود الذين اعتنقوا اليهودية بعد ظهورها في القرن الثالث قبل الميلاد على أيدي مجموعة من الكهنة واعتبرهم أشدّ الناس عداوة للمؤمنين. وبهذا نردّ على القائلين بأن القرآن مليء بما يدعونه جهلاً بـ «الاسرائيليات»، فبنو إسرائيل الذين يمتدحهم القرآن الكريم هم الأسباط الاثنا عشر، أبناء يعقوب، وهم عرب آراميون موحدون، لاعلاقة لهم بمن دعوا فيما بعد «يهوداً»، وليس ليهود العالم أي ما يجمعهم بهم لابالنسب ولا بالدين.

10- إن مصطلح «ما بين النهرين» هو مصطلح جاء من «ميسوفوطاميا» التوراتية، وهي من العربية القديمة ميسو = وسط، مركز، بيْن، وفوطامي = الخصب، الأنهار (انظر القاموس الكلداني) وهي ليست صيغة يونانية كما يُزعم. أما المقصود فيها فهو المنطقة المحصورة ما بين أنهار: رنيا، والفرات، وتثليث، وبيشه في برية العرب، شرق منطقة غامد، وقد تحولت في التزوير إلى بلاد العراق الحالية التي لم تعرف بهذا الاسم طيلة تاريخها الطويل. وبالرغم من أنه ليس لهذه التسمية من وجود آثاري في العراق أو غيرها فإن الدوائر القائمة على تدريس التاريخ القديم في جامعاتنا والمشرفة على مديريات آثارنا تتلقف هذه الصيغة لتتمسك بها رغم أنف الآثار وكل الحقائق، ليبقى التزوير الذي أحدثه الاستعمار والصهيونية هو المهيمن على دور الثقافة والتعليم العربية، ولتنتفي وحدة الشعب والأرض والتاريخ

والحضارة في التاريخ العربي القديم تكريساً لجغرافيا سايكس ـ بيكو الاستعمارية الحديثة .

10 ـ إن « مصر » التوراتية هي قرية « مصريم » ، أي عشيرة المصريين ، الذين كانت بلدتهم أو منازلهم غرب جبل غامد على وادي شيحور أو وادي « مصري » (أي المصريين بالكلدانية) الذي يجف صيفاً ، وليست بلاد وادي النيل كما صارت عليه في التزوير اليوم . وقد كان زعيم هذه العشيرة يلقب بـ « فرعون » أي وكيل الملك في العربية القديمة والحديثة . ولم يعرف ملوك وادي النيل هذا اللقب في التاريخ كله .

11 ـ إن موسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم العربي الآرامي . واسمه بالعربية القديمة « موشي » ويعني : المنتشَل ، المنقَذ ، المخلَّص ، المنشَّف ، المنظَّف من الطين والماء . وهو اسم المفعول من شوي ـ شوويو = طرح ، رمى ، نبذ ، ألقى ، انتشل ، أنقذ ، مسح ، نشّف ..

وقد ولد في عشيرته في قرية « مصريم » (المصريين) في غرب جبل غامد ، وكان فرعونها (شيخها) آنذاك قابوس بن مصعب بن معاوية ، وكان مشركاً ، وامرأته السيدة آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول الذي كان من الموحدين . فكانت السيدة آسية من الموحدين سراً على دين جدها الريان ، فانتشلت موسى ، واحتضنته ، ورعته ، وربته على عقيدة التوحيد المستمرة في تلك المنطقة منذ عهد آدم ، وإدريس (أخنوخ) ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم وغيرهم ... وكان هؤلاء الموحدون يناضلون سراً وعلانية ضد عقيدة الخصب السائدة آنذاك في التقريب للبعل وعشتار . ولقد دعا موسى أبناء عشيرته إلى الخروج من أرض قابوس الفرعون الكافر إلى الأرض المقدسة حيث موطن آبائه الموحدين ، وحيث قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب ، وإلى التخلي عن عبادة البعل وعشتار ، والعودة إلى عبادة الرب الواحد . لكنه لم يفلح في ذلك ، ولم يصنع ديناً جديداً ، ولم يك « يهودياً » ، ولم يأت بشيء اسمه « اليهودية » ، التي ظهرت على أيدي مجموعة من الكهنة بعد زمن موسى بما ينوف عن ألف عام .

12 - إن « أرض كنعان » التي وعد الرب بها إبراهيم حسب ما ذكرته التوراة، هي أرض عشائر الكنعانيين في جبال غامد وليست في فلسطين أو في أية بقعة أخرى، وقد حددت مدونات التوراة موقعها غرب المخاوض (يردن) وليست غرب نهر الأردن، ومن النهر الكبير، نهر الفرات (الثرات) الذي ينبع من غامد ليتجه شرقاً إلى وادي مصريم (المصريين) غرب جبل غامد غرباً، وهذه المسافة من الشرق إلى الغرب هي عشرة آلاف ذراع (أي 496 متراً) ما بين هذين النهرين. ويصرّ نقلة التاريخ من أساتذتنا على اعتبار أرض كنعان في سوريا كلها وتمتد من الفرات إلى النيل كما تفسرها الصهيونية بما تمليه عليها أطماعها الاستعمارية في المنطقة، هذا مع العلم أنه لاعلاقة ليهود العالم بإبراهيم العربي الآرامي ولا بأرض ميراثه أياً كانت وأينما كانت، وقد ورثها أولاده من بعده وملأ الاسماعيليون (أولاد إسماعيل بن إبراهيم) شبه جزيرة العرب، وظهر منهم النبي العربي محمد.

13 - وإن موسى حينما خرج بعشيرته من أرض مصريم (عشيرة المصريين) إلى أرض الكنعانيين لم يخرج بهم من بلاد وادي النيل إلى جنوب سوريا كما هو في التزوير اليوم، بل من البقعة حيث مساكن عشيرة المصريين في جبل غامد إلى أرض الكنعانيين في الجبل نفسه.

4 - إن « طور سينا » هو في العربية القديمة « طورو سيني » ويعني جبل العلّيق حيث تجلّى الرب لموسى في نار العلّيقة المشتعلة على الجبل وخاطبه منها، وليس المقصود به جبلاً في صحراء سينا التي لم تكن تعرف هذه التسمية طيلة تاريخ ما قبل الميلاد وحتى القرن الرابع ما بعد المسيح:

وإن « طور سينا » قد أورده القرآن الكريم بصيغته الملحقة بجمع المذكر السالم وهي صيغة « طور سينين » ويعني جبل العليق، إذ أن السينية والسينينية تعني العوسج، العلّيق، وهو يستخدم في الغالب بصيغة الجمع. وفي العربية القديمة « سيني » تعني العلّيق وهي جمع « سينيتا ». وهذا الجبل قرب « وادي طوى » الذي ما يزال قائماً على الخارطة حتى يومنا هذا قرب العقيق، ويتصل بوادي كارا الذي يرفد وادي الفرات المنحدر من جبل غامد شرقاً في برية العرب.

و« وادي طوي » يعني وادي الصائمين.

15- إن «يهوه» ليس رباً قبلياً لليهود كما صار يفهم من اللفظة اليوم بعد أن أغفل الجميع دراسة العربية القديمة. فاللفظة هي عربية قديمة مؤلفة من «ياه» و«هوا» وتعني تجلّى الكائن بذاته.

16- إن «رفيديم» التوراتية هي جمع «رفيدو» في العربية القديمة وتعني البياعين، الكيالين، وهم جماعة من المديانيين أبناء إبراهيم من زوجته قطورة عملوا بالتكسب بالبيع لأصحاب القوافل على طريق القوافل الدولي شرق غامد، فكانوا يبخسون الناس أشياءهم ويستغلون حاجة المسافر إلى الزاد والماء، ويبيعونه بأفدح الأثمان، فأرسل الله لهم شعيباً ليهديهم وليرد استغلالهم عن الناس والمحتاجين. أما تسمية «بلاد الرافدين» فهي تزوير استعماري وصهيوني للكلمة، ولم تعرف العراق في تاريخها الطويل كله مثل هذه التسمية.

17- أما «بحر القلزم» التوراتي فهو يعني حرفياً ماء الهلاك، حيث أهلك الرب جند فرعون، وهو نهر وليس بحراً في مدونات التوارة. وكلمة بحر في العربية القديمة والحديثة تعني الماء الكثير أو الماء في حالة ارتفاعه وكثرته سواء في نهر أو بحر أو بركة. وما إطلاقه على البحر الأحمر إلا بعض التزوير القائم في التفسير الصهيوني لجغرافيا التوراة.

18- لم يشهد التاريخ العربي القديم كله حرباً بين سوريا ووادي النيل. وإن ما دعي بحروب الفرعون، الذي جعلوه مرة تحوتمس وأخرى رعمسيس ضد البدو في الشرق وضد الحثيين، وفي قادش، ونهرين، وعلى الفرات، ليست إلا حروب فرعون عشيرة المصريين في غامد ضد عشائر الحثيين والآراميين عند الفرات (الثرات) في جبل غامد وإلى الشرق منه، حيث كان هذا «الملك» الوكيل على هذه المحطة أو تلك يقوم بحملات تأديبية ضد كل من يحاول النيل من سطوته على محطة سيده ملك الدولة المركزية. وإن مصر وادي النيل لم تعرف في تاريخها الطويل ملكاً اسمه «نخو» أو «شيشق» أو «سوء» وإن عردة التي هي في التقارير المرسلة من الوكيل إلى سيده أخناتون باسم «عرداتا» وكتبت باليونانية «أرداتوس» والتي تطفح أراضيها بالحبوب، ومعاصرها بالخمور والزيت ليست جزيرة أرواد الصخرية السورية كما هي

في التزوير اليوم ، بل بلدة عردة الواقعة في جبل غامد حيث ينبع نهر عردة ويتجه غرب غامد من الجنوب إلى الشمال غزيراً كثير المياه مما جعلهم يدعونه في التوراة بـ « البحر الغربي » إذ أن كلمة « بحر » في التوراة كانت تطلق على كل ماء كثير ، وهي في القاموس العربي كذلك .

19 - وإن ما دعي باستيلاء الهكسوس على مصر وادي النيل ليس إلا من جملة ذلك التزوير . فالهكسوس هم مجموعة من قبائل الرعاة في برية العرب غزوا « مصريم » القرية ، العشيرة ، المحطة في غامد كما غزوا غيرها من القرى المجاورة ، وليس مصر وادي النيل . وقد نجم ذلك الخلط عن اكتشاف التقارير الدورية التي كانت ترسل من تلك المنطقة من قبل الملوك الوكلاء على المحطات إلى ملك الدولة المركزية في سوريا أو في وادي النيل دون أن يعرف المكتشفون المقصود بها ، وطبيعة المواقع والتسميات ، وحقيقة مرسليها .

20 - إن « دمشق » التوراتية هي « دوماسك » القرية الآرامية شمال غامد على حدود برية العرب وليست مدينة دمشق التاريخية الشهيرة ، وقد قدّمنا من الإثباتات والشواهد والبراهين في عرض الكتاب ما يكفي .

21 - إن أحداث التوراة هي ، من ألفها إلى يائها ، أحداث يومية تفصيلية لحياة مجموعة من الأفراد والأسر والعشائر العربية البدوية الرعوية في برية العرب . وإن كلمة « ملك » التوراتية كانت تطلق على كل من تزعم بيتاً ، أو خيمة ، أو مغارة ، أو أسرة ، أو عشيرة ، أو جزءاً من العشيرة ، أو مجموعة من البطالين ، وهي في كل مدونات التوراة لم تخرج عن نطاق هذا التعريف للكلمة .

22 - وإن أشهر مشاهير ملوك عشيرة بني إسرائيل ، وهم شاول وداود وسليمان وجدعون ، لم يكونوا سوى نماذج لهؤلاء الملوك الذين ملكوا على مغارة أو خيمة أو عشيرة أو بيت من العشيرة .

23 - إن عشيرة بني إسرائيل في زمن ملوكها ، وتحديداً في زمن شاول وداود وسليمان ، كانت عشيرة بدوية رعوية تسكن الخيام والمغاور ، وهي أكثر العشائر العربية المجاورة ضآلة وتخلفاً ، حتى أن أحداً منها لم يكن يملك سيفاً أو رمحاً زمن شاول ، وكانوا يحفرون الآبار بالعصي ، ولم يكن فيهم من يعرف كيف يقطع الخشب ، أو يبني البيوت ، أو يسكب المعدن في زمن

سليمان بن داود .

24- إن حدود المواقع التوراتية هي حدود الخيام والمضارب والمغاور تعرف بعين الماء أو البئر ، أو شجرة البطم أو البلوط أو غيرها ، وبالتالي فلا يمكن الحديث عنها بالمفهوم الجغرافي للكلمة ، وإن تسميات تلك المواقع ليست تسميات لمدن معروفة ، وإنما ؛ هي في معظمها ، لأشخاص من أولئك البدو الرعاة . فمدينة حبرون هي المغارة حينما سكنها حبرون بن مريشة بن كالب ، ومدينة كالب هي المغارة نفسها حينما سكنها كالب بعد أن أعطاها له يشوع ، وهي أفراتة اسم المرأة التي تزوجها كالب ، وهي نفسها صارت تدعى « بيت لحم » حينما سكنها بيت لحم بن سلما بن كالب وأفراتة .

(أنظر : أخبار الأيام الأول 50 — 51 ؛ 42 ,43) .

وقد دعيت تلك الأسماء تيمناً باسم المغارة القديم حينما كانت أحد منابع الفرات : « أفراتة » ثم « بيت لحم » كما سبق أن بيّنا من قبل .

أما اسم « إيلة » الذي أطلق على مرفأ « أم الرشراش » في خليج العقبة ، فلم يكن اسماً لمدينة بل هو موقع لخيام إيلة بن أدوم الذي هو عيسو بن إسحق بن إبراهيم على الفرات شرق غامد في البرية فسكن في أرض بني المشرق كما أمرهم إبراهيم لأنه من أبناء السراري . وكنا قد رأينا كيف أن « صور » هو في التوراة أحد أبناء مدين أيضاً ، وحيرام الذي ساعد سليمان في بناء الهيكل في المغارة هو أحد مشايخ عشيرة صور وليس المقصود به مدينة صور الساحلية الفينيقية الشهيرة . (انظر : الأيام الأول 1 :52) .

25- إن « صهيون » هي المغارة أو الحصن في الجبل بعد أن نشفت فيها منابع نهر الفرات ، والتي لجأ إليها داود مع رجاله ودعاها مدينة داود . وإن « يبوس » هي المرادفة لـ « صهيون » وتعني ساكن المغارة التي يبست وجف ماؤها .

26- إن « أورشليم » اليونانية هي « حوراشليم » في الأصل العربي القديم ، وتعني مغارة المتعبدين ، المتوحدين ، المعزولين ... وحسب مدونات التوراة منها كان ينبع النهر الكبير (نهر الفرات) وينحدر شرقاً إلى البرية ، وهي بالتالي لاعلاقة لها بمدينة القدس العربية التي لم تعرف اسم « أورشليم » طيلة

تاريخها الذي يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد إلا في مراحل التزوير الثلاث : زمن قسطنطين البيزنطي ، وزمن الاحتلال الصليبي ، وزمن الاحتلال الصهيوني . وليس في آثار فلسطين كلها أي ذكر لهذه التسمية على الاطلاق .

27- إن مدينة القدس في جنوب سوريا لم تشهد في تاريخها ما يدعى بـ « هيكل سليمان » ، وإن صور التوراتية التي كان يتزعمها أحيرام زمن سليمان هي بيت من بيوت مدين ، ابن إبراهيم ، كما تؤكد التوراة ، وليست مدينة صور السورية الشهيرة .

28- أما اليهودية فقد ظهرت بعد بني إسرائيل (الأسباط) وبعد زمن موسى بما ينوف عن ألف سنة ، صنعها مجموعة من الكهنة ، وجعلوا منها وسيلة لغرض النفوذ والتكسب ، وجمعوا كثيراً من تراث المنطقة الذي كان متداولاً شفهياً أو كتابة ، وحرروه بأساليب مختلفة باختلاف كتبة الأسفار ، بعد أن أساؤوا في كثير منها إلى أولئك الآباء العرب الموحدين أمثال إبراهيم ، وإسحق ، ويعقوب ، والأسباط ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، كما ألصقوا كثيراً من التراث المتداول والمعروف ، سواء أكان أناشيد ، أم حكماً ، أم تراتيل بهذا الشخص أو ذاك ، وجعلوا الفسوق والظلم سلوكاً شائعاً لدى أولئك الآباء ، مما يبرّر لأولئك الكهنة سلوكهم ، حتى إذا جاء المسيح تصدى لهم ، ولم يفلح في ردعهم أو إرجاعهم إلى سواء السبيل . ثم تنافس تلاميذ المسيح مع أتباع أولئك الكهنة في شبه جزيرة العرب وخاصة بين القرنين الرابع والسادس بعد الميلاد . ومارس اليهود كثيراً من الاضطهاد على أتباع عيسى خاصة حينما اعتنق ذونواس ديانتهم ، وبطش بمسيحيي نجران الذين أحرقوا في حفر فيها نفط ونار ، ودعاهم القرآن الكريم بـ « أصحاب الأخدود » .

ثم لما ظهرت دعوة محمد بن عبد الله تصدّى له اليهود بشراسة إلى أن ضربهم ، وحسم أمرهم واستأصل شأفتهم في شبه جزيرة العرب لصالح الدين الجديد .

32- ولقد عمل اليهود كمبشرين ودعاة إلى الدين اليهودي في بلاد اليونان وإيطاليا ، وخاصة في العهد البيزنطي . وما أن خرجت اليهودية خارج نطاق الوطن العربي حتى تحولت إلى دين عالمي ، مثلها مثل ديانة الخصب قبلها ، ومثل المسيحية والاسلام من بعدها ، إذ نشأت جميعاً عربية ، ثم ما أن خرجت

خارج نطاق الوطن العربي حتى تحولت كل منها إلى دين عالمي يمكن أن تضم مختلف الأعراق والأقوام والأجناس والشعوب . وكان أكبر تحوّل إلى اليهودية منذ عدة قرون هو اعتناق شعوب الخزر لها بصورة جماعية ، والذين ما أن انتشروا في أوروبا ثم في الأمريكيتين فيما بعد حتى باتوا يؤلفون اليوم ما نسبته تسعين في المائة من يهود العالم .

29- إن اليهودية اليوم دين ، وليست نسباً ، أو جنساً ، أو عرقاً ، أو أرضاً ، أو وطناً ، أو أمة ، وليس ثمة ما يربط يهود العالم اليوم بإبراهيم ، أو بيعقوب ، أو بداود ، أو بسليمان ، أو موسى إلا مثل ما يربط مسيحيي العالم بالنسب إلى عيسى بن مريم ومسلمي العالم بالنسب إلى محمد بن عبد الله ، كما أنه ليس ثمة ما يربطهم بوطن هؤلاء إلا مثل ما يربط مسيحيي ومسلمي العالم بوطن عيسى ومحمد .

30- إن الصهيونية هي حركة البورجوازيين من اليهود الأوروبيين خاصة في عصر الاستعمار ، وهي بنت النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، غرضها الاستيلاء على رقعة ما من الأرض تصلح لأن تكون قاعدة استثمارية للتوسع في حمأة التنافس الاستعماري المسعور بين البورجوازيات الأوروبية في ذلك القرن وما تلاه ، وذلك عن طريق تهجير أكبر عدد ممكن من يهود العالم إليها للقيام بدور حماية المصالح الاستعمارية لهذه الدولة الاستعمارية أو تلك مقابل حصة استعمارية ما ، وذلك لكون الحركة الصهيونية أعجز من أن تنافس كطرف مستقل هذه البورجوازية الاستعمارية أو تلك ، مما جعلها منذ البداية خادمة للاستعمارين الألماني والانكليزي ثم خادمة للامبريالية الأمريكية ، وبالتالي فهي حركة استعمارية استيطانية حديثة مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالمصالح الاستعمارية ، ليست طرفاً مستقلاً عنها .

31- إن دولة الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي ليس لها من مقومات الدولة شيء حتى اليوم . فهي ، بشرياً ، خليط من أقوام ، وأعراق ، وأجناس ، وقوميات متباينة ومتنافرة ، ولم تقدر كل وصفات الامبريالية والصهيونية على أن تجعل منها « شيئاً » متجانساً حتى اليوم ، أما من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية فهي أعجز من أن تصمد وحدها عاماً واحداً دون مساعدة

الامبريالية الأمريكية التي تأتيها في شكل معونات نقدية أو في شكل تكنيك حربي مجاني . وإن كل ما يقال عن السيطرة الصهيونية على الولايات المتحدة والعالم ليس إلا بدعة خبيثة وباباً من أبواب الدعاية الصهيونية نفسها ، تقابله الدوائر الأمريكية بارتياح بالغ ، إذ تظهر من خلال ذلك أمام بعض العرب بمظهر المغلوب على أمره الذي يريد من « أصدقائه » العرب موقفاً « مساعداً » على التحرك « الإيجابي » ، وتنازلات معينة تجعل الأمريكي قادراً على مخاطبة الصهيوني من موقع ليس فيه أي « حرج » ...

إن وجود دولة الكيان الصهيوني هو ، في حقيقته ، « دور » ، وإن نهاية هذا « الدور » و« فك الارتباط » بينه وبين الامبريالية الأمريكية يبدأ مع اللحظة التي يتمكن فيها العرب من صنع موقف قومي عربي قائم على الوحدة أو التضامن أو التعاون المخلص الفعال ، يمكّنهم من وضع المصالح الامبريالية في الوطن العربي ، النفطية وغيرها ، موضع تهديد حقيقي وجدّي لاتهديد افتعالي أو انفعالي أو إجهاضي ، تهديد استراتيجي لاتكتيكي ، في الوقت الذي يتم فيه ، وعلى خطين متوازيين ، بناء قوة عربية ذاتية قادرة على ردع الكيان الصهيوني من إمكانية التمدد أو التوسع أو توجيه ضربة تكنيكية من جانب واحد ، من جهة ، ودعم وتصعيد الانتفاضة في الأرض العربية المحتلة لتتحول إلى ثورة مسلحة تستثمر كل ذلك الحقد الذي خلفته أعمال التنكيل والتقتيل والتشريد والاذلال والقهر الذي مارسته وتمارسه سلطات الاحتلال الصهيوني على عرب الأراضي المحتلة ، من جهة أخرى .

وهناك احتمال آخر ينطلق من استدراك الجهات الامبريالية نفسها لحتمية التطور التاريخي للوطن العربي ، والتوصل ، بالتالي ، إلى القناعة الأكيدة بأن استمرار اعتمادها على الكيان الصهيوني الدخيل والمصطنع لا يمكن أن يؤدي إلى إيقاف حركة التاريخ ، ولا إلى كبح حركة التطور العربية إلى ما لا نهاية ، ولا يمكن أن يتمكن هذا الكيان في المستقبل القريب من القيام بالدور المنوط به في إطار حماية مصالحها المتعددة في المنطقة ، بل سيفضي في النهاية إلى تدمير تلك المصالح برمّتها ، أي إلى عكس المطلوب منه .

إن نظرة واعية موضوعية إلى الواقع الجماهيري الفكري والنفسي والمادي

في الوطن العربي تظهر كثيراً من الملامح التي قد يأتي بها المستقبل القريب.
إن التاريخ لا ينفصل عن الجغرافيا، وإن أمة تعرف تاريخها لن تتخلى عن شبر واحد من الجغرافيا. ولا يخامرنا الشك لحظة في أن كل هذا الركام من التزوير التاريخي سوف يسقط لامحالة في أقل من عشر الزمن الذي بني فيه.
لقد بيّنا حقيقة أحداث التوراة وجغرافيتها، وأوضحنا حقيقة المفاهيم المتعلقة بالعرب، وبالساميين، و«العبرانيين»، وبني إسرائيل، واليهود، ووضعنا الحدود العلمية، والأصولية، واللغوية، والسكانية، والتاريخية بين كل منها وأسقطنا عملية الخلط التي تعمد إليها الصهيونية، والتي تجعل من «العبري» و«الإسرائيلي» و«اليهودي» في التاريخ القديم شيئاً واحداً، وأثبتنا أن بني إسرائيل هم عشيرة عربية بدوية قديمة لاعلاقة ليهود العالم اليوم بها، وأن اليهودية اليوم دين وليست عرقاً، أو جنساً، أو نسباً، أو شعباً، أو وطناً، أو أمة.
ولقد آن، بعد هذا، الأوان لأن تتخلى مؤسسات الثقافة والاعلام العربية عن قعودها واسترخائها الطويل بين أيدي الخصوم من صهاينة الخارج وشعوبيي الداخل، لتنتقل إلى مجال الفعل، مستثمرة كل هذه الحقائق التي يقدمها لنا علم التاريخ، فتبرزها على كافة الأصعدة، وبمختلف لغات العالم التي ينطق بها أولئك اليهود المهجرون من شتى أجناس وقوميات وبلدان العالم إلى الأرض العربية المحتلة.
إن الصهيونية غررت وتغرّر بيهود العالم، وتحشو أدمغتهم بخرافات تدعوها وقائع تاريخية، فتقنعهم بأنهم يعودون إلى «أرض الآباء والأجداد» حينما تهجّرهم إلى فلسطين لتزج بهم في أتون حروب لن تنتهي إلا بتحرير كامل التراب العربي، وذلك كله من أجل الاضطلاع بالمهمة وبـ «الدور» الذي أخذته الحركة الصهيونية على عاتقها: وهو حماية المصالح الاستعمارية والامبريالية في المنطقة، والحؤول ما أمكن دون قيام دولة عربية قومية، وتعويق تطور العرب إلى أطول فترة زمنية ممكنة، مما يتيح للاحتكارات الامبريالية فرصة أطول لنهب وابتزاز الثروات العربية الطائلة، والتفرد بها. كل ذلك، بالطبع، مقابل حصة تتقاضاها الاحتكارات الصهيونية سواء على

صعيد الثروات، أو على صعيد النفوذ داخل الدول الامبريالية وخارجها، أو على صعيد إمكانية التمدد أو التوسع في المنطقة العربية بما تمليه أو تتطلبه ظروف كل مرحلة ومصالح الاحتكارات في تحالفها المشترك.

إن سلاح الفكر والاعلام، إذا ما أحسن استخدامه، وخاصة في معركة كالتي تخوضها الأمة العربية اليوم، لن يكون أقل شأناً وفعلاً من تأثير أي سلاح آخر. إن الظرف مثالي لاستخدام مثل هذا السلاح: فالحق كله في جانب، والباطل والتزوير والعدوان كله في جانب، وكما كان التزوير جزءاً من السياسة التي انتهجها الخصوم، فإن التصحيح لابدّ وأن يكون في صلب السياسة التي ينتهجها العرب اليوم.

وإن عملية تصحيح التاريخ صارت تفرض نفسها اليوم على المثقفين العرب عامة، والسوريين خاصة، كمهمة نضالية قومية ملحّة لابدّ من إنجازها من أجل تحرير الأرض العربية والانسان العربي.



هوامش

الحلقة الأولى

(1) هشام الصفدي ، « تاريخ الشرق القديم » ، جامعة دمشق ، 1983 — 1984 ، الجزء 1 ، ص 78 — 79 .

(2) أ . كوندراتوف ، « الطوفان العظيم بين الواقع والأساطير » ، دار وهران ، ترجمة الدكتور عدنان عاكف حمودي ، الطبعة الأولى ، دمشق 1987 ، ص 62 .

(3) أحمد سوسة ، « ري سامراء » ، الجزء 2 ، ص 539 .

(4) تشايلد ، « الشرق القديم » ، طبعة 1964 ، ص 15 — 16 .

(5) هشام الصفدي ، المرجع السابق ، ص 76 ,81 .

(6) أ . كوندراتوف ، المرجع السابق ، ص 62 .

(7) لقاء مع الدكتور جاك لابيري ، (مجلة « الصفر » ، عدد أغسطس / آب 1987 ، تصدر عن شركة أنترسبايس للنشر بالتعاون مع المركز العربي للدراسات الدولية ، ص 41) .

(8) ريبورتاج حول نتائج أعمال عالم الآثار الأمريكي « جوريس زارينس » في العربية السعودية ضمن بحث : « هل تحدد أخيراً موقع جنة عدن » (مجلة Smithsonian الأمريكية عدد مايو/أيار 1987 ، ص 127 — 134) .

(9) أحمد داوود ، « تاريخ سوريا القديم ، تصحيح وتحرير » ، دار المستقبل ، دمشق ، 1986 ، ص 585 — 600 .

(10) جان بابلون ، « امبراطورات سوريات » ، ترجمة يوسف شلبي الشامي ، دمشق ، 1987 ، ص 80 — 81 .

(11) سليم عادل عبد الحق مدير الآثار العام في سوريا سابقاً ، « سوريا أرض عربية تطفح بروائع الآثار » (مجلة الحوليات الأثرية السورية ، المجلد السابع 1957 ، ص 10 — 11) .

(12) المرجع نفسه .

(13) صموئيل نوح كريمر ، « من ألواح سومر » ، ترجمة طه الباقر ، مكتبة المثنى ببغداد ومؤسسة الخانجي بالقاهرة ، دون تاريخ ، ص 324 .

الحلقة الثانية

(1) تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الأمم والملوك، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الجزء 1، ص 144.

(2) ابن الأثير، «الكامل في التاريخ»، دار الكتاب العربي، بيروت. 1983، الجزء 1، ص 45.

(3) التوراة، سفر التثنية 26 :5.

(4) بيير روسي، «مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب»، إصدار وزارة التعليم العالي، ترجمة فريد جحا، دمشق 1980، ص 14، 15، 18.

(5) المرجع نفسه.

(6) حول هذا الموضوع راجع:

D. Brinton, On Etruscan and libian names, Proceedings of American Philos Sosiety, 1889 ;

و:

M. Grant, The Etruscans, Waiden feld and Nicolson, london, 1980;

و: عفيف بهنسي، الشام الحضارة، دمشق، وزارة الثقافة، 1986، ص 73؛

و: علي فهمي خشيم، «أقسام البشر الأربعة في قصة الخلق المصرية» (مجلة «الوحدة»، تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، العدد 33 — 34، حزيران - تموز 1987، ص 103).

(1) جواد علي « المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام » ، دار العلم للملايين - بيروت ، مكتبة النهضة - بغداد ، 1976 ، الجزء 2 ص 577 — 578 .
(2) قرآن كريم ، سورة « الفرقان » 53 .
(3) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 142 .
(4) المرجع نفسه ص 163 .
(5) المرجع نفسه ، ص 143 .
(6) المرجع نفسه ، ص 142 .
(7) تكوين 15:10 .
(8) تكوين 14:10 .
(9) جواد علي ، المرجع السابق ، ص 291 .
(10) المرجع نفسه ، ص 585 .
(11) المرجع نفسه ، ص 615 .
(12) انظر :
جيمس هنري بريستد ، « العصور القديمة » ، ترجمة داود قربان ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت 1983 ، ص 219 ؛
و : فيليب حتي ، « تاريخ سوريا ومن ضمنها لبنان وفلسطين » ، دار الثقافة ، بيروت ، 1982 ، الجزء 1 ، ص 143 .
(13) الأب إميل إدّة ، « الفينيقيون واكتشاف أمريكا » ، دار النهار ، بيروت 1969 ، ص 63 .
(14) سفر التكوين 17: 1 — 8 .
(15) سفر الخروج 21 :1 ,2 .
(16) لاويون (الأحبار) 25 :42 .
(17) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 206 .

الحلقة الرابعة

(1) شوقي شعث مدير مركز الآثار الفلسطينية ـ دمشق ، « أضواء على الأبحاث الأثرية في فلسطين » (دراسات في تاريخ وآثار فلسطين ، وقائع الندوة العالمية للآثار الفلسطينية بالتعاون مع جامعة حلب ، المجلد الثاني ، ص 103) .
(2) المرجع نفسه ، ص 104 .
(3) عفيف بهنسي ، « انعكاسات على اكتشاف وثائق إيبلا » ، (مجلة « الفكر العربي » ، العدد 52 ، آب ، ص 94) .
(4) بيير روسي ، المرجع السابق ، ص 19 — 20 .
(5) سفر العدد 15:25 .
(6) نبوءة عاموس 5:9 .
(7) نبوءة حزقيال 1:1 .
(8) نبوءة حزقيال 3:1 .
(9) نبوءة حزقيال 15:3 .
(10) نبوءة إرميا 62, 25:51 .
(11) نبوءة باروك 36:4 — 37 .
(12) سفر التكوين 7,6:12 .
(13) تكوين 8:12 — 10 .
(14) تكوين 6:10 .
(15) نبوءة زكريا 18:14 .
(16) تكوين 9:43 .
(17) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 206 .
(18) المرجع نفسه ، ص 428 .
(19) تكوين 11:12 — 13 .
(20) تكوين 13: 1 ,3 .
(21) تكوين 5:13 — 15 .
(22) تكوين 18:15 .
(23) سبتينو موسكاتي ، « الحضارات السامية القديمة » ، ترجمة يعقوب بكر ، دار الرقي ، بيرو ، 1986 ، ص 114 .
(24) تكوين 15:20 .
(25) تكوين 25 :21 — 34 .
(26) تكوين 1:26 .

(27) تكوين 10:26 — 19 .

(28) تكوين 14,13:10 .

(29) أو . ر . جارني ، «الحثيون» ، ترجمة الدكتور محمد عبد القادر محمد ، مطبوعات البلاغ ، 1963 ، ص 8 .

و : أ . ش . شيفمان ، «مجتمع أوغاريت» ، دار الأبجدية ، دمشق 1988 ، ص 233 .

(30) أ . ج . إيفانز ، «هيرودوت» ، ترجمة أمين سلامة ، ص 34 — 35 .

(31) تكوين 3:23 — 12 .

(32) تكوين 34,26:33 .

(33) تكوين 15:10 — 18 .

(34) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 166 .

(35) أ . ر . جارني ، المرجع السابق ، ص 86,84 .

(36) المرجع نفسه ، ص 162 .

(37) المرجع نفسه ، ص 161 .

(38) المرجع نفسه ، ص 175 .

(39) المرجع نفسه ، ص 181 .

(40) المرجع نفسه ، ص 199 .

(41) المرجع نفسه ، ص 208 .

(42) المرجع نفسه . ص 253 .

(43) إ . ش . شيفمان ، «ثقافة أوغاريت» ، دار الأبجدية ، دمشق 1988 ، ص 129 .

(44) أحمد داوود ، المرجع السابق ، ص 756 — 762 .

(45) انظر : Heger, P. 290 .

و : د . جواد علي ، المرجع السابق ، ص 583 .

(46) تكوين 1:25 — 3 .

(47) تكوين 18.13 .

(48) تكوين 27:25 .

(49) تكوين 11:25 .

(50) تكوين 18:25 .

الحلقة الخامسة

(1) الملوك الثالث 66:8 .

(2) جواد علي ، المرجع السابق ، ص 457 .

(3) تكوين 1:29 .

(4) تكوين 11:28 .

(5) سورة « المائدة » 82 .

(6) سورة « البقرة » 87 .

(7) تكوين 31,18:21 .

(8) تكوين 31: 51,48.45 .

(9) تكوين 1:32 — 6 .

(10) تكوين 13:33.

(11) تكوين 17:33 — 19 .

(12) تكوين 1:34 — 5 .

(13) تكوين 30,26,25:34 .

(14) تكوين 6:35 .

(15) تكوين 17:35 .

(16) تكوين 15:10 .

(17) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 165 .

(18) تكوين 2:36 — 3 .

(19) تكوين 6:36 — 8 .

(20) تكوين 20:36 .

(21) أنطون مورتغات ، « تاريخ الشرق الأدنى القديم » ، ص 215 .

(22) تكوين 1:37 .

(1) تكوين 6:25 .
(2) تكوين 11:37 — 17 .
(3) تكوين 2:37 .
(4) تكوين 36:37 .
(5) تكوين 43:41 .
(6) تكوين 46:41 .
(7) تكوين 1:42 — 4 .
(8) تكوين 6:42 .
(9) تكوين 26:42 .
(10) تكوين 2:43 — 10 .
(11) تكوين 24:43 .
(12) تكوين 13:44 — 14 .
(13) تكوين 5:46 — 8 .
(14) تكوين 32,31:46 .
(15) تكوين 3:47 — 7 .
(16) تكوين 5:50 — 14 .
(17) يشوع 32:24 .
(18) نبوءة زكريا 18:14 .
(19) سورة «يوسف» 82 .
(20) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 235 .
(21) المرجع نفسه ، ص 271 .
(22) المرجع نفسه ، ص 428 .
(23) سورة «الأعراف» ، 136 .

الحلقة السابعة

(1) الخروج 1:1 — 22 .

(2) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 270 .

(3) المرجع نفسه ، ص 235 .

(4) المرجع نفسه ، ص 270 .

(5) العدد 4,3:17 .

(6) سيغموند فرويد ، «موسى والتوحيد» ، ص 49 — 58 .

(7) ج . بريستد ، «فجر الضمير» ، ص 276 .

(8) الخروج 1:2 — 11 .

(9) سورة «القصص» 6 — 7 .

(10) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 270 .

(11) سورة «القصص» 10 — 12 .

(12) سورة «القصص» 8 .

(13) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 274 .

(14) الخروج 11:2 — 16 .

(15) تكوين 6,5:25 .

(16) تكوين 10:28 .

(17) تكوين 18,6:25 .

(18) الخروج 2 :16 — 19 .

(19) الخروج 22,21:2 .

(20) الخروج 1:3 — 18,13,12,10,6 .

(21) سورة «طه» 8 — 13 .

(22) سورة «القصص» 29, 28 .

(23) الخروج 2:34 .

(24) تاريخ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، ص 299 ؛ و : تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 399, 398 .

(25) الخروج 20,18 .

(26) الخروج 9:10 .

(27) الخروج 37:12 .

(28) الخروج 18,17:13 .

(29) الخروج 21:14 .

(30) الخروج 27:14 .

(31) الخروج 1:17 .

(32) الخروج 6,5:17 .

(33) الخروج 8:17 .

(34) الخروج 5:18 .

(35) الخروج 11:19 .

(36) العدد 1:13 .

(37) العدد 3;13 .

(38) العدد 34,33:13 .

(39) العدد 45,44:14 .

(40) العدد 1:20 .

(41) العدد 21,17,14:20 .

(42) العدد 23:20 .

(43) العدد 1:21 .

(44) العدد 4:21 .

(45) العدد 23:21 .

(46) العدد 33:21 — 35 .

(47) العدد 1:22 .

(48) العدد 5:22 .

(49) العدد 51,50:33 .

(50) يشوع 2:1 — 4 .

(51) يشوع 27:13 .

(52) تكوين 17:33 .

(53) العدد 4:21 .

(54) خروج 5:17 .

(55) سورة « الأعراف » 84 .

(56) سورة « هود » 83 .

(57) سورة « الشعراء » 175 — 182 .

(58) القضاة 8:7 ؛ الملوك الأول 4:24 ;6:13 ;18:4 ؛ الملوك الثاني 8:19 ;17:18 الملوك الثالث 16:12 ؛ الملوك الرابع 5:13 .

(56) الملوك الأول 22:13 .

(60) العدد 18:22 .

(61) تكوين 15:10 .

(62) العدد 21:21 — 22 .

(63) العدد 1:21

(64) العدد 1:20 .

(65) العدد 17,16,14:20 .

(66) العدد 23:20 .

(67) العدد 4:21 .

(68) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 134 — 139 .

(69) المرجع نفسهُ ، ص 138 .

(70) المرجع نفسه ، ص 79 .

(71) المرجع نفسه ، ص 138 .

الحلقة الثامنة

(1) يشوع 1:1 — 4 .

(2) يشوع 11:24 .

(3) يشوع 21:6 .

(4) يشوع 3:11 — 6 .

(5) يشوع 7:12 — 8 .

(6) تكوين 15:10 .

(7) سبتينو موسكاتي ، المرجع السابق ، ص 115 .

(8) علي أبو عساف ، «آثار الممالك القديمة في سورية» ، ص 319 .

(9) أو . ر . جارني ، المرجع السابق ، ص 84 .

(10) نبوءة حزقيال 3:31 .

(11) الملوك الرابع 13:2 — 15 .

(12) يشوع 13:4 ؛ نبوءة إرميا 5:39 .

(13) يشوع 4:22 — 6 .

(14) يشوع 10:17 .

(15) يشوع 32:19 — 33 .

(16) القضاة 8:3 .

(17) القضاة 14:3 .

(18) القضاة 2,1:6 .

(19) القضاة 8,7:10 .

(20) يشوع 26,25,22,24 .

(21) القضاة 17,10:2 .

الحلقة التاسعة

(1) سورة الحجر 66 ؛ سورة الأعراف 81 .

(2) تكوين 5:14 — 24 .

(3) تكوين 30:19 .

(4) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 176 .

(5) القضاة 1:6 — 2 .

(6) القضاة 6:6 .

(7) القضاة 11:6 .

(8) القضاة 16:6 .

(9) القضاة 8:7 .

(10) القضاة 30,28:8 .

(11) القضاة 1:9 — 7 .

(12) الملوك الأول 15:8 .

(13) الملوك الأول 21:8 .

(14) الملوك الأول 1:10 .

(15) الملوك الأول 24,20,17:10 .

(16) الملوك الأول 6:13 .

(17) الملوك الأول 19:13 .

(18) الملوك الأول 22:13 .

(19) الملوك الأول 35:15 .

(20) الملوك الأول 10:16 — 11 .

(21) الملوك الأول 15:17 .

(22) الملوك الأول 21:17 .

(23) الملوك الأول 24:17 .

(24) الملوك الأول 1:22 .

(25) الملوك الأول 2:22 .

(26) الملوك الأول 5:22 — 6 .

(27) الملوك الأول 14:23 .

(28) الملوك الأول 1:24 .

(29) الملوك الأول 4:24 .

(30) الملوك الأول 6:31 .

(31) الملوك الثاني 8:2 — 13 .
(32) الملوك الثاني 6:5 — 8 .
(33) الملوك الثاني 17:7 .
(34) الملوك الثاني 3:8 .
(35) الملوك الثاني 9:8 — 10 .
(36) الملوك الثاني 10:15 — 11 .
(37) الملوك الثاني 13:15 — 17 .
(38) الملوك الثاني 30:15 .
(39) الملوك الثاني 16:16 .
(40) الملوك الثاني 22:16 .
(41) الملوك الثاني 9:18 .
(42) الملوك الثاني 17:18 .
(43) الملوك الثاني 1:20 .
(44) الملوك الثاني 2:20 .
(45) الملوك الثاني 13:23 — 14 .
(46) الملوك الثاني 15:24 .
(47) الملوك الثاني 35,16:24 .
(48) ابن كثير ، الجزء الثاني ، ص 38 .
(49) الملوك الأول 2:22 .
(50) الملوك الأول 5,1:22 ؛ و1:24 — 4 .
(51) الملوك الثاني 1:2 — 1 .
(52) الملوك الثاني 1:2 — 4 .
(53) يشوع 7:12 — 24,15,13,10 .
(54) يشوع 14:14 .
(55) يشوع 14:15 .
(56) يشوع 32,27,21,13:21 .
(57) يشوع 2:1 و1:5 .
(58) يشوع 9:20 .
(59) نبوءة حزقيال 12,1:47 .
(60) نبوءة حزقيال 10:47 .
(61) المكابيون الأول 62:6 .
(62) الملوك الثاني 17,15:6 .
(63) الملوك الثاني 30,17,13,10:15 .

(64) يهوديت 8:7 .

(65) يهوديت 5:4 — 7 .

(66) المكابيون الأول 62:6 .

(67) نبوءة حزقيال 1:47 — 13 .

(68) نبوءة زكريا 8:14 .

(69) نبوءة إرميا 9,8:31 .

(70) يشوع 1:18 والقضاة 19:21 .

(1) يوسف الحوراني ، « نظرية التكوين الفينيقية وآثارها في حضارة الإغريق » ، دار النهار ، بيروت 1970 ، ص 37 — 38 .
(2) أحمد سوسة ، « مفصل العرب واليهود في التاريخ » ، دار الرشيد للنشر ، بغداد 1981 ، الطبعة الخامسة ، ص 157 .
(3) نبوءة حزقيال 12:43 .
(4) نبوءة حزقيال 1:44 .
(5) نبوءة حزقيال 1:47 .
(6) نبوءة زكريا 8:14 .
(7) فان دين برندن ، (مجلة Melto الصادرة عن جامعة الروح القدس ، العدد الثاني ، 1964) ، و : جوزي داكونيا بربوزا ، مجلة التاريخ والجغرافيا البرازيلية ، المجلد الأول ، عام 1839 ، ص 66 .
(8) صموئيل كريمر ، المرجع السابق ، ص 169 ,178 .
(9) المرجع نفسه ، ص 180 — 181 .
(10) المرجع نفسه ، ص 186 .
(11) ل . ديلابورت ، « ميسوفوطاميا (ما بين النهرين) » ، ترجمة محرم كمال ، المطبعة النموذجية ، القاهرة ، ص 169 .
(12) صموئيل كريمر ، المرجع السابق ، ص 76 .
(13) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 235 .
(14) سورة « التحريم » 11 .
(15) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 81 — 85 .
(16) المرجع نفسه ص 85 .
(17) المرجع نفسه ، ص 82 — 83 .
(18) سورة « المؤمنون » 20 .
(19) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 128 .
(20) سورة « هود » 40 .
(21) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 127 .
(22) كوندراتوف ، المرجع السابق ، ص 52 .
(23) المرجع نفسه ، ص 144 .
(24) المرجع نفسه ، ص 140 .
(25) نبوءة حزقيال 1:47 .

(26) تكوين 2:10 — 14 .

(27) ل . ديلابورت ، المرجع السابق ، ص 166 — 167 .

(28) تكوين 35:19 .

(29) سورة «مريم» 22 — 25 .

(30) سورة «المائدة» 21 — 22 .

(31) سورة «آل عمران» 84 .

(32) سورة «الأنبياء» 92 .

(33) سورة «الاسراء» 1 .

(34) تاريخ الطبري ، المرجع السابق ، ص 91 .

(35) سورة «البقرة» 142 — 146 .

(1) الملوك الثاني 17:18 و 8:19 و13:23 .
(2) الملوك الثالث 33:1 — 35 .
(3) الملوك الثالث 1:3 .
(4) الملوك الثالث 1:4 .
(5) الملوك الثالث 7:4 .
(6) الملوك الثالث 21:4 .
(7) الملوك الثالث 19,15:4 .
(8) الملوك الثالث 43,42:11 .
(9) الملوك الثالث 1:3 و5:5 .
(10) الملوك الثالث 66:8 .
(11) تكوين 10:2 — 14 .
(12) الملوك الثالث 2:6 — 10 .
(13) الملوك الثالث 66,65:8 .
(14) يشوع 21:13 .
(15) الملوك الثالث 14:7 .
(16) العدد 15:25 .
(17) ل . ديلابورت ، المرجع السابق ، ص 76 .
(18) المرجع نفسه .
(19) الملوك الثالث 28:9 — 29 .
(20) جواد علي ، المرجع السابق ، ص 410 — 411 .
(21) ببير روسي ، مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للعرب ، وزارة التعليم العالي ، دمشق ، 1980 ، ترجمة فريد جحا ، ص 14,16 .

الحلقة الثانية عشرة

(1) جواد علي ، المرجع السابق ، ص 166,395,355 .
(2) ل . ديلابورت ، المرجع السابق ، ص 336 .
(3) الملوك الثالث 26:11 — 32 .
(4) الملوك الثالث 40:11 .
(5) الملوك الثالث 4:12 .
(6) الملوك الثالث 16:12 .
(7) الملوك الثالث 19,18:12 .
(8) الملوك الثالث 25:14 .
(9) الملوك الثالث 30:14 .
(10) الملوك الثالث 7:15 .
(11) الملوك الثالث 16:15 .
(12) الملوك الثالث 29:15 .
(13) الملوك الثالث 32:15 .
(14) الملوك الثالث 31:16 .
(15) الملوك الثالث 32:16 .
(16) الملوك الثالث 24:16 .
(17) الملوك الثالث 34:16 .
(18) الملوك الرابع 18,17:12 .
(19) الملوك الرابع 3:13 .
(20) الملوك الرابع 5:13 .
(21) الملوك الرابع 12:14 .
(22) الملوك الرابع 29:15 .
(23) الملوك الرابع 3:17 — 6 .
(24) الملوك الرابع 13:18 .
(25) الملوك الرابع 15,7,1:24 .
(26) الملوك الرابع 26:25 .
(27) نبوءة حزقيال 23,14,9:30 .
(28) المكابيون الأول 14:11 — 17 .
(29) الملوك الثالث 9:19 — 10 .
(30) نبوءة إرميا 3:7 ,8 — 11 .

(31) إرميا 23:31 — 32 .

(32) إرميا 23:15 .

(33) إنجيل متى 21:12 .

(34) سورة « الجمعة » 5 .

(35) سورة « آل عمران » 78 .

الحلقة الثالثة عشرة

(1) تفسير الصافي الجزء 2 ص 217 .

(2) قرآن كريم ، وانظر أيضاً : سورة « آل عمران » 20, 75 .

(3) سورة « الجمعة » 2 .

(4) نبوءة حزقيال 1:40 — 7 .

(5) نبوءة حزقيال 1:41 .

(6) نبوءة حزقيال 2,1:43 .

(7) نبوءة حزقيال 12,7:43 .

(8) نبوءة حزقيال 1:45 — 5 .

(9) نبوءة حزقيال 7:45 — 10 .

(10) نبوءة حزقيال 13:47 — 22 .

(11) نبوءة حزقيال 47: 1 — 22,10 — 30 .

(12) نبوءة حزقيال 1:47 — 13 .

(13) نبوءة حزقيال 28:45 .

(14) ل . ديلابورت ، المرجع السابق ، ص - 273

(15) هيرودوت ، الكتاب السابع ، الفصل التاسع ؛

و : هرودوت يتحدث عن مصر ، ترجمه عن الإغريقية الدكتور محمد صقر خفاجة، دار القلم ، القاهرة ، 1966 ، ص 91 .

(16) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 337 .

(17) انظر :

Greek Anthology, Bk.VII § 417

و : فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 282 .

(18) انظر :

Greek Anthology, Bk.VII, § 419

و : فيليب حتي ، المرجع السابق .

(19) فيليب حتي ، المرجع السابق ، ص 354 ، 355 ؛ و :

Philostratus and Eunapius, The lives of the Sophists, ed. and tr. Wilmes C. Wright, London 1922, P227.

(20) انظر :

« أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر في القرن الثاني الميلادي » ، الطبعة الأولى 1987 ، دار المعرفة ، دمشق ، ترجمة سعد صائب ومفيد عرنوق ، ص 168 .

الحلقة الرابعة عشرة

(1) يوري إيفانوف ، « احذروا الصهيونية » ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق 1969 ، ترجمة أحمد داوود ، ص 53 .

(2) بيير روسي ، المرجع السابق ، ص 28,14,13,12 .

(3) مجلة « شبيغل » ، 19 كانون الأول 1466 .

(4) « Government Year Book », Jerusalem, 5720 (1959 — 1960), P.69 .

(5) أ . ن . كوسيجين ، خطاب في الدورة الطارئة للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة 19 حزيران 1967 ؛ و : « البرافدا » 20 حزيران 1967 .

(6) بيير روسي ، المرجع السابق ، ص 31 .

(7) Zo badereh,17,11,1967 .

و : فيلنر ، قضايا السلم والاشتراكية ، 1968 ، العدد الرابع .

(8) Levenberg S « The Jews and Palestine » P.17 .

(9) يوري إيفانوف ، المرجع السابق ؛

و :

Sokolov, « History of Zionism » . Vol.II, P.118 .

(10) قاسم الشواف ، « مع الكلمة الصافية » ، ص 370 — 371 .

(11) ل . بينسكر ، « الانعتاق الذاتي من الوصاية السياسية » ، الطبعة الروسية ، ص 29 .

(12) ف . إ . لينين ، « المؤلفات الكاملة » ، الطبعة الروسية ، الجزء 8 ، ص 74 ؛ و : يوري إيفانوف ، المرجع السابق ، ص 95 — 96 .

(13) h. Stein, Zionism, P. 24 — 25 .

(14) يوري إيفانوف ، المرجع السابق ، ص 96 .

(15) A. Leliental, What Price Isr el USA, P.16 .

(16) يوري إيفانوف ، المرجع نفسه ، ص 98 — 99 .

(17) ل . بينسكر ، المرجع السابق ، ص 12 — 13 .

(18) V.Jabotinsky, an Answer to Bevin, N.Y, 1946, P.10,12,16 .

(19) « Palestine and the Middle East » vol.XVIII,No 7 — 8, Iyly, August, 1941 .

(20) Back ground . Public Service Division Department of State , U.S. December 1954, P. 14 .

(21) يوري إيفانوف ، المرجع السابق ، ص 164 — 165 .

(22) Ben Gurion, Israel, Years of Challenge, Tel Avive, 1963, P.22 .

(23) M. Brecher, The New States of Asia. hondou, 1963. P. 147 .

(24) هاآرتس 1973/7/20 .

(25) يوري إيفانوف ، المرجع نفسه ، ص 188 .

(26) المرجع نفسه ، ص 189,188 .

(27) المرجع نفسه .

(28) ول ديورانت ، «قصة الحضارة» الكتاب الأول ، الباب السابع ، جامعة الدول العربية ، ترجمة د . زكي نجيب محمود ، ص 9 .

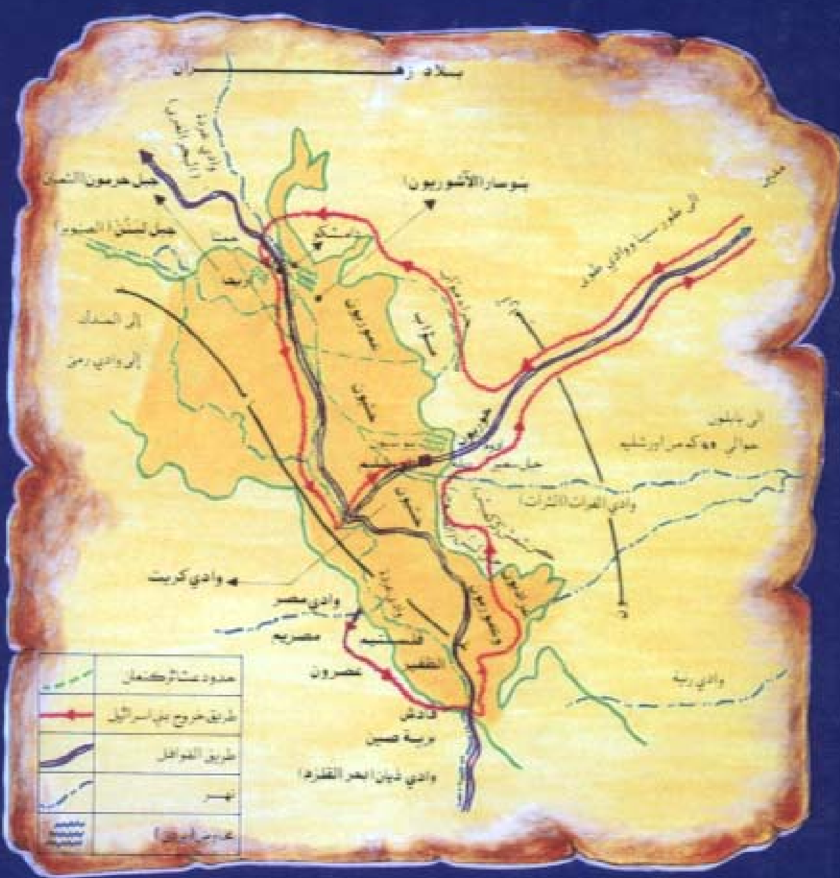
فهرس



سوريا وعودة الزمن العربي

الكتاب الثاني





السعر ٤٠٠ ل.س